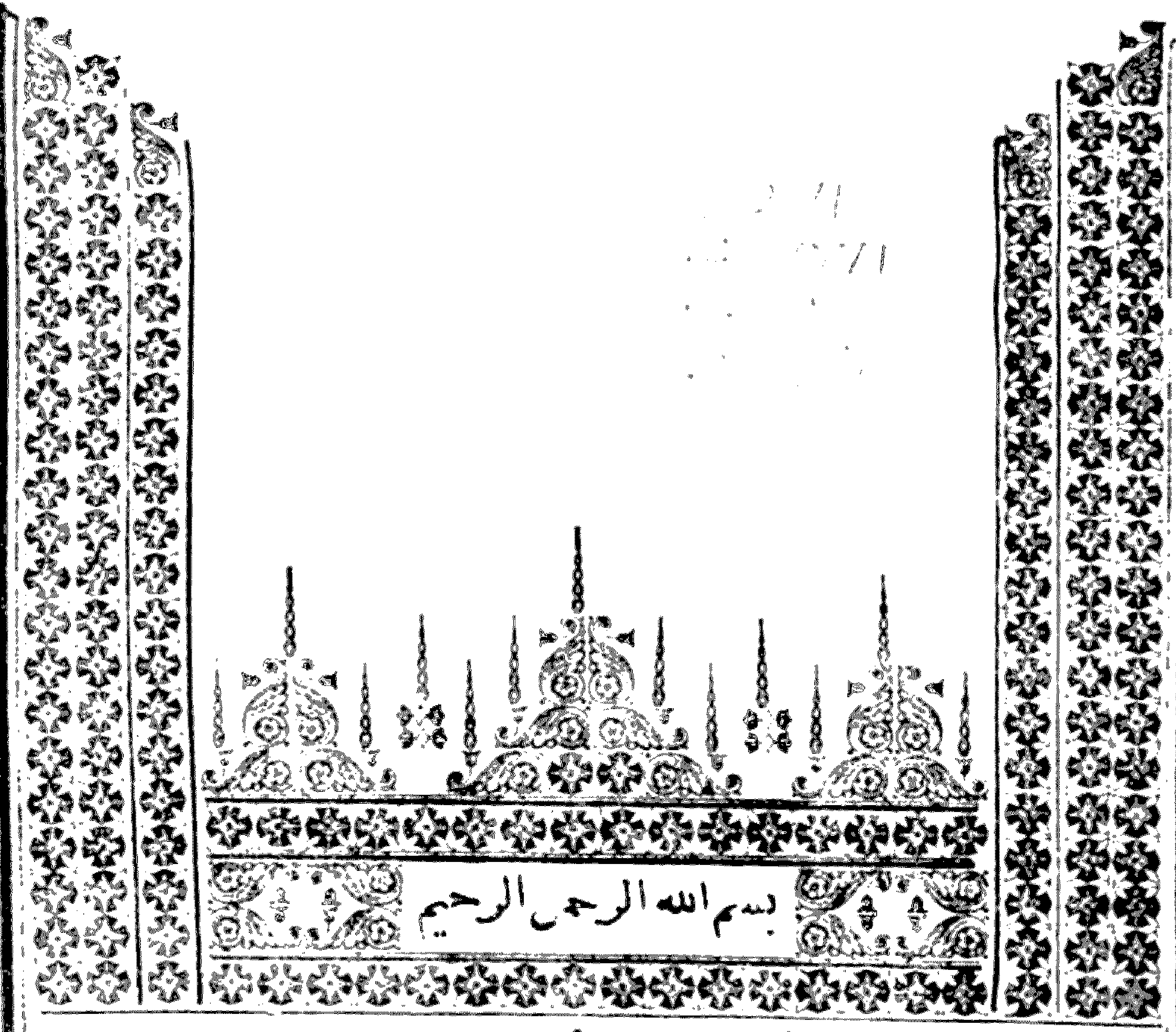
al-Qināwī, Masʿūd

Fatḥ al-raḥīm

هذا كتاب فتح الرحيم الرحمن في شرح نصيحة
الاخوان تأليف الامام العالم العلامة
واحد الزمان ومرشد الاخوان
أستاذنا السيد الشريف
مسعود بن حسن بن أبي بكر
القناوي الشافعي
نفعنا الله به
وبعلومه
آمين



(الحمد لله) الذي جعل النصيحة من شأن العارفين * ووصف بها بعض
الانبياء المرسلين * فقال تعالى حكاية عنه صلى الله عليه وسلم وأنا لكم
ناصح أمين * والصلاة والسلام على أشرف المرسلين * الذي هو أشرف
الخليقة * القائل في السنة الصحيحة الدين النصيحة * وعلى آله وأصحابه
صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما أخلص ناصح في النصيحة وما فهم فاهم
بالقريحة (وبعد) فيقول العبد الفقير محمد ابن حسن بن أبي بكر بن
أحمد بن أبي بكر بن حسن بن سباط الحسيني القاوقجي الشافعي
هذا شرح على القصيدة الوردية اللامية المنظومة من بحر الرمل ووزنه
فاعلاتن فاعلاتن فاعلن المسماة بنصيحة الاخوان ومرشدة الخلان
وهي خمسة وسبعون بيتا المشتملة على المواعظ والحكم نظم الفاضل
الاديب الشيخ الامام الهمام شيخ الافتاء والتدريس المحقق المدقق

المتبحر



المتبحر في الفقه والادب وسائر العلوم زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس الحلبي الشافعي البكري الصديقي منسوب الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونسبه معروف مشهور لاشك فيه تفقه على الشيخ شرف الدين البارزي رحمه الله تعالى وجالس أكابر العلماء قال بعض العلماء كان الشيخ سراج الدين عمر بن الوردي رجلا صالحا كثير الخيرات حسن الخلق سيد شعراء عصره جمع في شعره بين الحلاوة والطلاوة والجزالة له مقام عظيم عند الناس ومهابة كثيرة لما كان عليه من الزهد والورع والخشية والخوف من الله تعالى برع في سائر العلوم وصنف تصانيف جيدة ونظم فيها منظومات فائقة جيدة ويكفاه شرفا هذه المنظومة العظيمة وما حوت من المسائل الجليلة وكذلك منظومته المشهورة المسماة بالبهجة في الفقه وما أحسن قوله في آخرها

فهي عروس بنت عشر بكر * بكرية لها الدعاء مهر

وفضائله ومناقبه رضي الله عنه أكثر من أن تحصى فهو العناية والنهاية وكانت وفاته في سابع عشر ذي الحجة الحرام ختام عام تسع وأربعين وسبعمائة وهو في عشر التسعين رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين (وسميته) فتح الرحيم الرحمن في شرح نصيحة الاخوان واعلم أن الشعر مجمع على جوازه خصوصا اذا كان متعلقا بتوحيد كالجوهرة للامام اللقاني أو بمدحه صلى الله عليه وسلم كالهمزية والميمية واللامية للامام البوصيري أو بفقه كالبهجة للناظم رحمه الله تعالى أو بنصيحة كهذه اللامية له نفعنا الله به ثم ان الشعر لا يحصل الا لذي الفطنة السليمة ولا يكون في الغالب الا لمن مارس علمي المعاني والبيان لادراك معرفة الفصيح والافصح ومما يعين عليه أيضا مطالعة الرسائل والخطب

والاشعار والدواوين فتولد له دراية وملكة وعينا تنبع في القلب بسبب هذه الامور واعلم أنه تعتريه الأحكام الاربع فيكون حراما ان كان متعلقا بهجو وذم ويكون مندوبا ان كان متعلقا بخير كمدحه صلى الله عليه وسلم ويكون مكروها ان كان متعلقا بأمر مكروه ويكون مباحا ان كان متعلقا بأمر مباح ولا يكون واجبا ولما كانت القصيدة المذكورة من الامور ذوات البال افتتحها الناظم رحمه الله تعالى بالبسملة لقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع أو أجذم أو أبتر والكلام على هذا الحديث مذكور في المطولات وذكر رحمه الله تعالى البسملة دون الحمدلة لان المقصود بالحمدلة الثناء على الله تعالى وقد حصل بالبسملة فقد اختار الناظم رواية كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بذكر الله الشاملة لكل من البسملة والحمدلة انتهى ولما كانت النساء أصل كل فتنة لانهن حبائل الشيطان حذر الناظم رحمه الله تعالى من ذكرهن والتغزل فيهن فقال

(اعتزل ذكر الاغاني والغزل ❊ وقل الفصل وجانب من هزل)

أي اترك ذكر الاغاني من النساء أي المستغنيات بحسنهن وجمالهن عن الزينة واترك التغزل فيهن بغير حاجة ولكن المراد هنا مطلق النساء ولو لم يكن غانيات لان التعلق بهن يجر الى المفاسد ويعلق الخاطر بالاطائل ولا فائدة فيه فقد نقل عن كثير من الناس أنه مات بذلك ومنهم من مات بمجرد التغزل ومنهم من مات في السماع أما اذا كان ذكر الاغاني لحاجة كأن يستشيره من يثق بدينه أو برأيه في خطبة امرأة أو تزوجها أو معاملتها فيجوز له ذلك ولا اثم عليه واعلم أن المرأة اشدة فتنتها جعلها صلى الله عليه وسلم قسيما مقابلا للدنيا بقوله فمن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه ولذلك روى أسامة بن زيد عن

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تركت فى الناس بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء وقال بعض العارفين ما أيس الشيطان من انسان قط الا أتاه من قبل النساء وقال سفيان قال ابليس سهمى الذى اذا رميت به لم أخطء النساء وفى خبر الامام أحمد النظر الى محاسن المرأة من سهام ابليس وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أيها الناس لا تطيعوا النساء فى أمر ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش فانهن ان تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فأما صوالحهن ففاجرات وأما طوالحهن فعاهرات وأما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث خصال من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويحلفن وهن الكاذبات ويتمنعن وهن الراغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام اه وهذا باعتبار الغالب والا ففيهن نسوة لهن أحوال وزهد وصلاح كأكابر الرجال مثل رابعة العدوية وريحانة المصرية وأم الخير وغيرهن من النساء المشهورات كما حكى عن رابعة العدوية رضى الله عنها أنها كانت اذا صلت العشاء قامت الى سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم تقول الهى غابت النجوم ونامت العيون وغلقت الملوك أبوابها وخلى كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك ثم تقبل على صلاتها فاذا كان وقت السحر وطلع الفجر قالت هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعرى أقبلت منى ليلتى فأهنى أم رددتها على فأعزى وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك ثم تنشد وتقول

يا سرورى ومنيتى وعمادى ✿ وأنيسى وغايتى ومرادى

أنت روح الفؤاد أنت رجائي * أنت لي مؤنس وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وأنسي * ما تشتت في فسيح البلاد
كم لك منة وكم لك فضل * من عطاء ونعمة وأيادي
حبك الآن بغيتي ونعيمي * وجلاء لقلبي الصادي
ان تكن راضيا عني فانني * يامنى القلب قد بدا اسعادي

وقال بعض العلماء رحمه الله تعالى رأيت جارية وهي تضرب بالطار فمرت يوما بقارئ يقرأ وان جهنم لمحيطة بالكافرين قال فرمت الطار من يدها وصرخت ثم سقطت الى الارض فلما أفاقت كسرت الطار وأخذت في العبادة حتى شاع ذكرها فقال ذلك البعض فدخلت عليها يوما فكلمتها في الرفق بنفسها فبكت وقالت ليت شعري أهل النار من قبورهم كيف يخرجون وعلى الصراط كيف يعبرون ومن أهوال القيامة كيف يخلصون وللجحيم كيف يتجرعون ولتوبيخ المولى كيف يسمعون ثم سقطت الى الارض مغشيا عليها فلما أفاقت قالت مولاي وسيدي عصيتك وأنا غضة رطبة وأطعتك وأنا يابسة خشنة أتراك تقبلني ثم قالت أواه كم من فضيحة تكشفها القيامة غدا ثم صرخت وبكت فلم يبق أحد في المجلس حتى غشي عليه من شدة البكاء عما صنعت بنفسها ثم أنشدت تقول

أما والذي قد قدر البعد بيننا * وعذبني بالشوق وهو شديد
لقد ذاب قلبي في دعوى عليكم * على أنه في النائبات جليد

قال ذو النون المصري رحمه الله تعالى بلغني أن بالجبل جارية متعبدة فأحببت أن أزورها فخرجت الى الجبل أطلبها فلم أجدها فلقيت جماعة من المتعبدين فسألتهم عنها فقالوا أتسأل عن المجانين وتترك العقلاء فقلت دلوني عليها وان كانت مجنونة فقالوا تراها تجوز بنا تقع مرة وتقوم

أخرى وتصيح مرة وتبكي مرة وتضحك مرة فقلت دلوني عليها فقال
أحدهم تجدها في الوادي الفلاني فخرجت في طلبها فلما أشرفت عليها
سمعت لها صوتا ضعيفا وهي تنشد وتقول

ياذا الذي أنس الفؤاد بذكره * أنت الذي ما ان سواك أريد

فاتبعت الصوت فاذا بالجارية جالسة على صخرة عظيمة فسلمت عليها
فردت على السلام وقالت ياذا النون مالك وللمجانين فقلت لها أمجنونة
أنت قالت لولا أني مجنونة لما نودي على بالجنون قلت وما الذي جننك
قالت حبه جنني ووجده أقلقني وشوقه تيمني فقلت وأين محل الشوق
منك فقالت ياذا النون الحب في القلب والشوق في الفؤاد والوجد
في السر ثم بكت بكاء شديدا حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت أواه
من فرط المحبة ياذا النون هكذا موت المحبين ثم صاحت صيحة عظيمة
ثم سقطت الى الارض فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها
وقال الجنيد رحمه الله تعالى حججت وجاورت بمكة شرفها الله تعالى
فكنت اذا جن الليل دخلت الطواف فبينما أنا أطوف واذا بجارية
تطوف بالبيت وهي تقول

أبى الحب أن يخفى وان قد كتمته * فأصبح عندي قد أناخ وطنبا
اذا اشتد شوقي هام قلبي بذكره * وان رمت قربا من حبيبي تقربا
ويفني وصـــــلا فأحيي له به * ويسكرني حتى ألذ وأطربا

قال الجنيد فقلت لها ياجارية أما تتقي الله تتكلمين مثل هذا الكلام
في مثل هذا المقام فالتفتت الي وقالت ياجنيد لاتدخل بينه وبين محبيه
وأنت ياجنيد تطوف بالبيت فهل ترى رب البيت فقلت هذه دعوة
تحتاج الى اقامة بينة فرفعت رأسها الى السماء وقالت سبحانك سبحانك
ما أعظم شانك وما أعلى سلطانك خلق كالاحجار يطوفون بالبيت

يعترضون على أهل السرائر ثم أنشدت وجعلت تقول

يطوفون بالبيت العتيق تقربا * اليك وهم أقسى قلوبا من الصخر
فلو يخلصون السرجادت صفاتهم * وقامت صفات الحق منهم على الذكر

قال الجنيد فأغمى على من كلامها فلما أفقت طلبتها فلم أجدها فتنبل هؤلاء النسوة عليهن الرضوان ونفعنا الله بهن لا يعتزل ذكرهن بل يذكرن تبركا بهن ولنرجع الى كلام الناظم فنقول الاغانى جمع غانية كفاعلة وتجمع أيضا على غوانى كما فى قول الشاعر

دعانى الغوانى عمهن وخلتنى * لى اسم فلا أدعى به وهو أول

والغانية المرأة اللطيفة الحسنة الخلق والخلق والغزل كلام رقيق لفظا ومعنى متضمن لمعان رقيقة واستعارات دقيقة كما قيل

لها كفل تعلق فى ضعيف * وذاك الردف لى ولها ظلوم
فيقلقنى اذا فكرت فيه * ويقعدها اذا همت تقوم

قال بعضهم ولا يختص ذلك بغير الصوفية بل شعراء الصوفية كغيرهم يستعملون الغزل فى نظمهم كثيرا وقد تغزل كثير منهم كالشيخ محيى الدين ابن عربى والشيخ شرف الدين بن الفارض وغيرهما من السادات تغزلات كثيرة رقيقة فمنهم من تغزل فى الديار المكية كالكعبة المشرفة والصفا والمروة ونحو ذلك ومنهم من تغزل بالمدينة النبوية والنازلين بها ومنهم من تغزل بالديار والربوع ونحو ذلك والمراد بذلك أصحابها ومنهم من تغزل بذكر عزة وسلمى أو ليلى وسعاد وزينب وبما أشبه ذلك قال بعضهم وهذا أبلغ عندهم وأبدع وأرق وأظرف وأحلى وأعلى وأغلى ومنهم من أظهر ومنهم من كنى وأضمر ومرادهم بذلك سترالالفاظ عن غير أهلها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم والستر والكتمان

دأب المحسنين والعاشقين كي لا يطلع الغير على ما بينهم وبين المعشوقين
قال في روضة القلوب للإمام الشيرازي ما نصه اعلم أن الناس قد كثر
كلامهم في وصف المحبة ونعت الشوق فان كل واحد منهم مسلكا
أداه اليه نظره واجتهاده فأهل الطب يجعلون العشق مرضا دماغيا
يتولد عن النظر والسماع ويجعلون له علاجا كسائر الامراض الدماغية
وهو مراتب ودرجات بعضها فوق بعض فأول مرتبة منه تسمى
الاستحسان وهي المتولدة عن النظر والسماع ثم تقوى هذه المرتبة
بطول الفكرة في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة فتصير مودة وهي الميل
اليه ثم تتأكد المودة فتصير محبة وهي الائتلاف الروحاني فاذا قويت
صارت خلة وهي بين الآدميين تمكن محبة أحدهما من قلب الآخر
حتى تسقط بينهما السرائر ثم تقوى الخلة فتصير هوى وهو أن المحب
لا يخالطه في محبة محبوبه تغير ولا يداخله تلون ثم يزيد الهوى فتصير
عشقا وهو افراط المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل معشوقه وفكره
وذكره ولا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن
استخدام القوة الشهوانية فيمتنع من الطعام والنوم فاذا قوي العشق
صار تتيما وفي هذه الحالة لا يوجد في قلبه فضل لغير صورة المعشوق
ولا ترضى نفسه سواها فاذا تزايد الحال صار ذلك ولها وهو الخروج عن
الحدود والترتيب حتى تختل أفعاله وتتغير صفاته فلا يدري ما يقول وسئل
بعضهم عن المحبة قال هي حلوة المبدا مرة العقبى وقيل لبعض المحبين
كيف وجدت الحب قال نار لا يخبو سعيرها ولا يخمد زفيرها ثم أنشد
يقول

رأيت الحب نيرانا تلظى * قلوب العاشقين لها وقود
فلو فنيت اذا احترقت لهانت * ولكن كلما نضجت تعود

كأمل لظى اذا نضجت جلود * أعيدت للاشقياء لهم جلود

وحكى الاصمعى فقال حججت فبينما أنا أطوف ليلة حول البيت اذ أقبلت جاريتان لم أر أحسن منهما فطافتا سبعا ثم وقفتا يتحدثان فنصت اليهما واذا احداهما تقول

لا يقبل الله من معشوقة عملا * يوما وعاشقها غضبان مهجور

قال فأجابتها الاخرى وقالت

وليس يأجرها فى قتل عاشقها * لكن عاشقها فى ذاك مأجور

قال فقلت لهما يا حزب الشيطان أفى مثل هذا الموضع تقولان هذا القول فنظرت الى احداهما وقالت لا رحمك الحب فقلت لها وما الحب فقالت جل عن أن يخفى وخفى عن أن يرى فهو كامن فى الاحشاء مثل كمون النار فى الحجر ان قدحته أورى وان تركته توارى فقلت لها قاتلك الله فما أوصفك للحب فقالت اسمع ياشيخ نحن كما قال جرير

حور حرائر ماهمن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الحديث زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

وقال بعضهم المحبة ميلك الى رضى محبوبك ولو بهلاك نفسك ثم أنشد يقول

اذا غضبت على غضبت أيضا * على نفسى ويرضينى رضاها

وماغضبى على نفسى لذنب * ولكنى أميل الى هواها

وقال بعضهم المحبة محو الاشباح وذوب الارواح ولله در القائل

يا مشبه البدر اذا ما بدا فى * خمس وخمس بعدها أربع

ما كان ذنبى حين مرتنى * شبيهه أول مايطلع

وقال بعضهم المحبة قوة غريزية تحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة وتؤدى الى الداء العضال الذى لا دواء له وقال بعضهم المحبة أن لا ينظر

المحب لعيوب المحبوب قال صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمي ويصم
وقال الشاعر

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * كما ان عين السخط تبدي المساويا

ولبعضهم

حبك الشيء يعمي عن قبائحه * ويمنع الاذن أن تصغى الى العذل

وقال بعضهم الحب حرفان حاء وباء فحاؤه حين وحزن وباؤه بلاء وبله
وما احسن ما قال بعضهم

حروف المحبة مرموزها * يبشرنا ببلوغ المنى
فميم الممات وحاء الحيا * ة وباء البلاء وهاء الهنا
فتمثل ماءمات أهل الهوى * وذابوا اشتياقا فنالوا المنى

وقال سفيان الثوري في قوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هو المحبة
وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان
داود عليه السلام يقول اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل
الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك أحب الي من نفسي وأهلي ومن
الماء البارد وكان أبو يزيد البسطامي رحمه الله يقول في مناجاته الهي
لست أعجب من حبي لك وأنا عبد حقير وانما أعجب من حبك لي
وأنت ملك قدير وعن أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى أنه كان
يقول في بعض مناجاته سيدي لئن طالبتني بذنوبي لاطالبنك بعفوك
ولئن طالبتني ببخلي لاطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتني باساءتي
لاطالبنك باحسانك ولئن أدخلتني النار لاخبرن أهل النار أني
أحبك يارب فنودي يا أبا اسحاق لا ندخلك النار بل ندخلك الجنة
فتخبر أهلها بمحبتنا فان مكان المحبين الجنة ومكان الاعداء النار
(وحكي) عن محمد بن أحمد المفيد أنه قال سمعت الجنيد رحمه الله تعالى

يقول كنت نائما عند السرى رحمه الله فايقظنى وقال يا جنيد رأيت كانى وقفت بين يدى الله تعالى وقال لى ياسرى خلقت الخلق وكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقين لا للدنيا أردتم ولا للجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذى تريدون وما الذى تطلبون قالوا أنت المراد ولو قطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة والوداد فقلت لهم انى مسلط عليكم من البلاء والاهوال مالا تقوم له الجبال أتصبرون على البلاء قالوا بلى اذا كنت أنت المبتلى لنا فافعل ماشئت بنا فهؤلاء عبادى حقا وأحبابى صدقا انتهى (واعلم) انه ينشأ عن المحبة أمور كثيرة منها السهر والقلق بل والموت فقد حكى الميدانى أن امرأة من أهل المدينة تزوجها رجل من أهل الشام فخرج بها الى بلده على كره منها فسمعت منشدا يقول

اذا برقت نحو الحجاز سحابة ❊ دعى الشوق منى برقها المتيامن

فلم أتركها رغبة عن بلادها ❊ ولكنه ماقدر الله كائن

فلما سمعته قالت واشوقاه الى ماذكرت ثم تنفست وخرت على وجهها ميتة (وحكى) الهيثم بن عدى عن أبى مسكين قال حدثنا فتى منا قال خرجت حتى اذا كنت عند بئر ميمون واذا بجماعة فوق تلك الجبال واذا معهم فتى طويل أبيض جعد الشعر حسن الوجه كان أحسن من رأيت من الرجال على هزال منه وصفرة لون واذا هم يتعلقون به فسألتهم عنه فقيل هذا قيس المجنون خرج به أبوه يستجير له ببيت الحرام ويأتى قبر النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ليدعو له هناك لعل الله تبارك وتعالى يكشف مابه وانه ليصنع بنفسه صنيعا يرحمه منه عدوه

فتقدمت

فتقدمت اليه واذا هو يقول أخرجوا بي لعلي أتنسم صبا نجد فيخرجونه فيتوجه نحو نجد فيخافون أن يلقي نفسه من الجبل فيمسكونه فدنوت منه وأخبرته أني قدمت من نجد فتنفس تنفسا ظننت أن كبده قد انصدعت ثم قال وشوقاه الى نجد وجعل يسألني عن واد واد وموضع موضع وأنا أخبره وهو يبكي أحر بكاء وأوجعه للقلب ثم انه أغمي عليه حتى ظننا أنه قد مات فلما أفاق قال واشوقاه نزل ثم انهم حملوه وارتحلوا به الى مكة وان كبدي عليه لتتقد حزنا وأسفا ولا أدري ما صنع الله به بعد ذلك (وحكي) عن بعضهم أنه قال كانت لي ابنة وكانت تهوى شابا ونحن لا نعلم بحبها وكان الشاب يهوى قينة وكانت القينة تهوى ابنتي فحضرت بعض الايام مجلسا فيه ذلك الشاب والقينة فغنت

علامة ذل الهوى * على العاشقين البكا

ولاسيما عاشق * اذا لم يجد مشتكا

فقال لها الشاب أحسنت والله يا سيدتي أفتأذنين لي أن أموت فقالت نعم مت راشدا ان كنت عاشقا قال فوضع رأسه على وسادة وغمض عينيه فلما أبلغ القدح اليه حركناه فاذا هو ميت فاجتمعنا له وتكدر علينا السرور وافترقنا من ساعتنا فلما سرت الى منزلي أنكرني أهلي حيث جئت في غير الوقت المعتاد فأخبرتهم بما كان من الشاب فكثر تعجبهم من ذلك فسمعت ابنتي كلامي الى آخره ودخلت مجلسا لي فأنكرنا مبادرتها فقمت خلفها فدخلت الى المجلس فوجدتها متوسدة على مثال ما وصفت من حال الشاب فحركتها فاذا هي ميتة فأخذنا في جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب فلما سرنا في طريق الجنازة واذا نحن بجنازة ثالثة فسألنا عنها فاذا هي جنازة القينة فلما بلغها موت ابنتي فعلت مثل ما فعلت فدفنا الثلاثة في يوم واحد وهذا أعجب

ما تجمع فى هذا الامر انتهى وقوله وقل الفصل وجانب من هزل المراد به اتباع الحق فى الاقوال والافعال واجتناب الباطل فيهما وهذا مقتبس من قوله تعالى انه لقول فصل وماهو بالهزل أى باللعب وقيل بالباطل ويطلق الهزل على مايقع بين أراذل الناس من كلمات مضحكة أو رقص أونحو ذلك ويقرب منه مايقع بين الناس من المزاح فانه منهى عنه قديما وحديثا شرعا وعرفا قال صلى الله عليه وسلم من تكلم بكلمة يضحك بها جلساءه فهو يهوى بها فى النار سبعين خريفا أو كما قال وأما ما ورد من مزاحه صلى الله عليه وسلم من قوله للمرأة العجوز التى أراد أن يطيب خاطرها بمزاحه معها لاتدخل الجنة عجوز ونحو ذلك فليس من هذا الباب وانما هو من باب البيان المأمور به فى قوله تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم والمراد أنه لايدخل الجنة شيخ ولا عجوز بل تدخلها الناس أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم عليه الصلاة والسلام وفى الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم انى لامزح ولا أقول الاحقا رواه الطبرانى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ودع الذكرى لايام الصبا * فلايام الصبا نجم أفل)
(ان أهنى عيشة قضيتها * ذهبت لذاتها والاثم حل)

البيت الاول مرتب على الثانى والمعنى ان أطيب وأحلى كما فى النسخة وألذ عيشة قضيتها يامخاطب فى اقتراف الذنوب والسيئات ذهبت ومرت وانقضت لذاتها أى العيشة أى لذات الذنوب التى فعلتها فيها بدليل قوله والاثم حل أى ثبت عليك وحينئذ ينبغى لك عدم الذكرى لايام الصبا التى وقعت فيها الذنوب والخطايا وقد مرت كأنها طيف خيال أو نجم أفل أى غاب لانه ليس فى ذكر تلك الايام الا التفاخر

بالمعصية

بالمعصية والسرور بها يزيد فى الاثم كما ان التحدث بالنعمة والسرور بها يزيد فى الاجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الناس معافا الا المتجاهرين بمعاصى وقال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم واعلم أنه اذا كان السرور بكبيرة عظم وزرها وتزايد أمرها واذا كان بصغيرة ألحقت بالكبيرة ويقال خمسة أشياء اذا قارنت الصغائر ألحقتها بالكبائر الاول السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب الثانى اظهار الذنب بأن يفعله متجاهرا أو يتحدث به ويفتخر به فان من نعم الله سبحانه وتعالى اظهار الجميل وستر القبيح وفيما ذكر من التجاهر والتحدث والافتخار ترغيب من علم بذنبه فى الوقوع فى مثله وفى الاثر لا تذنب فان أذنبت فلا ترغب غيرك فيكتب عليك ذنبان الثالث أن يستصغر الذنب فانه يكثر اثمه على قدر استصغاره له فان فى تصغير الذنب تصغير أمر الله سبحانه وتعالى وفى تعظيمه تعظيم أمر الله تعالى قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه انكم تعملون أشياء هى عندكم أرق من الشعر كنا نعدها فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات أى المهلكات الرابع الاصرار وهو العزم على العود لمثل الذنب ولهذا قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وليس المراد به استغفارا مقتصرا باللسان وانما المراد به الواقع مع التوبة والندم والاقلاع والالتجاء الى الله تعالى بالقلب الخامس أن يكون فاعل الذنب عالما يقتدى به كما ورد فى الحديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من يعمل بها الى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شىء انتهى (فائدة) يستحب للانسان أن يتدارك مافاته وما أهمله فيما مضى من عمره وأن يرجع بالتوبة الى ربه فقد ورد أن من أحسن فيما بقى غفر له ما مضى وما بقى ومن أساء فيما بقى عوقب بما مضى

ومابقى ويعجبنى قول القائل

عصيت هوى نفسى صغيرا فعندما * أتتنى الليالى بالمشيبة والكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتنى * خلقت كبيرا ثم عدت الى اصغر

قال بعضهم والفائت على قسمين فائت مستدرك وفائت غير مستدرك فالفائت المستدرك كما اذا كان للانسان ورد أو تهجد يفعله بالليل ثم نام عنه فى وقته ثم فعله بعد ذلك فانه يكون مدركاله ومحصلا لما هو مرتب عليه من الثواب والاجر وأما الفائت غير المستدرك فهو كالشباب فلا يمكن تداركه ولا ينبغى لمن ذهب شبابه وأدركه الشيب الا الاجتهاد فى الاعمال الصالحات والاستعداد ليوم المعاد قال الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قيل الشيب وقيل الهرم وقيل غير ذلك وقد قيل ان الشيب رسول الموت ففى الحديث مامن شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى فقد قرب الموت وما احسن ما قيل فى ذلك

ذهبت لذة الصبى فى المعاصى * وبقى بعد ذاك أخذ القصاص
وبقى الحسن والجمال ومالى * عمل أرتجيه يوم الخلاص
غير ظنى فى الله فهو جميل * فيه أخلصت غاية الاخلاص

وقال بعضهم

ذهب الشباب فماله من عودة * وأتى المشيب فأين منه المهرب

وقال الآخر

ألا ليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وقال الآخر

تزود جميلا من فعالك انما * قرين الفتى فى القبر ما كان يفعل
ألا انما الانسان ضيف لاهله * يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

(فائدة)

(فائدة) ورد فى فضل طول العمر للمؤمن أخبار منها ما روى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من معمر يعمر فى الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والجذام والبرص فاذا بلغ الخمسين سهل الله له الحسنات فاذا بلغ الستين رزقه الله الانابة بما يحب فاذا بلغ السبعين أحبه الله تعالى وأحبه أهل السماء فاذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله فى الارض وشفع فى أهل بيته فاذا بلغ مائة سنة سمى حبيس الله فى الارض وحق على الله أن لا يعذب حبيسه فى الارض وللشيخ الامام صالح بن أبى شريف الاندلسى

ابن عشر من السنين غلام * رفعت عن نظيره الاقلام
وابن عشرين للصبا والتصابى * ليس يثنيه عن هواه ملام
والثلاثون قوة وشباب * وهيام ولوعة وغرام
فاذا زاد بعد ذلك عشرا * فكمال وشدة وتمام
وابن خمسين مر عنه صباه * فيراه كأنه أحلام
وابن ستين صيرته الليالى * هدفا للمنون وهى سهام
وابن سبعين لا تسلنى عنه * فابن سبعين ما عليه كلام
فاذا زاد بعد ذاك عشرا * بلغ الغاية التى لا ترام
وابن تسعين عاش ما قد كفاه * واعترته وساوس وسقام
فاذا زاد بعد ذلك عشرا * فهو حى كميت والسلام

وعن أبى بكر أن رجلا قال يا رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال فأى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله رواه الترمذى وقال حديث صحيح وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال من بلغ الثمانين من هذه الامة لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وفى الخبر ان الله ينظر فى وجه الشيخ كل يوم خمس مرات فيقول ابن آدم كبر سنك ووهن عظمك وقرب أجلك فاستحى منى انى أستحى أن أعذب ذا شيبة ذكره القرطبي فى تذكرته قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(واترك الغادة لاتحفل بها * تمس فى عز وترفع وتجل)

أى اترك الجارية الغادة أى الغانية فالغادة والغانية على حد سواء ولا تكرار بين هذا البيت والبيت الذى هو أول القصيدة لان النهى هناك عن الذكر لها والتغزل بها وهنا عن طلبها والتعلق بها ثم ان كان ذلك على وجه محرم فالنهى ظاهر وان كان على وجه جائز كأن طلب التزوج بها فهو محمول على ما اذا لم تدع الحاجة الى الزواج كأن يكون عاجزا عن الوطء أو المهر أو الانفاق ونحو ذلك وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين الخفيف الذى لا أهل له ولا ولد وحيث كان عاجزا عما ذكر وترك ذلك فقد استراح وكان عزيزا بين أقرانه جليلا بين الناس وهذا معنى قوله تمس فى عز وترفع وتجل ومن لم يتركها واحتفل بها أى طلبها من غير حاجة لها فقد أتعب نفسه وحملها مالا طاقة لها به من الذل والاحتياج ونحو ذلك أما اذا دعت الحاجة الى الزواج بأن اشتاقت نفسه اليه وكان واجد الاهبة فالافضل له طلبها والاحتفال بها لقوله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء بكسر الواو والمد أى قاطع لتوقانه وشهوته وفى الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا نظر الى امرأته ونظرت اليه نظر الله اليهما نظر رحمة فاذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما

من

من خلال أصابه بهما وقد ذكر الفقهاء أن النكاح تعتريه الاحكام الخمسة فالاصل فيه الاباحة كما في واجد الاهبة مع عدم احتياجه اليه وقد يجب كأنه خاف العنت لولم يتزوج بأن تعين الزواج لدفع الزنا وقد يسن لتائق واجد للاهبة أي المهر وكسوة الفصل والسكنى ونفقة اليوم والليلة وقد يكره لمن فقدها ولم يحتج اليه وقد يحرم وهو كثير كنكاح المتعة وهو النكاح الى أجل ونكاح الشغار بكسر الشين المعجمة وبالغين المعجمة من شغر البلد عن السلطان اذا خلا عنه لخلوه عن المهر وهو أن يقول زوجتك بنتي على أن تزوجني بنتك وبضع كل منهما صداق الاخرى فيقبل ذلك وخرج بقولنا في جانب الكراهة ولم يحتج اليه ما اذا فقدها واحتاج اليه فالنكاح خلاف الاولى في حقه والاولى أن يكسر شهوته بالصوم انتهى (فائدة) التزوج عبادة وقربة لما فيه من التحصين ولزوجته من الوقوع في المحرمات ولما فيه من كف الفرج والنظر عن الوقوع فيما لا يجوز ولما فيه من النفقة على العيال وغير ذلك وقال رجل لابراهيم بن أدهم طوبى لك تفرغت الى العبادة بالعزوبية فقال لروعة منك بسبب العيال أفضل من جميع ما أنا فيه ولما حضرت معاذا الوفاة قال زوجوني لا ألقى الله عزبا وينبغي للانسان أن يقصد به النسل والولد لا قضاء الشهوة لان البركة تحصل بدعاء الولد الصالح ولان الولد الصغير اذا مات طلب الشفاعة لوالده الحي وللسعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكثير أمته وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم ذم المرأة التي لا تلد كما ورد عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أصبت امرأة ذات حسن وجمال وانها لا تلد أفأتزوجها قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال تزوجوا الودود الودود فاني مكاثر بكم الامم فهذا يدل

على أن المقصود طلب الولد لا مجرد الشهوة ولما يترتب على الزواج من
دعاء الولد بعد موته كما ورد في الحديث أو ولد صالح يدعو له بخير قال
بعضهم لا يشترط صلاحه لان دعاء الولد المؤمن لوالديه مفيد مطلقا صالحا
كان أو فاجرا ولما يترتب على الزواج أيضا من أن للوالد مثل حسنات
ولده لانه من سعيه وكسبه ولا يؤاخذ بسيئاته لقوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر أخرى وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت له ولوالديه وما عمل
من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحلم أجرى عليه
القلم وأما ما جاء في بكاء المولود فروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا أطفالكم على بكائهم سنة
فان أربعة أشهر منها يشهد أن لا اله الا الله وأربعة أشهر يصلى على
وأربعة أشهر يدعو لوالديه وفي رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم
قال بكاء الصبي في المهد أربعة أشهر توحيد وأربعة أشهر صلاة على نبيكم
وأربعة أشهر استغفار لوالديه وروى أنس بن مالك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مسلم يموت له ثلاثة من لولد لم يبلغوا
الحنث الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته اياهم أخرجه البخاري ومسلم
وقد ذكر الشريف حسن في شرحه على منظومة ابن العماد في الانكحة
في هذا المقام كلاما مبسوطا يخرجنا تتبعه عن ارادة الاختصار فمن
أراده فليراجعه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(واله عن آلات لهو أطربت ۞ وعن الامرد مرتج الكفل)

قال في المصباح اللهو معروف تقول أهل نجد لهوت عنه ألهو لهيا والاصل
فعول من باب قعد وأهل العالية لهيت عنه ألهى من باب تعب ومعناه
السلوان والترك ولهوت به لهوا من باب قتل أولعت به وتلهيت به أيضا

وأما في الثاني بالالف شغلني انتهى ثم قال في السين مع اللام سلوت عنه سلوا من باب قعد صبرت والسلوة اسم وسليت أسلى من باب تعب سليا لغة قال أبو زيد السلو طيب نفس اذ لف عن الفه انتهى ومعنى البيت تسل وتصبر عن آلة لهو أن نترك آلات الملاهي المطربة والطرب خفة تصيب الانسان لشدة السرور وقرر الفقهاء أنه يحرم استعمال آلات الملاهي كطنبور وجنك وعود وسنطير ومزمار عراقي وكذلك يحرم الضرب بالكوبة وهي طبل صغير ضيق الوسط واسع الطرفين عن أبي امامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان ابليس لما نزل الى الارض قال يارب أنزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال اجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال مالم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال اجعل لي قرآنا قال الشعر قال فاجعل لي مؤذنا قال المزمار قال فاجعل لي حديثا قال الكذب قال فاجعل لي رسلا قال النساء رواه ابن أبي الدنيا واعلم أنه يكره غناء المرأة واستماع الرجل له وان أمن الفتنة قال صلى الله عليه وسلم الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع رواه البيهقي عن جابر في هذا بخلاف أذانها فانه حرام بحضرة الاجانب والفرق بينهما أن في الاذان تشبيها بالرجال بخلاف الغناء فانه من شعائر النساء ولانه يستحب النظر للمؤذن حال أذانه فلو استحببنا للمرأة لامر السامع بالنظر اليها وهذا مخالف لمقصود الشارع (فائدة) ذكر الشريف الحسيني في شرحه على منظومة ابن العماد أنه لما التقى آدم بحواء ورآته من بعد رفعت صوتها فرحا به بكلام غير مفهوم يشبه الزغاريت فلذلك جرت عادة المرأة أنها اذا فرحت وحصل لها سرور زغرتت واذا حزنت

ولو آلات انتهى ويجوز استماع طبل كبير لعرس وحج وجهاد ونحو ذلك نعم عن عائشة رضى الله عنها أنها زفت امرأة من الانصار الى رجل من الانصار فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أما كان معكم من لهو انتهى وقول الناظم وعن الامرد أى الغلام الذى لم يبلغ أوان انبات اللحية وأما الذى بلغ أوان طلوع لحيته ولم تطلع فيقال له أثط بالمثلثة لا أمرد وقوله مرتج أى عظيم الكفل بفتحتين أى العجيزة هكذا يؤخذ من المصباح واختلف النووى والرافعى رحمهما الله فى هذه المسألة والذى تحصل فيها من كلامهما أنه يحرم النظر الى الامرد بشهوة وان كان غير حسن بالاجماع ولو انتفت الشهوة وخيفت الفتنة حرم النظر أيضا قال ابن الصلاح ليس المراد بخوف الفتنة غلبة الظن بوقوعها بل يكفى أن لا يكون ذلك نادرا وكذا يحرم النظر الى الامرد بلا شهوة عند النووى رحمه الله تعالى لانه مظنة الفتنة فهو كالمرأة بل هو أشد اثما من المرأة الاجنبية لعدم حله بحال وكذا يحرم اللمس للامرد وان حل النظر لانه أفحش وكذا الخلوة به ان حرم النظر فانها أفحش وأقرب الى المفسدة والمعتمد من مذهب امامنا الشافعى رحمه الله تعالى الذى قاله الرافعى وهو أن النظر الى الامرد لا يحرم الا بشهوة هذا هو المعتمد المفتى به والذى قاله الامام النووى رحمه الله تعالى من اختياراته سدا للباب فى ذلك الزمان وأما زماننا هذا فقد كثر فيه الفساد كما هو ظاهر لكل أحد نسأل الله السلامة والعافية مما يوجب عقابه وضابط الشهوة المحرمة كما قال الامام السبكى أن ينظر الى الوجه الجميل فيلتذ به فاذا نظر ليلتذ بذلك الجمال فهو النظر بالشهوة وهو حرام باجماع قال وليس المراد أن يشتهى زيادة على ذلك من الوقاع أو مقدماته فان ذلك ليس بشرط بل زيادة فى الفسق قال وكثير

من

من الناس لايقدمون على الفاحشة ويقتصرون على مجرد النظر والمحبة ويعتقدون أنهم سالمون من الاثم وليسوا من السالمين انتهى ولنذكر لك شيأ في هذا الشان فنقول قد قص الله علينا في كتابه العزيز ما فعله بقوم لوط فقلب عليهم مدائنهم وأرسل عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد أي ما هذه العقوبة التي فعلت بقوم لوط من ظالمي هذه الامة الذين يعملون كعملهم ببعيد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط وعنه صلى الله عليه وسلم سبعة يلعنهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ويقال لهم ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به يعني اللائط والملوط به وناكح البهيمة وناكح أمها وبنتها والزاني بامرأة جاره وناكح المرأة في دبرها وناكح يده الا أن يتوبوا وقال ابن عباس رضي الله عنه ان اللوطي اذا مات يمسخ في قبره خنزيرا وان الشيطان اذا رأى الذكر قد ركب الذكر هرب خشية من معاجلة العذاب واذا ركب الذكر الذكر اهتز العرش والكرسي وتكاد السموات أن تقع على الارض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد سبعين مرة حتى يسكن غضب الجبار عز وجل وقال الحسن بن ذكوان لا تجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء ودخل سفيان الثوري رحمه الله تعالى حماما فدخل عليه صبي حسن الوجه ظاهر الوضاءة فقال سفيان لاصحابه أخرجوه عني أرى مع كل امرأة شيطانا ومع هذا بضعة عشر شيطانا وذكر الشعبي رحمه الله تعالى أن وفد عبد قيس قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم صبي حسن الوضاءة فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كانت فتنة داود من النظر فاذا كان هذا رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأجلسه خلف ظهره وهو سيد الاولين والآخرين وهو معصوم من كل سوء وإثم وخاف فتنة النظر الى صبي أمرد وأجلسه خلف ظهره حتى لا ينظر اليه فكيف بغيره ممن ليس بمعصوم وقال فتح الموصلي رحمه الله تعالى صحبت ثلاثين كلهم يعدون من الابدال وكلهم ينهونى عن صحبة الاحداث يعنى المردان وقال ابن عمر رضى الله عنهما النظر الى أبناء الملوك حرام لان لهم شهوة كشهوة النساء العذارى أقول أبناء الملوك ليس بقيد بل المراد كل من كان جميلا حسنا وانما قيد بأبناء الملوك لان غالب أولادهم حسان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل غلاما بشهوة فكأنما زنى مع أمه سبعين مرة الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل غلاما بشهوة عذبه الله فى نار جهنم ألف سنة وكان الامام مالك بن أنس رضى الله عنه يمنع الامرد من الدخول الى مجلسه فاحتال صبى حسن ودخل بين الرجال فلما علم به الامام مالك أخرجه وقال بعضهم رآنى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ومعى ابن أختى وهو يمشى معى وكان صبيا حسنا فقال لى من هذا منك فقلت ابن أختى قال لا تمشى معه ولا تماشيه مرة أخرى لئلا تظن الناس بك الظنون وروى أن عيسى عليه السلام مر فى سياحته على نار تشتعل على رجل فأخذ ماء ليطفئها عنه فانقلبت النار صبيا وانقلب الرجل نارا فوقف عيسى عليه السلام متعجبا من ذلك فسأل ربه عز وجل أن يردهما الى حالهما ويخبره بحالهما فأوحى الله اليه سلهما عن حالهما فرجع الرجل الى حاله ورجع الصبى نارا فحرقه فقال عيسى عليه السلام للرجل ما أنتما فقال الرجل يا روح الله انى كنت فى الدنيا مبتلى بحب هذا الصبى فلما كان فى بعض الايام أو الاوقات نمت به الفاحشة فلما مت ومات الصبى فصار الصبى نارا تحرقنى مرة وأصير نارا أحرقه مرة

فهذا

وهذا عذابنا الى يوم القيامة يانبي الله فتركهما ومشى الى حاله واستعاذ بالله من ذلك فنسأل الله العفو والعافية والحماية من الوقوع في الفواحش وأسأله النجاة من النار بجاه النبي المختار وقال أبو سهل من التابعين يكون في هذه الامة قوم يقال لهم اللوطيون على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك الخبيث وقال صلى الله عليه وسلم زنا العين النظر ولذلك بالغ الصالحون من السلف في الغض والاعراض عن مجالسة المردان حذرا من فتنة النظر وخوفا من عقوبته وقال بعضهم اياك والنظر فانه ينقش في القلب صورة المنظور اليه ولا حيلة لحيلة عين كحيلة وذكر عن رجل من الصالحين أنه نظر الى صبي حسن الوجه وقال تبارك الله أحسن الخالقين فجاءه سهم دقاع عينه فبات تلك الليلة وهو مهموم بسبب ذلك فرأى الحق سبحانه وتعالى في منامه وهو يعاتبه بسبب نظره فقال يارب انما نظرت بعين الاعتبار والتفكر في خلقك فقال له الحق جل وعلا نظرت بعين الاعتبار رميناك بسهم الادب ولو نظرت بعين الشهوة رميناك بسهم الحرمان وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من نظر الى صبي حسن بشهوة حبسه الله في النار أربعين عاما فاذا كان هذا في النظر فكيف حال من يفعل الفاحشة حمانا الله تعالى من ذلك آمين بجاه سيد المرسلين وكان الربيع بن خيثم من شدة غض بصره واطراقه يظن الناس أنه أعمى وكان يختلف الى ابن مسعود رضى الله عنه مدة عشرين سنة فاذا طرق الباب خرجت اليه الجارية فتراه مطرقا غاضا بصره فترجع الى سيدها وتقول صديقك ذاك الاعمى قد جاء فكان ابن مسعود رضى الله عنه يتبسم من قولها وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين أما والله

لورآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وأحبك وقال محمد بن عبد الله رحمه الله تعالى كنت مع أستاذي أبي بكر رحمه الله فرمى حديث السن فنظرت اليه فرآني أستاذي وأنا أنظر اليه فقال يا بني لتجدن غبها بالكسر أي عاقبتها ولو بعد حين فبقيت عشرين سنة وأنا أراعي ذاك الغب فنمت ليلة وأنا متفكر فيه فأصبحت وقد نسيت القرآن كله وقائل يقول هذا ذنب تلك النظرة وقال أبو بكر الكتاني رحمه الله عليه رأيت بعض أصحابنا في المنام فقلت له ما فعل الله بك قال عرض على سيئاتي وقال فعلت كذا وكذا فقلت نعم قال وفعلت كذا وكذا فقلت نعم قال وفعلت كذا وكذا فاستحييت أن أقر فقلت له ما كان ذلك الذنب فقال مر بي غلام حسن الوجه فنظرت اليه فأقمت بين يدي الله سبعين سنة أذوب عرقا من خجلي منه ثم عفى عني وروى عن أبي عبد الله رحمه الله تعالى أنه رأى في المنام بعض أصحابه فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي كل ذنب أقررت به الا ذنبا واحدا استحييت أن أقربه فأوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى شخص جميل فعوقبت بذلك (واعلم) أن اللواط حرام أجمع المسلمون وغيرهم من أهل الملل على أنه من الكبائر واختلف في حكمه فعند امامنا الشافعي رضي الله عنه أنه حكم الزنا فيرجم المحصن ويجلد غيره مائة جلدة ويغرب عن وطنه فوق مسافة القصر وأما المفعول به فان كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه وان كان مكلفا مختارا أجلد وغرب محصنا كان أو غيره وعند السادة الحنفية رضي الله عنهم أنه لا يجب به الجلد الا اذا تكرر فيقتل على المفتى به وعند الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يتحتم قتله وهو قول بعض فقهائنا رضي الله عنهم محصنا كان أو غير محصن لحديث من وجدتموه يعمل

عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعلى هذا فيقتل بالسيف كالمرتد وقال ابن عباس رضى الله عنهما ينظر الى أعلى بناء فى القرية فيرمى اللوطى منكسا ثم يتبع بالحجارة (فائدة) ذكر بعضهم أن سبب احداث اللواط أن قوم لوط عليه الصلاة والسلام كانت لهم مدائن لم يكن فى الارض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فتعرض لهم أبليس لعنه الله فى صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا أى لطتم بهم نجوتم منهم وما يعودوا يقصدونكم فأبوا ذلك فلما ألح الناس قصدوهم فأصابوا غلمانا فأفحشوا فيهم فاستحكم ذلك فيهم وصار دينهم حتى يعاقبون به وعن الكلبى أن أول من عمل عمل قوم لوط ابليس اعترض فى صورة أمرد حسن ودعاهم الى دبره فأمر الله سبحانه وتعالى السماء أن تمطر عليهم حجارة من سجيل وأمر الارض أن تخسف بهم (خاتمة) تتعلق بهذا المحل وهى أن طريقة المطاوعة صحبتهم للمردان ويجلسونهم خلف ظهورهم ويسمونهم بالبدايات وتراهم يفتخرون بذلك ولا يصحبون الا الامرد الجميل مع أن طريقتهم مرضية لانها فرع من طريقة السادة الصوفية وانما سموا مطاوعة لطاعتهم لربهم فيما أمرهم به ونهاهم عنه اذ شددوا به على أنفسهم فى العبادة والطاعة فنالوا بذلك السيادة ولم يتبعوا الرخص بل جعلوا فى حقهم المستحب كالواجب والمكروه كالمحرم والمحرم كأنه كفر ولزموا الادب مع سيدهم فلهذا بلغوا مرادهم لما أخلصوا ودهم ووادهم وأما صحبتهم للمردان فكان فى الزمن السابق لا يصحبه الا العارف به وبمكايد الشيطان ولهذا يصير عنده بمنزلة ولده بل أعز فان قلت ما الحكمة فى جعلهم البدايات خلف ظهورهم قلت لشدة اجتنابهم المكروهات والمحرمات فجعلوهم خلف ظهورهم لاجل أن لا ينظروا الى وجوههم ولا يمسوهم ولذلك أمروهم بغض البصر واطراق الرأس

وخفض الاصوات وأرشدوهم الى طريق الخيرات فاذا رأوا من الامرد خيرا ورشادا وسلوكا أحبوه لاجل ذلك وكتموا عنه المحبة ولم يعلموه بها حتى يكمل عقله ويطلع شعره فى وجهه لان الصغير مادام فى سن الصبا لا يؤلف به لانه ناقص سريع التغير فاذا طلع الشعر فى وجهه وكمل عقله وثبت قدمه فى الطريق أمنوا عليه فاعلموه بحبهم له ونظروا فى وجهه (وحكى) عن سويد المالكى وهو من مشايخ هذه الطريقة التى أسسوها انه ربى صغيرا وأدبه خلف ظهره حتى طلعت لحيته وبدأه الشيب ولا رآه فقال له يوما ياعم اشترى لى مشطا فقال له ما تصنع به قال أسرح به لحيتى فعند ذلك نظر اليه وقدمه فمثل هذا الذى يجوز له أن يربى الامرد خلف ظهره رضى الله عنه ويجاب أيضا عن جعلهم المبتديات خلف ظهورهم بأن النظر الى الامرد من غير شهوة مختلف فيه فعلى المعتمد انه لا يحرم حينئذ سواء كان للتعليم أو غيره فللمعلم أن ينظر اليه من غير شهوة ومن غير مماسة بينهما وله أن يختلى به ان أمن الفتنة فلما كان النظر مختلفا فيه وتقدم أنهم نزلوا السنة فى حقهم منزلة الواجب والمكروه منزلة المحرم والمحرم منزلة الكفر جعلوهم خلف ظهورهم حسما للباب وخروجا من الخلاف رضى الله عنهم ونفعنا بهم ويجاب أيضا بأنهم انما فعلوا ذلك اقتداء بفعله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فى وفد عبد القيس وقال انما كانت فتنة داود من النظر مع انه صلى الله عليه وسلم كان معصوما فغير المعصوم أولى أن يتجنب ما يجر الى الفتنة وأيضا الامرد لابد له من مرشد يرشده فلما تعرضوا الارشاده جعلوه خلفهم ربما ره الخير من غير أن يعلموه أو يتناموا معه واذا كانوا فى سفر أناموه وحده واذا كانوا فى الحضر أناموه فى خلوة ويكون بالنهار خلفهم وبالليل فى الخلوة وحده ولا ينظرون اليه حتى تطلع لحيته كما

تقدم عن سويد المالكي رضي الله عنه فهذه طريقة المطاوعة المرضيه وعليها يحمل قول الشيخ محمد بن داود الشربيني أنا صوفي وسلكت جميع الطرق فما رأيت أحسن من طريقة المطاوعة انتهى فكل من دنت فيه الاوصاف المتقدمة جاز له أن يربي الامرد وكل من كان خلاف ذلك لايجوز له أبدا وان خالف فهو هالك بمقوت ومن المخالفين المالكين مطاوعة أهل هذا الزمان * فانهم مطاوعون للشيطان * وعاصون للرحمن * لانهم يتامرن مع المردان * ويجلسون معهم كأنهم نسوان * ويأمرونهم بتكبيدهم وتحسيسهم يجعلونهم في اجتماعهم خلاف ظهورهم صورة وهي في الحقيقة معانقة بالظهور والصدور وغير ذلك وهذا خلاف ما كانت عليه المتقدمون من أهل هذه الطريق فنعم هؤلاء الاكابر ولكن بئس ما خلفوا فقد لبس عليهم الشيطان وأوقعهم في الطغيان وقال هذه طريقة الدين كذب عدو الله بل هي طريقة الشياطين فان اعتقدوا حل ما يفعلونه في هذا الزمان من القبائح مع المردان فقد كفروا وأوجبت لهم النيران قال سيدى القطب الرباني سيدى عبد القادر الجيلاني النظر في محاسن الامرد كله شر ما فيه ذرة من خير انتهى وأقبح هذه الامور معانقة البدايات بالظهور والصدور مع انخاء ساتر عليهما لان أحدهم يجد بذلك لذة وراحة عظيمة ويسمونها راحة الفقراء وهو مع ذلك يزعم أن هذه محبة لله وليس كما زعم بل هي معصية تغضب الله تعالى وتوجب عذابه حمانا الله من كل فعل يبعدنا عن الرحمن ومن كل خصلة ترضى الشيطان آمين بجاه سيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة والسلام (تتمة) من وظيفة البدايات بالنهار خدمة الفقراء وتقلية ثيابهم وغسل أيديهم وحمل الاباريق والنعال وغير ذلك مع غض أبصارهم واطراق رؤسهم وخفض أصواتهم وطلبهم

الدعاء من الفقراء الكبار والليل تهجدهم فيه على قدر نشاطهم ومن وظيفة كبارهم معهم تعليمهم الخير والشفقة عليهم وترغيبهم في الخصال الحميدة والاعمال السديدة ولين الكلام لهم وتأليفهم للطريق الى غير ذلك مما يرضي الرحمن ويغضب الشيطان وهذا لا يكون الا من عالم عارف رباني كالمتقدمين من مشايخ هذه الطريق وقد احوجنا الحال الى الخروج عن الاختصار في هذا المقام نسأل الله تعالى العفو والعافية وأن يجيرنا من النار وأن لا يهتك أستارنا بين يديه انه جواد كريم غفار ولله در القائل حيث قال

لا تصحبن أمردا يا ذا النهى * واترك هواه وارتجع عن صحبته
فهو محل النقص دوما والبلا * كل البلاء أصله من فتنته

وقال بعضهم

لا ترتجي أمردا يوما على ثقة * من حسنه طامعا في الخصر والكفل
فذاك داء عضال لا دواء له * مستجلب الهم والاسقام والعلل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ان تبدي تنكسف شمس الضحى * واذا ماماس يزري بالاسل)
(زاد ان قسناه بالبدر سنا * أو عدلناه بغصن فاعتدل)

الغرض من هذين البيتين وصف الامرد المذكور في البيت الذي قبلهما وانما وصفه بذلك لحسنه وجماله الفائق حتى انه ان تبدي أي ظهر تنكسف شمس الضحى أي تسود ويذهب ضوءها وخص الضحى بالذكر لان شمسه أضوء من غيره وحتى انه اذا ماس أي حلق رأسه بالموسى يزري أي يتهاون بالاسل يقال أزرى بالشيء ازراء تهاون به والاسل بالمهملة محركا كالرماح لدقة أطرافها ومنه أسلة اللسان لطرفه المستدق وأصل الاسل نبات يتخذ منه الحصر شبهت به الرماح قاله في شرح

لامية الطغرائي عند قوله

فالحب حيث العدا والاسد رابضة * حول الكناس لها غاب من الاسل

وفي الاشموني على الالفية عند قوله وشذ اياي واياه أشذ مانصه وشذ اياي في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتذك لكم أي لتذبح الاسل والرماح والسهام. اياي وان يحذف أحدكم الارنب والاصل اياي باعدوا عن حذف الارنب انتهى قال في حواشي الاشموني الاسل مارق من الحديد كالسيف والسكين انتهى ومقتضى عطف الرماح على الاسل انه غيرها والمعنى هنا اذا حلق رأسه بالموسى ازداد جمالا على جماله وزاد قتله للناظرين له على قتل الرماح أو مارق من الحديد للضرو بين بها فأزرى بالرماح أي بمارق من الحديد وصارت دونه تأثيرا هكذا ظهر لنا والله أعلم وقد ذكر العلامة الشيرازي في روضة القلوب انه رأى بحماه رجلا من أهل حمص يقال له ابن الدوري وكان فاضلا في فنه وعنده صبيان يعلمهم الخط فافتتن بغلام منهم واستهام به فبلغ ذلك أباه فمنعه من المضي اليه وأرسله الى مؤدب آخر وكان عدواله فلما بلغه الخبر ارتاع لذلك واشتدبه الغم والاسف ولم يكن له حيلة فكتب الى أبي الغلام رقعة يسأله أن يعيده اليه ويستعطفه بكلام لطيف فكتب اليه أبو الغلام بقوله هيهات لا تطمع نفسك بعود الغلام اليك أبدا بعد أن بلغني عنك ما بلغني ولئن ذكرت ولدي بعد ذلك رفعتك الى السلطان فلما قرأ الرقعة أطرق ساعة الى الارض واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد أن يقطر منهما الدم ثم جاشت نفسه وجاءه القيء فخرج الى باب المسجد وتقايأ دما اسود او مضى الى بيته فاضطجع والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجاءه الطبيب وسأله عن السبب فأخبره فحكم

عليه أربكه بده انفطرت ثم عالجه ثلاثة أيام فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع انتهى رحمه الله (فائدة) مابعداذ زائدة وقوله زادان قسناه أي شبهناه بالشمس سناها بالقصر أي ضوءا أي زاد ضياء على الشمس ان شبهناه بها وقوله وعدلناه بغصن فاعتدل أي سويناه وقسناه مقام الغصن فاعتدل أي استوى وقام مقامه أي انه من كثرة اعتدال قده يقوم مقام الغصن في ذلك وهذا التفسير الذي فسرنا به البيتين المذكورين غالبه مأخوذ من المصباح والمقصود من كلام الناظم رحمه الله تعالى انه يجب التغافل والتلاهي عن الامرد الجميل جدا الجامع للصفات الخمسة التي ذكرها في قوله وعن الامرد مرتج الكفل وان تبدى الى آخره واذا ماماس الى آخره وزادان قسناه الى آخره وعدلناه الى آخره لانه الذي يخاف منه الفتنة لجمال وجهه واعتدال قده وأما غيره ممن ليس فيه الصفات المذكورة فالواجب التغافل عنه أيضا لانه تقدم انه يحرم النظر الى الامرد بشهوة وان كان غير حسن باتفاق النووي والرفعي وانما لم يذكره الناظم لان الغالب عدم الافتتان به هكذا ظهر لنا والله أعلم قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(وافتكر في منتهى حسن الذي ＊ أنت تهواه تجد أمرا جلل)

هذا معطوف على قوله واله عن آلات لهو أطربت وعن الامرد أي أرح نفسك عن الاشتغال بآلة اللهو وبالامرد فاذا غلبت عليك نفسك ودعتك الى محبة شيء من زينة الحياة الدنيا فافتكر وتذكر في منتهى أي في نهاية وآخر حسن ذلك الشيء الذي أنت تهواه وتحبه وتميل اليه تجده مرا جللا بفتحتين أي هينا غير عظيم لان الدنيا فانية عاقبتها الى الزوال فأميرها حقير وغنيها فقير وعزها ذليل فاذا افتكرت في عاقبة الشخص الذي أنت تحبه تجد عاقبته الموت ثم يصير جيفة قذرة لم يطق

أحد الجلوس عندها ثم يصير ترابا وكذا كل من عليها من خلق وابل وبقر وخيل وأشجار وورود وزخرفة فسبحان الباقي بعد فناء خلقه قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب وقال تعالى اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أي هي اعجابها لكم وذهابها كمثل غيث أي مطر أعجب الكفار أي الزراع نباته الناشئ عنه ثم يهيج أي ييبس فتراه مصفرا ثم يكون حطاما أي فتاتا يذهب بالرياح وفي الآخرة عذاب شديد أي لمن آثر الدنيا على الآخرة ومغفرة من الله ورضوان أي لمن يؤثر الآخرة على الدنيا وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ويخرج بما ذكره الناظم ما اذا كان تذكره في نهاية ما عند الله عز وجل من الملك الذي لا يبلى والنعيم الذي لا يفنى وما أعد الله لعباده المتقين في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الامر فيه عظيم وليس بهين بل هو من باب الاعتبار المنصوص عليه بقوله تعالى فاعتبروا يا أولي الابصار (تنبيه) قال الخليل والجوهري رحمهما الله تعالى الامر الجلل بضم الجيم العظيم وبفتحها الحقير وهذه اللفظة وقعت في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم من امرأة قتل أبوها وابنها وزوجها في تلك الغزوة ورأتهم صرعى على الارض ورأت النبي صلى الله عليه وسلم راكبا على فرسه فقالت له يا رسول الله كل شيء دونك جلل أي هين حقير رضي الله عنها ونفعنا بها (فائدة) الهوى يطلق بمعنى المحبة كما في قول الناظم أنت تهواه أي تحبه وكما في قول البوصيري

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل ☆ ولا أرقت لذكر البان والعلم

وينطلق بمعنى الباطل كما فى قوله تعالى ولا تتبع الهوا فيضلك عن سبيل
الله وقوله تعالى وما ينطق عن الهوا أى بالباطل فعن فى الآية بمعنى
الباء قال بعضهم وإنما سمى الهوا هوا لانه يهوى بصاحبه الى ما لا راذل له
روى البزار عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات
خشية الله تعالى فى السر والعلانية والحكم بالعدل فى الرضا والغضب
والاقتصاد فى الغنى والفقر والمهلكات شح مطاع وهوا متبع واعجاب
المرء برأيه وكان على خاتم بعض الحكماء مكتوب من غلب هواه على
عقله افتضح وعن سليمان بن داود الغالب لهواه أشد من الذى يفتح
المدينة وحده وعن حذيفة بن قتادة قال كنت فى مركب فكسرت
بنا فوقعت أنا وامرأة على لوح فمكثنا سبعة أيام فقالت المرأة عطشنا
فسألت الله أن يسقيها فنزلت عليها من السماء سلسلة فيها كوز
معلق فيه ماء فشربت فرفعت رأسى أنظر الى السلسلة فرأيت رجلا
جالسا فى الهواء فقلت ممن أنت فقال من الانس فقلت فما الذى
بلغك هذه المنزلة قال آثرت مراد الله على هواى فأجلسنى كما ترانى
وعن عبد الواحد بن محمد الفارسى قال سمعت بعض أصحابنا يقول
رأيت غرفة فى الهواء وفيها رجل فسألته عن حالته التى بلغته الى تلك
المنزلة قال تركت الهوا فأدخلت فى الهواء وقال رجل للحسن
يا أبا سعيد أى الجهاد أفضل قال جهادك هواك وقيل ليحيى بن معاذ
من أصح الناس عزما فقال الغالب لهواه ودخل خلف بن خليفة
على سليمان بن حبيب وعنده جارية يقال لها البدر من أحسن
الجوارى وجها وأكمله فقال سليمان لخلف كيف ترى هذه الجارية
فقال أصلح الله أمير المؤمنين ما رأت عيناى أحسن منها فقال خذ

بيدها فقال ما كنت لافعل ولا أسلمها للامير وقد عرفت عجبه بها فقال
خذها على عجبي بها اليه لم هوى انى غالب له فأخذ بيدها وخرج وهو
يقول

لقد حبانى وأعطانى وفضلنى * من غير مسئلة منى سليمان
أعطانى البدر جودا فى محاسنها * والبدر لم يعطه انس ولا جان
ولست حقا بناسى عرفه أبدا * حتى يغيبنى لحد وأكفان

واعلم بأن الهوا بالقصر هو المراد هنا ويجمع على اهواء وأما الهواء بالمد فهو
ما بين السماء والارض ويجمع على أهوية ويجمعها قول بعضهم

جمع الهوامع الهوا فى أضلعى * فتكاملت فى مهجتى ناران
فقصرت بالممدود عن نيل المنى * ومددت بالمقصور فى أكفان

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(واهجر الخمرة ان كنت فتى * كيف يسعى فى جنون من عقل)

أى اترك الخمرة وتجنبها ان كنت فتى أى شابا قويا حاذقا كاملا مستجمعا
لخصال الكمال وجمعه فتية وفتيان كما قرىء بهما فى السبع فى قوله
تعالى وقال لفتيته الآية وسمى الله تعالى يوشع بن نون عليه السلام فتى
فى قوله واذ قال موسى لفتاه الآية لانه كان سيدا اعظم ملازما لمن
يأخذ العلم عنه ثم أظهر الناظم رحمه الله تعالى التعجب ممن أعطاه الله
عز وجل جزءا من العقل الذى هو أحب المخلوقات اليه تعالى ومع ذلك
يصدر منه هذا الفعل الذميم الذى لا يصدر الا من المجانين فقال كيف
يسعى أى يذهب ويتسبب فى جنون أى زوال عقل من عقل بفتحتين
أى من تدبر ونظر فى العواقب قال فى المصباح عقلت الشىء عقلا من
باب ضرب تدبرته انتهى (واعلم) أن حقيقة الخمرة هى المتخذة من عصير
العنب خاصة واتفقت العلماء رضى الله عنهم على أن هذا خمر نجس

يحد شاربه ويفسق ويكفر مستحله ولو لم يسكر وأما غيره كالمتخذ من التمر والحنطة والشعير والذرة والزبيب فلا يكون له حكم الخمرة الا اذا أسكر فحينئذ يكون نجسا ويحد شاربه ويفسق ويكفر مستحله انتهى وكانت مباحة فى صدر الاسلام يحل تناولها لكل أحد كسائر المباحات ولما حرمها الله تعالى سلب منها جميع المنافع قال البغوى فى تفسير قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية ما نصه وجملة القول على تحريم الخمر ان الله أنزل فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال يومئذ ثم ان عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أفتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس الى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعى أناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب وتقدم بعضهم ليصلى بهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف لا النافية فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر فى أوقات الصلاة فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا لا خير فى شىء يحول بيننا وبين الصلاة وتركها قوم فى أوقات الصلاة وشربوها فى غير أوقاتها حتى كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر واتخذ عتبان بن مالك طعاما ودعى رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبى وقاص وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ثم انهم افتخروا عند عتبان

وانتسبوا وتناشدوا الاشعار وأنشد سعد قصيدة فيها هجو للانصار
وفخر لقومه فأخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب به رأس سعد
فشجه شجة موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشكا اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل
الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب
بأيام فقال عمر انتهينا يارب انتهى قال في تنبيه الغافلين في الباب
الخامس عشر ما نصه عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجاء بشارب الخمر يوم القيامة مسود الخد مزرقة
عيناه خارجا لسانه على صدره يسيل لعابه يتقذره كل من رآه فلا تسلموا
على شاربي الخمر ولا تعودوهم اذا مرضوا ولا تصلوا عليهم اذا ماتوا أقول
هذا محمول على المستحل لها والله أعلم قال كعب الاحبار رضى الله
عنه لان أشرب قدحا من نار أحب الى من أن أشرب قدحا من خمر وعن
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مسكر حرام وكل مسكر
خمر فمن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو مدمنها ولم يتب منها لم يشربها
في الآخرة وعن جابر بن عبد الله الانصاري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال ما أسكر كثيره فقليله حرام وعن الزهري رضى الله
عنه أن عثمان بن عفان قام خطيبا فقال يا أيها الناس اتقوا الخمر فانها
أم الخبائث وان رجلا كان قبلكم من العباد وكان يختلف الى مسجده
فلقيته امرأة سوء فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل وأغلقت الباب
وعندها خمر وصبي فقالت لا تفارقني حتى تشرب كأسا من هذا
أو تواقعني أو تقتل هذا الصبي والا صحت وقلت هذا دخل على في بيتي
فمن الذي يصدقك فقال الرجل أما الفاحشة فلا آتيها وأما النفس

فلما أفناها فشرب كأسا من الخمر فوالله مابرح حتى واقع المرأة وقتل الصبي فقال عثمان رضي الله عنه فاجتنبوها فانها أم الخبائث وانه والله لا يجتمع الايمان والخمر في قلب رجل الا يوشك أن يذهب أحدهما الآخر يعني ان شارب الخمر يجري على لسانه كلمة الكفر فيخاف عليه أن يقولها عند الموت فيخرج من الدنيا على الكفر فيبقى في حسرة وندامة وروي في بعض الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج شارب الخمر من قبره وهو أنتن من الجيفة والكوز معلق في عنقه والقدح بيده ويملأ ما بين جلده ولحمه حيات وعقارب ويلبس نعلا يغلي منها رأسه ويجد قبره حفرة من حفر النار ويكون في النار قرين فرعون وهامان (واعلم) أن في شربها عشر خصال مذمومة أولها اذا شربها يصير بمنزلة المجنون ويصير ضحكة للصبيان ومذموما عند العقلاء كما ذكر عن أبي الدنيا أنه قال رأيت سكرانا في بعض سكك بغداد يبول ويمسح بثوبه ويقول اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وذكر أن سكرانا ملقيا في الطريق فجاء كلب يلحس فاه وهو يقول ياسيدي حاشاك لاتفسد المنديل بارك الله فيك ثم ان الكلب رفع رجله وبال في وجهه وهو يقول وماء حار الثانية أنها مذهبة للعقل متلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اللهم أرنا رأيك في الخمر فانها متلفة للمال مذهبة للعقل الثالثة أن شربها سبب للعداوة بين الاخوان والاصدقاء والناس كما قال تعالى انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو القمار الرابعة أن شربها يمنع من ذكر الله ومن الصلاة كما قال تعالى ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة الخامسة أن شربها يحمل على الزنا وعلى طلاق امرأته وهو لا يدري السادسة أنها مفتاح كل شر لانه اذا شرب الخمر سهل عليه

جميع المعاصي السابعة أن شربها يؤذي الحفظة الكرام بالرائحة الكريهة الثامنة أن شاربها أوجب على نفسه ثمانين جلدة فان لم يضرب في الدنيا ضرب في الآخرة بسياط من نار على رؤس الاشهاد والناس ينظرون اليه والآباء والاصدقاء التاسعة أنه أغلق باب السماء على نفسه فلا ترفع حسناته ولا دعاؤه أربعون يوما العاشرة أنه مخاطر بنفسه لانه يخاف عليه أن ينزع الايمان منه عند موته *(وأما العقوبات)* التي له في الآخرة فانها لا تحصى كشرب الحميم والزقوم وفوت الثواب وعن أسماء بنت زيد رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرب الخمر فجعلت في بطنه لم يقبل الله منه صلاة سبعة أيام فان هي أذهبت عقله لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوما وروي عن بعض الصحابة أنه قال من زوج ابنته لشارب الخمر فكأنما ساقها الى الزنا معناه أن شارب الخمر يجري على لسانه الطلاق فربما حرمت عليه امرأته وهو لا يشعر وروي عن ابن مسعود أنه قال اذا مات شارب الخمر فادفنوه ثم أجلسوني ثم انبشوه فان لم تجدوه مصروفا عن القبلة فاقتلوني وروي عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حلف ربي بعزته لا يشرب عبد من عبيدي الخمر في الدنيا الا حرمته عليه في الآخرة ولا يتركها عبد من عبيدي في الدنيا الا شربها في حضيرة القدس قيل وما حضيرة القدس قال الجنة وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال حق على الله أن لا يشرب الخمر عبد من عبيده في الدنيا الا شرب من طين الخبال قيل يارسول الله وما طين الخبال قال صديد أهل النار وروي عن ابن عباس أنه قال لما نزلت آية تحريم الخمر قالوا كيف اخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها فانزل قوله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات

جناح فيما طعموا الآية يعني لا اثم على الذين شربوا الخمر قبل تحريمها
والله أعلم ومن أراد المزيد فعليه بالكتاب المذكور (فائدة) ذكر
سيدي على الاجهوري المالكي في غاية البيان لحل شرب مالا يغيب
العقل من الدخان نقلا عن الشيخ خليل مانصه قاعدة تنفع الفقيه
يعرف بها الفرق بين المسكر والمفسد والمرقد فالمسكر ماغيب العقل
دون الحواس مع نشاط وطرب وفرح والمفسد ماغيب العقل دون
الحواس لا مع نشاط وطرب وفرح والمرقد ماغيب العقل والحواس
وينبني على الاسكار ثلاثة أحكام الحد والنجاسة وتحريم القليل اذا
تقرر ذلك فلامتأخرين في الحشيشة قولان قيل انها مسكرة وبه قال
الشيخ عبد الله المنوفي قال لانا رأينا من يتعاطاها يبيع أمواله لاجلها
فلولا أن لهم فيها طربا لما فعلوا ذلك قلت وبهذا قال الزركشي من
الشافعية فقال لا يجوز من الحشيشة لا قليل ولا كثير وقيل انها من
المفسدات وصحح هذا القول الشيخ أبو الحسن في شرح المدونة والعلامة
ابن مرزوق واشهاب القرافي وتبعه عليه المحققون لان المتعاطين لها
لا يميلون الى القتال والنصرة بل عليهم الذلة والمسكنة قلت وبهذ قال
ابن دقيق العيد من الشافعية فقال والافيون وهو لبن الخشخاش
أقوى فعلا من الحشيشة لان القليل منه يسكر مع أنه طاهر بالاجماع
وكذلك الحشيشة طاهرة وقال النووي في شرح المهذب لا يحرم أكل
القليل الذي لا يسكر من الحشيشة بخلاف الخمر فانه يحرم قليلها الذي
لا يسكر انتهى ومثل الحشيشة البنج والافيون فيجوزا كل القليل الذي
لا يسكر من الثلاثة وأما الواصل الى التأثير في العقل والحواس منها
فحرام ثم قال اذا تقرر هذا فنقول شرب الدخان المعروف ليس مما يغيب
العقل أصلا وليس بنجس وما كان كذلك لم يحرم استعماله لذاته بل لما

يعرض عنه من ضرر ونحوه فمن لم يضره لم يحرم عليه ومن ضره باخبار عارف يوثق به أو بتجربة في نفسه حرم عليه وقد جرى الخلاف في الاشياء التي لم يرد في الشرع حكمها والمرجح منه تحريم الضار دون غيره وأنت خبير بأن ما يحصل منه لبعض مبتدى شربه من الفتور كما يحصل لمن ينزل في الماء الحار أولمن يشرب مسهلا ليس من تغييب العقل في شيء كما يظنه بعض من لا معرفة له وان سلم أنه مما يغيب العقل فليس من المسكر قطعا لانه ليس مع نشاط وفرح كما علم وحينئذ فيجوز استعماله لمن لا يغيب عقله كاستعمال الافيون لمن لا يغيب عقله وهذا يختلف باختلاف الامزجة والقلة والكثرة فقد يغيب عقل شخص ولا يغيب عقل آخر وقد يغيب منه استعمال الكثير دون القليل فلا يسع عاقلا أن يقول انه حرام لذاته مطلقا الا اذا كان جاهلا أومكابرا معاندا لانه بعد الوقوف على كلام أهل المذهب ومعرفته يصير الحكم بحل مالا يغيب العقل منه لذاته من قسم البديهي الذي لا يسع عاقل انكاره ولنذكره بصورة الشكل الاول من القياس الذي هو بديهي الانتاج فنقول ان شرب الدخان المذكور على الوجه المذكور لا يغيب العقل مع نشاط وفرح وهو ظاهر وكل ما كان كذلك يجوز استعمال القدر الذي لا يغيب العقل منه والصغرى بينة اذ هي من الوجدانيات والمشاهدات والكبرى دليلها ما سبق من كلام الائمة فالنتيجة بديهية فمنكرها منكر البديهي فان قلت قولك ان الدخان المذكور طاهر ممنوع لانه يبل بالخمر قلت ان تحقق هذا فحرمته لامر عارض لا لذاته وان لم يتحقق ذلك فالاصل الطهارة وهذا على فرض صحته انما هو فيما يأتي من بلاد النصارى ونحوها وأما ما يأتي من بلاد التكرور ونحوها فهو محقق السلامة من هذا على أن ابن رشد جازم بطهارة دخان النجس فان قلت استعمال

هذا سرف وهو حرام قلت صرف المال فى المباحات على هذا الوجه ليس بسرف فان قلت هو مضر فيحرم لضرره قلت ان تحقق هذا فحرمته لامر عارض كما سبق فيحرم على من يضره خاصة دون غيره ودعوى أنه مضر مطلقا بلا دليل كيف وقد وجد نفعه بالمشاهدة فى بعض الامراض كازلة الطحال وهذا وقد أفتى العلامة الشيخ العابد عبد الله ابن العلامة الشيخ محمد النحريرى الحنفى بأن شرب الدخان انما يحرم على من ضره باخبار طبيب عارف مسلم يوثق به أو بتجربة والا فهو حلال انتهى وأفتى مرة أخرى على سؤال رفع اليه بأنه لا يحرم الا على من يغيب عقله أو يضره ونص السؤال ماقولكم رضى الله عنكم فى شرب الدخان الحادث فى هذا الزمان هل يحرم على من لا يغيب عقله ولا يضر جسده وهل ورد حديث فى ذمه ولو ضعيفا أم لا أفتونا مأجورين ونص الجواب الحمد لله رب العالمين رب زدنى علما لا يحرم الا على من يغيب عقله أو يضره ومن لا فلا وأما ورود حديث فى شأن ذلك فغير منقول فى شىء مما وقفنا عليه من كتب الحديث لا على طريق الصحة ولا على طريق الضعف بل ولا على طريق الوضع ممن التزم ذكر الموضوعات وأما ما ينقل على الالسنة فهو من أكاذيب أهل عصرنا والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال وكتبه عبد الله بن محمد النحريرى الحنفى حامدا مصليا وأفتى شيخ الشافعية فى زمنه الشيخ على الزيادى الشافعى على سؤال رفع اليه بأنه يحرم شربه لمن يغيب عقله دون غيره وكذا أفاد الشيخ العارف بالله تعالى العلامة عبد الرؤف المناوى الشافعى وكذلك الشيخ الفقيه المتقن المحرر الشيخ محمد الشوبرى الشافعى ونص ما كتبه ليس شرب الدخان حراما لذاته بل هو كغيره من المباحات ودعوى كونه حراما لذاته من الدعوى التى لا دليل عليها وانما نشأ اظهار المخالفة على وجه

المجازفة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وكتبه محمد بن أحمد الشوبري الشافعي انتهى وقد أفاد ذلك الشيخ العالم الكامل الشيخ مرعي الحنبلي رحمه الله تعالى فانه كتب على سؤال يتضمن حكم شرب الدخان المذكور ما نصه شربه ليس بحرام لذاته حيث لم يترتب عليه مفسدة بل هو بمنزلة شرب دخان النار التي لم ينفخها نافخ وباتفاق لا قائل بتحريم ذلك ولا تقتضي قواعد الشريعة تحريم شرب الدخان المذكور ولا شبهة أنه من البدع ومن المعلوم أن البدعة الحادثة تعرض على قواعد الشريعة فان أشبهت المباح فمباحة أو الحرام فمحرمة الى غير ذلك من بقية الاحكام وان تدبر العاقل أمر الدخان وجده ملحقا بالبدع المباحة ان لم يترتب عليه مفسدة ولم يرد في ذمه حديث عند فقهاء الحنابلة والله أعلم وكتبه الفقير مرعي المقدسي الحنبلي وأتى بذلك الشيخ العلامة العارف بالله تعالى الشيخ أحمد المالكي ونص ما كتبه الدخان المذكور حرام لمن يغيب عقله أو يؤذي جسده اذا أخبره بذلك طبيب عارف يوثق به أو علم ذلك من نفسه بتجربة والا فهو غير حرام والله أعلم انتهى وأما ما يرد من الاحاديث المتعلقة بذمه فهو باطل لا أصل له وقد ذكر الشيخ العلامة عبد الرؤف المناوي المذكور أنه ورد عليه أسئلة كثيرة تشتمل على أحاديث في ذم الدخان لا أصل لها وانه لم يوجد حديث بذمه أصلا والله أعلم فقد اتضح لك أن شرب ما لا يغيب العقل من الدخان غير محرم لذاته باتفاق المذاهب الاربع واذا ثبت هذا فلا يحرم بمنع ولي الامر على من علم انتفاعه به ولم يغيبه لانه حينئذ صار ممنوعا باستعماله الذي ترتب استعماله ترك لمن طلب منه وطاعة الامام لا تجب في مثل هذا على أحد القولين الآتيين وكذا ان لم يعلم ذلك ولم يضره ولم يغيب عقله ان علم أن سبب منعه أي ولي

الامر عن استعماله اعتقاد حرمته وان علم أن سبب المنع من استعماله مصلحة أخرى مع اعتقاد اباحته حرم لانه تجب طاعة السلطان فى غير المعصية فاذا منع من مباح وجبت طاعته وان لم يعلم سبب ذلك فانه يحمل على الاول الظنون بل المحقق أنه لايمنع الناس من المباح الذى لا يعتقد حرمته على أنه قد يقال ان منع الامام من المباح لا يعمل به الا اذا كان مذهبه ذلك وأفتى الشيخ عبد الله الحنفى المذكور بأن منع الامام من المباح لغرض لا يوجب حرمة وليس له منع الناس منه وأفتى العلامة ابن قاسم الشافعى بأن منع الامام من المباح انما يوجب المنع ظاهرا فقط ونص ما كتبه نهى الامام يمنع ارتكاب المنهى عنه وان كان مباحا على ظاهر كلام أصحابنا ويكفى الانكفاف ظاهرا وهذا آخر ما أردنا ايراده من رسالة سيدى على الاجهورى المذكورة (فائدة) ذكر الزرقانى عن العزية ما نصه سئل سيدى على الاجهورى عن الدخان وان شخصا ينقل فيه أحاديث وهى اياكم والخمر والخضرة وان حذيفة قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شجرة فهز رأسه فقلت يارسول الله لم هزيت رأسك فقال يأتى ناس فى آخر الزمان يشربون من أوراق هذه الشجرة ويصلون بها وهم سكارى أولئك هم الاشرار هم بريئون منى والله برىء منهم وعن على من شربها فهو فى النار أبدا ورفيقه ابليس ولاتصافحوا شارب الدخان ولاتصحبوه ولاتسلموا عليه فانه ليس من أمتى وفى خبر أنهم من أهل الشمال وهو شراب الاشقياء وهى شجرة خلقت من بول ابليس حين سمع قول الله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الآية فدهش فبال فخلقت من بوله بينوا لنا الجواب عن هذه الاحاديث وهل هى واردة وماذا يترتب على راويها بالكذب وماذا يلزمه حيث نفى الايمان والاسلام عن شاربها من غير أصل وهل يحرم

استعماله أم لا فأجاب بما نصه دعوى ان هذه الاحاديث واردة فى الدخان كذب وافتراء كما بينه الحفاظ الاعيان وركاكة تلك الالفاظ دالة أيضا على ذلك قال الربيع بن خيثم ان للحديث ضوءا كضوء النهار ولغيره ظلمة كظلمة الليل ومن كذب عليه صلى الله عليه وسلم متعمدا فهو من أهل النار كما فى خبر الصحيحين من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار والكذب عليه صلى الله عليه وسلم كبيرة اجماعا حتى فى الترغيب والترهيب ولا التفات لقول امام الحرمين بتكفير الكاذب عليه ولا لمن شذ فجوزه فى الترغيب والترهيب ويلزمه التعزير اللائق بحاله بحسب اجتهاد الحاكم بسبب كذبه على الوجه المذكور وبنفيه الايمان والاسلام عن شاربه ولا يحرم استعماله الا لمن يغيب عقله أو يضره فى جسده أو يؤدى استعماله الى ترك واجب عليه كنفقة من تلزمه نفقته أو تأخير الصلاة عن وقتها أو نحو ذلك والله أعلم وسئل أيضا عن جواز بيع الافيون ونحوه فأجاب بما نصه يجوز بيع الافيون ونحوه من المفسدات التى لا تغيب العقل لا مع نشاط وطرب لمن يأكل منه القدر الذى لا يغيب عقله وكذا لمن اعتاد أكله حتى صار يحصل له الضرر الشديد بالترك وكذا لمن يستعمله فى غير الاكل من الادوية ونحوها ثم قال وأما بيع العشب المسمى بالدخان فى هذا الزمان وان كان اسمه فى كتب الطب الطباق بكسر الطاء المهملة وفتح الموحدة المشددة فلا يمنع بيعه الا لمن تحقق أو غلب على الظن أنه اذا استعمله غيب عقله وهو نادر جدا كما هو مشاهد انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(واتق الله فتقوى الله ما ✲ جاورت قلب امرء الا وصل)

أى اتبع الامر واجتنب النهى لان اتباع المأمور واجتناب المنهى

ماجاور قلب شخص سواء كان ذكرا أو أنثى الاوصل لربه سبحانه وتعالى فالمراد بالتقوى اتباع الاوامر واجتناب النواهي فمن المأمور به أنواع الطهارة كالوضوء والغسل والتيمم وازالة النجاسة ومنه الصلاة بأنواعها فرضا ونفلا عينا وكفاية ومنه أيضا الزكاة بأنواعها والصوم بأنواعه والحج والعمرة بأنواعهما ومنه أيضا أنواع المعاملات كالبيع والسلم والصلح والحوالة والاجارة ونحو ذلك ومنه أيضا الانكحة والاصدقة والطلاق والرضاع والنفقات ونحو ذلك ❁ ومنه أيضا فروض الكفايات كالجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحياء الكعبة بالحج كل عام وغير ذلك ومنه أيضا ماكمل الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق كالزهد والورع والتوكل والقناعة وحسن الخلق وكظم الغيظ والعفو عند القدرة وقضاء حوائج المسلمين وغير ذلك ومن المنهي عنه الشرك بالله تعالى وقتل النفس بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر والسرقة وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات المصونات المؤمنات الغافلات والغيبة والنميمة وأكل أموال الناس ظلما وعدوانا كالغصب ونحو ذلك قال وكل هذه المأمورات والمنهيات داخلة تحت قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ومثلها قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واذا اتبع الانسان الامر واجتنب النهي فقد جاورت التقوى قلبه وصار في كل وقت يشاهد ربه فيكون حينئذ سامعا بالله ناطقا بالله باطشا بالله ماشيا بالله متحركا بالله ساكنا بالله وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل وما تقرب الى عبدي بشيء أفضل مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى

بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه انتهى. قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ليس من يقطع طرقا بطلا * إنما من يتق الله البطل)

أي ليس الشخص الذي يقطع الطرق أي يمنع الناس من المرور فيها بطلا أي شجاعا ماهرا سمي بذلك لبطلان الحياة عند ملاقاته بل البطل والشجاع هو الشخص المتقي الله سبحانه وتعالى لانه من شجاعته قهر نفسه وأبطل كيدها التي هي أقوى من سبعين شيطانا حيث جعلها متبعة للمأمورات ومجتنبة للمنهيات وقد قال صلى الله عليه وسلم حين رجوعه من بعض الغزوات رجعتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر جهاد النفس وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وفي الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على أشدكم أملككم لنفسه عند الغضب رواه الطبراني عن أنس (واعلم) بأن التقوى وان قل لفظها كلمة كثيرة المعنى شاملة لخير الدارين اذ هي تجنب كل منهي عنه وفعل كل مأمور به كما سبق وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن التقوى فقال هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير وقيل تقوى الله أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ولهذا قال بعضهم للشخص اذا أردت أن تعصي الله فاعصه حيث لا يراك واخرج من داره وكل رزقا غير رزقه وقال أكثر المفسرين في قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له

عمر جاو برزقه من حيث لا يحتسب انها نزلت في عوف بن مالك
الاشجعي أسر المشركون ابناله يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشكى الفاقة اليه وقال ان العدو أسر ابني وجزعت الام
فما تأمرنا فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله واصبر وآمرك واياها
أن تكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العظيم فعاد لبيته وقال لامرأته
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني واياك أن نكثر من قول لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قالت فنعم ما أمرنا به فجعلا يقولانها فغفل
العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى أبيه وهي أربعة آلاف شاة
فنزلت الآية وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا وكتب لابيه أما بعد
فاني أوصيك بتقوى الله عز وجل من اتقاه وقاه ومن أقرضه جازاه
ومن شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينك وجلاء قلبك ولما ولي
علي رضي الله عنه الخلافة بعث رجلا على سرية فقال أوصيك بتقوى
الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه وهل تملك الدنيا
والآخرة الا بالتقوى وفي منهاج العارفين أن بعض الصالحين قال
لبعض أشياخه أوصني بوصية قال أوصيك بوصية رب العالمين للاولين
والآخرين وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من
قبلكم واياكم أن اتقوا الله وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام
أنه قال من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله قال تعالى ان
أكرمكم عند الله أتقاكم ولبعضهم رضي الله عنه

من عرف الله فلم تغنه * معرفة الله فذاك الشقي
ما يصنع العبد بعز الغنى * والعز كل العز للمتقي

وقال بعضهم

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى * تقلب عريانا ولو كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه * ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ولأبي الدرداء رضي الله عنه

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله عز وجل يا أيها الناس اني قد جعلت لي نسبا وجعلت لكم نسبا فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم لا فلان بن فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي أين المتقون فينتصب للمتقين لواء فيتبعون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب انتهى واذا تأملت ما تقدم ظهرت لك ثمرة التقوى وعلمت أنها كافلة للسعادة في الدارين نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتقين المنسوبين اليه آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(صدق الشرع ولا تركن الى * رجل يرصد في الليل زحل)

الكلام على حذف مضاف أي صدق صاحب الشرع وهو النبي صلى الله عليه وسلم في جميع ما جاء به من عند الله وصار معلوما بالضرورة والامر في عبارة الناظم للوجوب لانه يجب التصديق بالقلب والاقرار باللسان لكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والمعاملات بأنواعها والجنة والنار واللوح والقلم والحوض والصراط والميزان وعذاب القبر ونعيمه وسؤال منكر ونكير والشفاعة العظمى واخراج قوم من النار بشفاعة الشافعين والبعث بعد الموت وأن الجنة والنار خلقهما الله للبقاء وان أهل الجنة فيها منعمون أبدا وان أهل النار غير أهل الكبائر من

المؤمنين فيها معذبون أبدا او يحتمل أن المراد بالشرع الدين المبعوث به المصطفى صلى الله عليه وسلم وعليه فليس فى عبارته حذف أى صدق الشرع فيما جاء به من أمر ونهى ووعد ووعيد وفى كونه ناسخا لجميع الشرائع القديمة وغير ذلك (فائدة) الدين والملة والشرع والشريعة ألفاظ مترادفة مختلفة اعتبارا وذلك لان الاحكام من حيث اشتهارها وظهورها وتشريعها تسمى شرعا وشريعة ومن حيث املاء الشارع اياها لنا تسمى ملة ومن حيث انقياد الخلق لها تسمى دينا وقوله ولا تركن الى زحل يرصد فى الليل زحل أى ولا تعتمد على زحل يرصد أى يترقب وينظر فى الليل زحل أى لا تصدق قول المنجمين لان أقوالهم كاذبة قال الله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون فمن صدقهم فقد سلك طريقا مهلكا وتخصيص الناظم رحمه الله تعالى النهى عن الارصاد بزحل ليس بقيد بل الكواكب السبعة السيارة كذلك وهى القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل وكل واحد منها له فلك يختص به فالفلك الاول للقمر والثانى لعطارد والثالث للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشترى والسابع لزحل وكل فلك منها فى سماء وقد جمع ذلك بعضهم مبتدئا بما فى السابعة فما دونها على الترتيب فى قوله

زحل شرى مريخه من شمسه ❊ فتزاهرت لعطارد الاقمار

قال الثعلبى رحمه الله تعالى سعة القمر ألف فرسخ فى ألف فرسخ مكتوب فى وجهه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن أجرى الله الخير على يديه والويل لمن أجرى الله الشر على يديه وفى الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم ان من الناس ناسا مفاتيح

للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه رواه ابن ماجه عن أنس وأما الشمس فقال الثعالبي أيضا مساحتها سبعة آلاف فرسخ وأربعمائة فرسخ في مثلها مكتوب في وجهها لا اله الا الله محمد رسول الله سبحان من رضاه كلام وغضبه كلام ورحمته كلام وعقابه كلام سبحان القادر والحكيم الخالق المقتدر انتهى فقد علم من كلام الناظم رحمه الله تعالى انه لا تأثير لهذه الكواكب المذكورة ولا لغيرها من المخلوقات فقد ذكر الشبرخيتي على الاربعين النووية مانصه ورد عن علي رضي الله عنه أنه لما أراد لقاء الخوارج قال له مسافر بن عوف يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال لانك ان سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء عظيم وضرر شديد وان سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت مطلوبك فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فمن صدقك في هذا القول أخاف عليه أن يكون كمن اتخذ مع الله ندا أو ضدا اللهم لا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال له نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان انتهى وذكر الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء انه في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة اجتمعت الكواكب في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع

البلاد بريح عظيمة فشرع الناس فى حفر مغارات فى الارض وتوثيقها وسد منافسها على الريح ونقلوا اليها الماء والزاد وانتقلوا اليها وانتظروا الليلة التى أخبروا انها بها ريح كريح عاد وهى الليلة التاسعة من جمادى الآخرة فلم يأت فيها شىء ولا هبت فيها نسيم بحيث أوقدت الشموع فلم يتحرك فيها ريح يطفئها فظهر بذلك كذب المنجمين انتهى والاحاديث فى النهى عن تصديقهم كثيرة منها ماذكر فى الجامع الصغير عن الامام أحمد عن بعض أمهات المؤمنين أنه صلى الله عليه وسلم قال من أتى عرافا فسأله عن شىء لم تقبل صلاته أربعين ليلة قال العلامة المناوى العراف بفتح العين المهملة وتشديد الراء المهملة أيضا من يخبر بالامور الماضية أو بما خفى وقوله فسأله عن شىء أى من نحو المغيبات وانما خص الاربعين على عادة العرب فى ذكر الاربعين والسبعين والتسعين للتكثير وخص الليلة لان عادتهم ابتداء الحساب بالليالى وخص الصلاة بعدم القبول لكونها عماد الدين فصومه كذلك ومعنى عدم القبول عدم الثواب وان كانت مجزئة فى سقوط الفرض عنه ولا يحتاج معها الى اعادة ونظيره هذا الصلاة فى الارض المغصوبة مسقطة للقضاء ولكن لا ثواب فيها انتهى ومنها ماذكره فى الجامع أيضا عن الامام أحمد عن أبى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما نزل على محمد قال العلامة المناوى بعد قوله أو كاهنا وهو ما يخبر عما يحدث وقوله فصدقه أى اما وسأله معتقدا صدقه فلو سأله معتقدا كذبه لم يلحقه الوعيد انتهى ومنها ماذكره فى الجامع أيضا عن واثلة بن الاسقع انه صلى الله عليه وسلم قال من أتى كاهنا يسأله عن شىء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فان صدقه بما قال كفر قال العلامة المناوى بعد قوله كفر أى ستر النعمة فان اعتقد صدقه فى دعواه

الاطلاع

الاطلاع على الغيب كفر حقيقة انتهى وقال العلقمي قال النووي قال القاضي عياض كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدها يكون للانسان ولي من الجن يخبره بما يسترقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم وثانيها أن يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الارض وما خفي عنه بما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين وأحالوهما ولا استحالة في ذلك ولا بعد في وجوده وثالثها المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما لكن الكذب فيه أغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الامور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها ومنه الضرب بالحصا الذي تفعله النساء ومنه أيضا الخط بالرمل والنجوم وهذه الاضرب كلها تسمى كهانة وقد كذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم واتيانهم وقال الخطابي وغيره العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضالة ونحوهما انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به امين

(حارت الافكار في قدرة من * قد هدانا سبلنا عز وجل)

أي تحيرت الافكار في قدرة الله تعالى الذي هدانا وبين لنا الطرق الموصلة الى النعيم الدائم وذلك كالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الاعمال الصالحة التي لا تنحصر فهذه الطرق بينها لنا المولى سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وهي موصلة الى الجنة قال تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (واعلم) أن دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته وأما القصور والحور والولدان وغير ذلك من النعيم

فعلى قدر الاعمال قلة وكثرة وما ذكره الناظم رحمه الله تعالى من أن الافكار تحيرت فى قدرة الله مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى الله رواه الطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر قال المناوى تفكروا فى آلاء الله أى نعمه التى أنعم بها عليكم ولا تتفكروا فى الله فان كلما خطر بالبال فهو بخلافه ومن قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس قال المناوى لانه لا تحيط به الافكار بل تتحير فيه العقول والانظار ومن قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى كل شىء ولا تتفكروا فى الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك رواه أبو الشيخ فى كتاب العظمة عن ابن عباس ومن قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى الله رواه أبو الشيخ عن أبى ذر قال المناوى تفكروا فى خلق الله أى مخلوقاته التى يعرف العباد أصلها جملة لا تفصيلا كالسماء بكواكبها وحركاتها والارض وما فى جبالها وأنهارها وحيواناتها ونباتاتها ومعدنها فلا تتحرك ذرة الا ولله فيها حكمة دالة على عظمته ومن قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره رواه أبو الشيخ عن ابن عباس قال المناوى تفكروا فى الخلق أى تأملوا فى المخلوقات ودوران هذا الفلك ومجارى هذه الانهار فمن تحقق ذلك علم ان له صانعا لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا تتفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره أى لا تعرفونه حق معرفته قال رجل لعلى يا أمير المؤمنين أين الله قال أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان انتهى (واعلم) أن من فى كلام الناظم اسم موصول بمعنى الذى كما تقرر والافكار جمع فكر بالكسر وهو تردد القلب بالنظر والتدبر لطلب المعانى يقال لى فى الامر فكر أى نظر

وروية ويقال هو ترتيب أمور فى الذهن يتوصل بها الى مطلوب يكون علما أوظنا كذا فى المصباح ومامشى عليه الناظم رحمه الله تعالى من عدم تعدى هدى بالحرف هو لغة الحجاز بين قال فى المصباح هديته الطريق أهديه هداية هذه لغة الحجاز ولغة غيرهم تتعدى بالحرف فيقال هديته الى الطريق وللطريق انتهى وقوله عز أى غلب وقوى فلا يساويه أحد فى ذلك قال تعالى وهو القاهر فوق عباده وجل أى عظم فالعزة القوة والجلال العظمة كذا فى المصباح قال بعض العارفين النظر فى المصنوعات من أقرب القربات قال تعالى أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض الآية فالمصنوعات المعلومة بالضرورة شيئان علوية وسفلية فالعلوية كالشمس والقمر والسموات السبع وسكانها من الملائكة على اختلافهم والعرش والكرسى والبيت المعمور ومافيه من الملائكة الذين يعبدون الله عز وجل ويسبحونه ولايفترون عن عبادته طرفة عين والجنة ومافيها من القصور والانهار والحور والولدان والنعيم الذى أعده الله فيها لاوليائه المؤمنين مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والنار وما أعده الله فيها لاعدائه الكافرين من العذاب والنكال والسلاسل والاغلال والحيات والعقارب وغير ذلك مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أنواع العذاب نسأل الله العافية والسلامة والمصنوعات السفلية كالارضين السبع والجبال والانهار والبحار والشجر والدواب وبنى آدم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم الى غير ذلك مما خلق الله فيها وأوجده على ظهرها وأودعه فى بطنها من الكنوز والمعادن والنبات وغير ذلك ففى كل جزء من هذه المصنوعات دلالة كافية على أن الله هو خالقها وموجدها من غير شريك ولا معين ولذلك سئل بعض الاعراب عن

الدليل على وجود الله تعالى فقال البعرة تدل على البعير وآثار الاقدام تدل على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج أفلا يدلان على اللطيف الخبير وأقرب المصنوعات اليك نفسك قال الله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون ففى نظرك الى نفسك وما اشتملت عليه من سمع وبصر وذوق وشم ورضى وغضب وكفر وايمان وشهوة وعدمها كفاية فى الاعتبار ودلالة على أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء وبيده الاعطاء والمنع والوصل والقطع والخفض والرفع والضر والنفع ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال بعض لما رئى من تفكر فى عجائب المخلوقات كان من المقربين وقال بعضهم تفكر ساعة خير من قيام ليلة فان الفكر سراج العقل وقال بعضهم الفكر مرآة تريك حسناتك وسيآتك وتدلك على ان الله هو الصانع المختار وغيره صائر الى الزوال وما أحسن ما قال الاستاذ اللقانى

فانظر الى نفسك ثم انتقل * للعالم العلوى ثم السفلى
تجد به صنعا بديع الحكم * لكن به قام دليل العدم
وكل ما جاز عليه العدم * عليه قطعا يستحيل القدم

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(كتب الموت على الخلق فكم * فل من جمع وأفنى من دول)

أى أوجب الموت الذى هو مفارقة الروح للجسد على جميع الخلق من صغير وكبير وجليل وحقير وغنى وفقير وانس وجن وملك وطير ووحش وذباب ونمل وبعوض وبراغيث وغير ذلك من كل ما خلق الله وبسبب ذلك الموت الدال على قدرة الله تعالى وقهره جميع خلقه قلت الجموع وخلت الربوع فكم فل ذلك الموت من جمع وأفنى من دول فاين أهل المدن والحصون أين أهل المعانى والفنون أين الامم الماضية أين

أرباب القصور العالية (تنبيه) قال فى المصباح الموت ضد الحياة والميتة ماتلحقها الذكاة الشرعية والموات بالضم الموت وبالفتح الارض التى لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد انتهى وقال فيه أيضا تداول القوم الشئ وهو حصوله فى يد هذا تارة وفى يد هذا تارة أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر مثل قصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف انتهى فعلم من عبارته أنه يجوز فى كلام الناظم كسر الدال وضمها (فائدة) الدول قبل الاسلام كثيرة كالفراعنة والعمالقة والقياصرة والاكاسرة والتبابعة ونحوها وأما دول الاسلام من لدن عصره صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا فهى سبع دول الاولى دولة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة بعده * الثانية دولة بنى أمية وهم اثنى عشر * الثالثة دولة بنى العباس رضى الله عنه وهم ثلاثة وثلاثون * الرابعة دولة العبيديين وهم ثمانية * الخامسة دولة الاتراك وهم ثلاثة عشر * السادسة دولة الجراكسة وهم من برقوق الى آخر ولاية الغورى ولم يوقف لهم على عدد * السابعة دولة بنى عثمان أدام الله دولتهم وكن خلافتهم وأيد سلطنتهم أولهم مولانا السلطان سليم رحمه الله تعالى قدم الى مصر المحروسة فى أواخر سنة اثنين وعشرين وتسعمائة بتقديم المثناة على السين وهذا بالنسبة لمن ولى الخلافة منهم بمصر المحروسة والا فلهم اسلاف فى السلطنة والخلافة بالبلاد الرومية قبل السلطان سليم بكثير فأولهم السلطان عثمان الاكبر ولى الخلافة بالبلاد الرومية فى سنة ست وتسعين بتقديم المثناة على السين وستمائة من الهجرة النبوية وليس منسوبا الى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كما توهمه كثيرون وقد نقل أهل السير أنه كان رجلا صالحا مباركا حافظا لكتاب الله تعالى ملازما

لتلاوة القرآن أثناء الليل وأطراف النهار وكان قبل ورود الامر عليه
تعالى حرفة الزراعة ويأكل من عمل يده فاصطفاه الله تعالى واختاره
للخلافة الشرعية ثم توفاه الله تعالى وجعل الخلافة باقية فى ذريته
أدام الله سلطنتهم وخلافتهم وأذل أعداءهم الكافرين آمين
(فائدة) ذكر فى تنبيه الغافلين ما جاء فى هول الموت وشدته ما نصه
عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب
لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قيل يارسول
الله كلنا نكره الموت قال ليس ذلك كراهة ولكن اذا احتضر المؤمن
جاءه البشير من الله تعالى بما يصير اليه فليس شىء أحب اليه من لقاء
الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وان الفاجر والكافر اذا احتضر جاءه
النذير من الله بما هو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه
وروى عن جابر بن عبد الله الانصارى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال تحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج فانه قد كانت فيهم الاعاجيب
ثم أنشأ يحدث فقال خرجت طائفة من بنى اسرائيل حتى أتوا مقبرة
فقالوا لو صلينا ثم دعونا حتى يخرج لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت
فصلوا ثم دعوا ربهم فبينما هم كذلك اذا برجل قد طلع عليهم من
قبر برأسه أسود اللون وقال ياهؤلاء ما أردتم فوالله لقد مت منذ
سبعين سنة أو مائة سنة وان مرارة الموت ما ذهبت منى الى الآن
وكان بين عينيه أثر السجود وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال شدة الموت وكربه على المؤمن أشد من ثلثمائة ضربة بالسيف
وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الموت عند
رأس رجل من الانصار فقال له ارفق بصاحبى فانه مؤمن فقال له

ملك

ملك الموت أبشر يا محمد فاني بكل مؤمن رفيق والله يا محمد اني لا أقبض روح ابن آدم فاذا صرخ صارخ من أهله قلت ما هذا الصارخ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا في قبضه من ذنب فان ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا وان تسخطوا وتجزعوا تأثموا وان لنا عندنا من عتبة وان لنا لديكم لعتبة وعودة فالحذر ثم الحذر وما من أهل بيت شعر ولا مدر في بر ولا بحر الا ولنا التصفح في وجوههم في كل يوم وليلة خمس مرات حتى اني لاعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم والله يا محمد لو اني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذي يأمرني بقبضها وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لكعب الاحبار حدثني عن الموت فقال كأنه غصن شوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فجذبه جذبة شديدة فقطع منها ما انقطع وأبقى ما أبقى وقال حاتم أربعة لا يعرفها الا أربعة لا يعرف قدر الشباب الا الشيوخ ولا قدر العافية الا أهل البلاء ولا قدر الصحة الا المرضى ولا قدر الحياة الا الموتى وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو علمت البهائم ما تعلمون من الموت ما أكلتم منها لحما سمينا أبدا وذكر ان عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى باذن الله تعالى فقال له بعض الكفرة انك تحيي جديد العهد بالموت ولعله لم يكن ميتا فأحي لنا من مات في الزمن الاول فقال لهم اختاروا من شئتم فقالوا له أحي لنا سام بن نوح فجاء الى قبره وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيي الله تعالى سام بن نوح واذا برأسه ولحيته قد ابيضا فقال له ما هذا الشيب لم يكن في زمانك فقال سمعت النداء فظننت أنها القيامة فشاب رأسي ولحيتي من الهيبة فقال له منذ كم أنت ميت فقال منذ أربعة آلاف سنة فما ذهبت عني سكرات الموت

ويقال مامن ميت يموت الا وعرض عليه الحياة والرجوع الى الدنيا فيكره الرجوع الى الدنيا لما يلقى من شدة الموت الا الشهداء فانهم لم يجدوا شدة الموت فيتمنوا الرجوع لكى يقاتلوا ويقتلوا ثانيا وروى عن عبيد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال مامن نفس بارة ولا فاجرة الا والموت خير لها فان كان بارا فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال الله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولم يلحد بعد فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤسنا الطير وفى يده عود ينكث به فى الارض فرفع رأسه الى السماء وقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزل عليه ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم الكفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجى الى مغفرة الله ورضوانه فتخرج وتسل كما تسل الشعرة من العجين فيأخذها فلا يدعونها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن والحنوط فيخرج منها ريح كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها الى السماء فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون روح فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون لها أبواب السماء فيشيعه من كل سماء ملائكتها الى السماء التى تليها حتى ينتهوا بها الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه فى عليين واعيدوه

الى

الى الارض التي منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة أخرى فتعاد الروح الى جسده ويأتيه ملكان فيقولان له من ربك فيقول ربي الله ثم يقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له ما علمك وما علمك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت قال فينادي مناد من السماء صدق عبدي فافرشوا له فراشا من الجنة وألبسوه لباسا من الجنة وافتحوا له طاقة من الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه شخص حسن الوجه طيب الريح فيقول له أبشر بالذي بشرك الله تعالى به هذا يومك الذي كنت توعد به فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح فيقول يارب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي يعني في الجنة قال وأما الكافر اذا كان في اقبال من الدنيا وانقطاع من الآخرة أنزل الله اليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط الله وغضبه فتتفرق في أعضائه كلها فينزعها كما ينزع الشوك من الصوف المبلول فيتقطع منها العروق والعصب فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في تلك المسوح فتخرج منها رائحة كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون روح فلان ابن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة ثم يقول الله عز وجل اكتبوا كتابه

فى سجين ثم تطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح
فيما درو حه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك
فيقول هاه لا أدرى فيقولان له وما دينك فيقول هاه لا أدرى فيقولان له
ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه لا أدرى فينادى
منادمن السماء كذب عبدى فافرشوا له فراشا من نار وألبسوه لباسا
من نار وافتحوا له طاقة من نار فيدخل عليه من حرها وسمومها ويضيق
عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه شخص قبيح الوجه قبيح
الثياب منتن الريح فيقول له أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت
توعد عليه فيقول له من أنت فيقول أنا عملك السيء فيقول يا رب لا تقم
الساعة انتهى وقال الحرفيشى فى الفصل الثانى مانصه روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما الميت فى قبره الا كالغريق
ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أخ أو صديق له فاذا لحقته كانت أحب
اليه من الدنيا وما فيها وعن كعب الاحبار رضى الله عنه أن النبى صلى
الله عليه وسلم قال لا يمر أحد فى المقابر الا وتناديه أهل القبور يا غافلا
لو علمت ما نحن فيه لذاب لحمك وجسدك كما يذوب الثلج على النار وقال
سليمان بن عبد الملك لابى حازم يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لانكم
عمرتم دنياكم وخربتم أخراكم فانتم تكرهون انتقالة من العمار الى الخراب
فقال كيف القدوم على الله قال يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب
يأتى أهله فرحا مسرورا وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتى مولاه خائفا
محزونا وقال بعض العارفين كان رجلا يحاسب نفسه فحسب يوما
سنيه فوجدها ستين سنة فحسب أيامها فوجدها احدى وعشرين
ألف يوم وخمسمائة فصرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق

قال ياويلتاه أنا آتى ربى باحدى وعشرين ألف ذنب وخمسمائة ذنب ثم قال آه على عمرت دنياى وخربت أخراى وعصيت مولاى ثم لا أشتهى النقلة من العمران الى الخراب ثم شهق شهقة عظيمة ووقع على الارض فحركوه فاذا هو ميت رحمة الله تعالى عليه اذا كان هذا حال من يكسب كل يوم ذنبا واحدا فكيف بمن له ذنوب لا تحصى ويروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه وقف على قبر فبكى فقيل له انك تذكرت الجنة والنار فلا تبكى وتبكى من هذا فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان القبر أول منزلة من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد ويروى أن رجلا جاء الى مقبرة فصلى ركعتين ثم اضطجع فرأى صاحب القبر فقال له ياهذا انكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نعمل ولأن تكون ركعتاك فى صحيفتى خير من الدنيا ومافيها ويروى أن فارسا مر بغلام فسأله ياغلام أين العمران فقال له اصعد الشرف فصعد فأشرف على مقبرة فقال هذا الغلام اما جاهل واما حكيم فرجع اليه فقال سألتك عن العمران فدللتنى على المقابر فقال الغلام انى رأيت أهل تلك القرية ينتقلون الى هذه ولم أر أحدا ينتقل من هذه الى تلك القرية وانما ينتقل من الخراب الى العمران ولو سألتنى عما يواريك لدللتك وعن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من يوم الا وملك يهتف فى المقابر ينادى ياأهل القبور من تحسدون اليوم فيجيبونه فيقولون نحسد أهل المساجد فى مساجدهم يصلون ولا نقدر أن نصلى ويصومون ولا نقدر أن نصوم ويتصدقون ولا نقدر أن نتصدق ويذكرون ولا نقدر أن نذكر فيتندمون على مامضى من زمانهم ولله در القائل

رب يارباه هذا جسدى * تحت اطباق الثرى مرتهنا
ما أرانى عملا ولكن أرى * يا الهى فيك ظنى حسنا
وعلى عفوك ياذا الفضل قد * كنت فى دنياى أحسنت الثنا
فاقل عثرة عبد مذنب * وتجاوز واعف عنه محسنا

وعن الاوزاعى رحمة الله تعالى عليه قال كان ميسرة بن حسين بالمقابر يوما وقائده يقوده وكان كفيف البصر فقال له قائده هذه المقبرة فقال السلام عليكم يا أهل القبور وأنتم لنا سلف ونحن لكم تبع فرحمنا الله واياكم وغفر لنا ولكم وبارك لنا ولكم فى القدوم عليه اذا صرنا الى ما صرتم اليه قال فرد الله تبارك وتعالى الروح الى رجل منهم بلسان فصيح فقال طوبى لكم يا أهل الدنيا تحجون فى الشهر أربع مرات قال ميسرة الى أين نحج فى الشهر أربع مرات يرحمك الله قال الى الجمعة أما تعلمون أنها حجة مبرورة متقبلة قال فقلت له اخبرنا ماقدمتم عليه يرحمك الله قال الاستغفار يا أهل الدنيا أنفع الاشياء فى الآخرة قال ميسرة فما منعك أن ترد علينا السلام قال السلام حسنة والحسنات قد رفعت عنا فلا حسنة تزيد ولا سيئة تنقص قد رضينا منكم يا أهل الدنيا بقولكم رحم الله فلانا المتوفى (حكاية عجيبة) قال الحارث بن نبهات رحمة الله تعالى عليه كنت أخرج الى الجبانات فأترحم على أهل القبور وأتفكر فيهم واعتبر بأحوالهم وأنظرهم سكوتا لا يتكلمون وجيرانا لا يتزاورون قد صار لهم من بطن الارض وطاء ومن ظهرها غطاء وأنادى يا أهل القبور محيت من الدنيا آثاركم وما محيت عنكم أوزاركم وسكنتم الى دار البلاء فتورمت أقدامكم قال ثم بكى بكاء شديدا ثم مال الى قبة فيها قبر فنام فى ظلها قال فبينما أنا نائم الى جانب القبر واذا أنا بصاحب القبر والسلسلة فى عنقه وقد

ازرقت عيناه واسودّ وجهه وهو يقول ويلي ما حل بي لو رآني أهل الدنيا الما ركبوا معاصي الله تعالى أبدا طولبت والله باللذات فاوثقتني وبالخطايا فأغرقتني فهل من شافع أو مخبر أهلي بأمري قال الحارث فاستيقظت وأنا مرعوب وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت فمضيت الى داري وبت ليلتي وأنا متفكر فيما رأيت فلما أصبحت قلت دعني أعود الى الموضع لعلي أجد به أحدا من زوّار القبور فاعلمه بالذي رأيت فلما مضيت الى المكان الذي كنت فيه بالامس لم اجد به أحدا فنمت واذا أنا بصاحب القبر يسحب على وجهه وهو يقول يا ويلتاه ماذا حل بي ساء في الدنيا عملي وطال فيها أملي قد غضب علي رب الارباب فالويل لي ان لم يرحمني وينقذني من العذاب قال الحارث فاستيقظت وقد توله عقلي مما سمعت ورأيت فرجعت الى داري وبت ليلتي فلما أصبحت أتيت القبر لعلي أجد أحدا فأخذني النوم فنمت فرأيت صاحب القبر وقد قيد بين قدميه وهو يقول ما أغفل أهل الدنيا عني ضوعف علي العذاب وانقطعت عني الحيل والاسباب وغضب علي رب الارباب وغلق في وجهي كل باب فالويل لي ان لم يرحمني رب العزة الوهاب قال الحارث فاستيقظت من منامي مرعوبا وهممت بالانصراف اذا بثلاث جوار أقبلت كأنهن الاقمار فتباعدت عنهن وتواريت منهن في المقبرة لكي أسمع كلامهن فتقدمت الصغرى حتى وقفت على القبر وقالت السلام عليك يا أبتاه كيف هدوءك في مضجعك وانقطعت عنا أخبارك فما أشد حزننا عليك وشوقنا اليك ثم بكت بكاء شديدا ثم تقدم الاثنان فسلما على القبر ثم قالتا هذا قبر أبينا الشفيق علينا والرحيم بنا آنسك الله برحمته وصرف عنك شر عذابه ونقمته يا أبتاه جرت بعدك هموم لو عاينتها لأهمتك ولو اطلعت عليها الاحزنتك كشف

الرجال وجوهنا وقد كنت أنت تسترها قال الحارث فبكيت لما سمعت كلامهن ثم قمت مسرعا اليهن وسلمت عليهن وقلت لهن أيها الجوارى ان الاعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها فما كان عمل أبيكم المخلد فى هذا القبر الذى عاينت من أمره ما أحزننى وأبكانى وأهمنى قال الحارث فلما سمعن كلامى كشفن عن وجوههن وقلن لى أيها العبد الصالح وما الذى رأيت قلت لهن لى ثلاثة أيام اختلف الى هذا القبر أسمع صوت المقمعة والسلسلة قال فلما سمعن ذلك قلن لى هذه بشارة ما أضرها ومصيبة ما أحرها أنحن نقضى الاوطار ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار فوالله ما يقر لنا قرار حتى نتضرع الى الملك الغفار فلعله بعفوه وكرمه يعتق أبانا من النار ثم مضين يتعثرن فى أذيالهن قال الحارث فمضيت الى دارى فبت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر فجلست عنده وأنا متفكر فى حاله فغلبنى النوم فنمت واذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال وفى رجليه نعل من ذهب ومعه خدم وغلمان قال الحارث فسلمت عليه وقلت له يرحمك الله من أنت قال أنا الرجل الذى عاينت من أمرى ما أحزنك واطلعت من حالى على ما أوجعك فجزاك الله خيرا عنى فقلت له وكيف كان ذلك قال فلما أطلعك الله على واخبرت بناتى بالامس بحالى اهملن عيونهن وأسبلن شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن خدودهن بالتراب واستوهبننى من العزيز الوهاب فغفر لى الذنوب والاوزار وأسكننى دار القرار فاذا رأيت بناتى فاعلمهن بأمرى ليزول عنهن روعهن وحزنهن وتعلمهن أنى قد صرت الى جنان وقصور وولدان وحور ومسك وكافور وفرح وسرور وقد عفى عنى العزيز الغفور قال الحارث فاستيقظت فرحا مسرورا ومضيت الى دارى وبت ليلتى فلما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات

الاقدام عليهن آثار الحزن والاغتمام فسلمت عليهن وقلت لهن أبشركن فقد رأيت أباكن في خير عظيم وقد أخبرني أن الله تعالى استجاب دعاءكن وقد وهب لكن أباكن قال الحارث فلما سمعن ذلك رفعت الصغرى يدها وقالت اللهم يا مؤنس القلوب يا ساتر العيوب يا كاشف الكروب يا غافر الذنوب يا علام الغيوب قد علمت ما كان من مسكنتي واعتذاري في خلوتي واقالتي من زلتي وتنصلي من خطيئتي وأنت اللهم المالك لي والآخذ بناصيتي ورجائي عند شدتي ومؤنسي في وحدتي فان كنت قصرت عما أمرتني وارتكبت ما عنه نهيتني فبجاهك حميتني وبسترك سترتني فيا أكرم الاكرمين ان كنت قضيت حاجتي بفضلك وشفعتني في عبدك أبي الفقير المسكين الذليل الحقير فاقبضني اليك وأنت على كل شيء قدير ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا قال ثم قامت الثانية ونادت بأعلى صوتها اللهم يارب الارباب يا معتق الرقاب خلص من الشك قلبي يا من اقالني من عثرتي وأعانني في شدتي ان كنت قبلت دعوتي وقضيت حاجتي وعمرت بذكرك وقتي فالحقني بأختي ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا ثم قامت الثالثة ونادت بأعلى صوتها يا أيها الجبار الاعظم والملك الاكرم لك الفضل العظيم والوجه الكريم السعيد من أسعدته والشقي من أشقيته والمحروم من أحرمته أسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم وباسمك الذي جعلته على الليل فدجا وعلى النهار فأضاء وعلى الجبال فتدكدكت وعلى السموات فارتفعت وعلى الارضين فسطحت وعلى الملائكة فسجدت اللهم اني أسألك ان كنت قضيت حاجتي وأجبت دعوتي فالحقني بأختي ثم شهقت شهقة فارقت الدنيا رحمة الله تعالى عليهن قال الحارث فتعجبت من

أحوالهن وتقارب آجالهن انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أين نمرود وكنعان ومن * ملك الارض وولى وعزل)

صدر الناظم رحمه الله تعالى هذا البيت والبيوت الثلاثة التى بعده بلفظ أين الاستفهامية تقريرا للموعظة المذكورة للموت الذى ذكره فى البيت السابق كالخطيب الذى يقول أين من مضى من القرون أين الانبياء والمرسلون قال فى المصباح وأين ظرف مكان ويكون استفهاما فاذا قيل أين زيد لزم الجواب بتعيين مكانه ويكون شرطا أيضا ويزاد ما فيقال أينما تقم أقم انتهى فكأن الناظم رحمه الله تعالى يقول لك يا أخى أنت غافل عن ذكر الموت وكأنك عن قريب وقد نقلت من هذه الدار فان كنت تنكر ذلك فاين نمرود وكنعان وعاد وفرعون وغيرهم مما ذكرته لك فانهم مع عتوهم وفسادهم فى الارض وقوتهم وشدة بأسهم وتجبرهم أخذهم الموت على بغتة وهم لا يشعرون هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا فهل ترى لهم من باقية فينبغى لك يا أخى أن تعتبر وتتذكر الموت وتكثر من ذكره وتستعد له فانه ليس له أجل محدود ولا وقت معروف بل يأتى بغتة فان أتاك وأنت مستعد له كنت من السعداء الفائزين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هذا هو المراد من كلامه رحمه الله تعالى ولنتكلم على من ذكرهم من الجبابرة فنقول أما كنعان فهو أبو النمرود من أولاد حام بن نوح كما سيأتى وكان من الجبابرة العتاة الذين يعبدون الاصنام (واعلم) بأن الجزاء من جنس العمل فكل من تجبر على عباد الله فى الدنيا أذله الله يوم القيامة فقد روى الامام أحمد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالجبارين يوم القيامة رجالا فى صورة الذر تطؤهم

الناس من هوانهم على الله تعالى حتى يقضي بين الناس ثم يذهب
بهم الى نار الانيار قيل يارسول الله وما نار الانيار قال عصارة أهل النار
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الناس يغشاهم
الصغار في كل مكان ويساقون الى سجن يقال له بولس بسين مهملة
ويسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار وأما نمرود فهو بالدال
المهملة وبالذال المعجمة وهو ابن كنعان وهو نمرود ابراهيم الخليل عليه
السلام وذكر في الخازن انه كان ابن زنا وهو أول من وضع التاج على
رأسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية وملك الارض كلها وذكر
الشريف الحسيني النسابة في شرحه على منظومة ابن العماد في الانكحة
أن نمرود ابراهيم عليه السلام من أولاد نمرود الاكبر ونص عبارته
ومن أولاد حام بن نوح كوش وولد كوش نمرود الجبار ومن أولاد نمرود
هذا نمرود الذي ابتلى به ابراهيم عليه السلام انتهى قال بعضهم كانت
سيرة النمرود هذا مذمومة عند الله وعند الناس وذلك انه كان بخيلا
في قومه جائرا في حكمه محتجبا عن رعيته ولهذا لم يذكره الله تعالى
في القرآن العظيم بلفظ العلم وانما ذكره بلفظ الكناية كقوله تعالى
ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله تعالى فبهت الذي كفر وغير ذلك
وحاصل قصته مع سيدنا ابراهيم عليه السلام كما ذكره الله سبحانه
وتعالى في كتابه العزيز ان الله تعالى أعطى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام الاهتداء لوجوه الصلاح في الدين والدنيا في صغره قبل
بلوغه حتى تفكر في الرب وظهرت له الكواكب واستدل بها على ربه
فرأى قومه يعبدون الاصنام وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من
ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص

وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان كبيرهم
من ذهب مطلي بالـ وا همر في عينيه ياقوتتان تتقدان تضيئان بالليل
فقال لهم على سبيل التجاهل هل هذه الاصنام تستحق ان تعبد فلم يكن
لهم جواب الا التقليد فقالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فاقتدينا بهم وهذا
التقليد الواقع منهم باطل لعدم استناد الاباء الى دليل فقال لهم لقد
كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين فقالوا له أجئتنا بالحق أم أنت من
اللاعبين فقال لهم هؤلاء الاصنام ليست أربابا لكم بل ربكم رب السموات
والارض الذى فطرهن وأنا على ذلكم الذى قلت لكم من الشاهدين
وتالله لا كيدن أصنامكم بالتكسير فكسرها بالفعل بعد ذهابهم الى
عيدلهم وقد ذهب ابراهيم معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه
وقال انى سقيم اشتكى رجلى فتركوه ومضوا ثم نادى فى آخرهم وقد
بقى ضعفاء الناس حيث قال بصيغة الحلف وتالله لا كيدن أصنامكم
فسمعها الضعفاء منه فرجع ابراهيم الى بيت الاصنام وقبالة البيت
صنم عظيم والى جانبه أصغر منه وهكذا كل منهم أصغر من الذى يليه
وكانوا وضعوا عند الاصنام طعاما يأكلونه اذا رجعوا من عيدهم
اليهم فقال لهم ألا تأكلون فلم يجيبوه فكسرها فلما رجعوا ورأوهم
مكسرين قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين فقال الضعفاء
من قوم ابراهيم الذين سمعوا حلفه بقوله لاكيدن أصنامكم سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فقالوا فيما بينهم فأتوا به على أعين الناس
أى ظاهرا ومكشوفا للناس لعلهم يشهدون على فعله بأن يكون أحد
رآه يكسرها فأتوا به وقالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل
فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فتفكروا وتذكروا وقالوا من
لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر

على دفع مضرة عن غيره فكيف يستحق أن يكون معبودا وأقروا على أنفسهم بأنهم كانوا ظالمين فى عبادتهم لها ثم نكسوا على رؤسهم أى انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا ورجعوا الى كفرهم وقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وقال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المجادلة وضاقت عليهم الحيل حرقوه وانصروا آلهتكم والقائل هو نمرود بن كنعان ابن السحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وقيل القائل رجل من فارس اسمه غيون خسف الله به الارض وهكذا شان المجادل المغلوب اذا فرغت شبهته بالحجة القاطعة لا يبقى له مفزع الا المغالبة والمقاتلة فجمعوا له الحطب وكانت مدة الجمع شهرا ومدة الايقاد سبعة أيام وكانوا يتقربون الى آلهتهم بجمع الحطب حتى كانت المرأة منهم التى لا دراهم عندها تبيع غزلها وتشترى بثمنه حطبا وتلقيه فى النار حتى صارت النار من شدة حرها تؤذى البعيد عنها وامتنع الطير من الذهاب فى الهواء المقابل لها فعجزوا عن القاء سيدنا ابراهيم عليه السلام فيها من شدة حرها على بعد فأمرهم ابليس بفعل المنجنيق فوضعوه فيه ورموه فى النار وكان له من العمر حينئذ ستة عشر سنة وأوجد الله له فيها عين ماء عذب وورد أحمر ونرجسا أصفر فصارت فى حقه روضة وبعث الله له جبريل بقميص من حرير وطنفسة فألبسه القميص أولا وفى الرازى أن مدة مكثه فيها أربعين يوما أو خمسين أو سبعة أيام ولما ألقوه فيها قال الله سبحانه وتعالى للنار كونى بردا وسلاما على ابراهيم أى ابردى بردا غير ضار ولو لم يقل على ابراهيم لما أحرقت نار ولا اتقدت أصلا وذلك لانه طفئت جميع النيران فى ذلك اليوم قال العلماء رضى الله عنهم لولا أن الله عز وجل تدارك ابراهيم بالنعمة فقال وسلاما على ابراهيم لهلك من شدة البرد

انتهى وورد أن سيدنا جبريل عليه السلام أتى لسيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهو فى النار فقال هل لك من حاجة فقال له أما اليك فلا قال له جبريل فسل ربك فقال له ابراهيم حسبى من سؤالى علمه بحالى قال سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ماكنت قط بأنعم أياما من الايام التى كنت فيها فى النار (فائدة) ذكر بعض حواشى البيضاوى أنه لما ألقى سيدنا ابراهيم عليه السلام فى النار جاء الوزغ وهو سام أبرص فنفخ على ابراهيم فصم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابراهيم ومن قتل وزغة فى أول ضربة كتبت له مائة حسنة وفى الثانية دون ذلك وفى الثالثة دون ذلك وذكر بعض الحكماء أن الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران وانه يبيض انتهى وأما من ملك الارض وولى غيره المناصب وعزل غيره منها فكثير كما هو معلوم فى كل زمان لا بد فيه من نافذ الامر والنهى يجلس مدة ثم يزول وتتداول عليه الايام حتى يذهب رسمه وينسى اسمه فسبحان من لا يزول ولا يتغير قال بعضهم ملوك الارض الذين ملكوها من شرقها الى غربها ومن يمينها الى شمالها أربعة اثنان مسلمان واثنان كافران فأما المسلمان فسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام واسكندر ذو القرنين أما سليمان فقد ذكره الله تعالى فى القرآن العزيز فى قوله عز من قائل قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح الآيات وأما اسكندر ذو القرنين فذكر الله قصته فى قوله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض الآيات وهو من أولاد سام بن نوح وأسلم على يدى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وكان رجلا صالحا ولم يكن نبيا وعاش ألف سنة وستمائة سنة

رضي الله عنه وهو ذو القرنين الاكبر وأما الاثنان الكافران النمرود ابن كنعان المتقدم ذكره والثاني ذو القرنين الاصغر وهو من أولاد العيص بن اسحاق وكان بينه وبين المسيح ثلثمائة سنة وهو كافر باتفاق وهو الذي نسبت اليه الاسكندرية المدينة المشهورة وذكر في الخازن أن الثاني من الكافرين بخت نصر بدل ذي القرنين الاصغر قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أين عاد أين فرعون ومن * رفع الاهرام من يسمع يخل)

أي فتذكر الموت وانظر الى هؤلاء الجبابرة كيف قصمهم الله تعالى وأبادهم وأهلكهم ولم تنفعهم أموالهم ولا جنودهم ولا حصونهم العالية المرتفعة كما سيأتي في قول الناظم هلك الكل ولم تغن القلل وقوله أين عاد شامل لعاد الاولى ولعاد الثانية أما عاد الاولى فهو عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وكان جبارا عنيدا عاش ألف سنة ومائتي سنة وتزوج ألف بكر ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد من الذكور كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع ورزقوا من القوة مالا يرزقه أحد كما قال تعالى فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة فلم تكن قبيلة في الارض أشد منهم لانه لو كان هناك قبيلة لرد الله عليهم بها فلما لم يكن أشد منهم الا الله الذي خلقهم قال أولم يروا الآية وكان من قصتهم ماذكره ابن اسحاق أنهم كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالاحقاف وهي رمال بين عمان وحضرموت وقهروا الخلق جميعا وكانوا يعبدون صنما يقال له صداء وصنما يقال له هباء وصنما يقال له صمود فبعث الله اليهم أخاهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فأمرهم أن يوحدوا الله تعالى ويكفوا عن مظالم الناس ولم يأمرهم الله بغير ذلك

بكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبطشوا بطشة الجبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أجهدهم ذلك فخرج منهم نحو سبعين رجلا وتوجهوا الى مكة للاستسقاء لان الناس فى ذلك الزمان كانوا يعظمون البيت الحرام مؤمنهم وكافرهم وكان فيهم رجل مؤمن من اليهود يكتم ايمانه فقال والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر اسلامه فى ذلك الوقت وأنشد يقول

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ما تبلهم السماء
لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
فبصرنا الرسول سبيل رشد * فأبصرنا الهدى وجلى العماء
وان اله هود هو الهى * عليه لى التوكل والرجاء

فلما سمعوا منه ذلك منعوه أن يصحبهم للاستسقاء ولما توجهوا الى مكة وكان فيهم ولد لعاد فدعا الله وقال اللهم ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثة بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك وقومك من هذه السحائب فقال ولد عاد اخترت السحابة السوداء لانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لم يبق من آل عاد أحدا وساق الله السحابة السوداء بما فيها من البلاء على عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شىء بأمر ربها وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح امرأة منهم فصاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا لها ما رأيت قال رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم تدع

من عاد أحدا الا هلك ونجا هود ومن اتبعه قال السدي بعث الله عليهم الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل تطير بهم الريح بين السماء والارض فهربوا وأغلقوا بيوتهم فجاءت ريح فقلعت أبوابهم ثم دخلت عليهم فأهلكتهم ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا اسود فنقلتهم الى البحر قالوا ولم يخرج ريح قط الا بمكيال الا في ذلك اليوم فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا أ كم كان مكيالها وأما عاد الثانية فهو نسل وعقب عاد الاولى لانه لما مات عاد كافرا ترك ابنا له يقال له شداد وكان أعتى من أبيه وهو الذي هلك وطائفته بالصيحة قال الشعبي ان شداد بن عاد ملك سائر الدنيا وكانت قومه بقية قوم عاد الاولى الذين زادهم الله بسطة في الاجساد وقوة في الاعضاء فبعث الله اليهم هودا عليه السلام نبيا كما بعثه الى عاد الاولى فدعاهم الى الله تعالى فقال شداد بن عاد اذا آمنت بربك فما لي عنده قال يعطيك في الآخرة جنة مبنية من ذهب وياقوت ولؤلؤ وبأرضها أنواع الجواهر والمسك والعنبر فقال شداد أنا أبني مثل هذا ولا أحتاج الى ما تعدني به ثم أمر شداد ألف أمير من جبابرة قومه ان يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة من الجبال ليبني فيها مدينة من الذهب قال فخرج أولئك الامراء مع كل أمير ألف من خدمه وحشمه فساروا في أرض اليمن حتى وصلوا جبل عدن فوجدوا هناك أرضا واسعة طيبة الهواء فأمروا البنائين والمهندسين فخطوا مدينة طولها أربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ ثم حفروا الأساس الى الماء وبنوه بحجارة الجزع اليماني بفتح الجيم وسكون الزاي خرز فيه بياض وسواد لواحدة جزعة مثل تمر وتمرة حتى ظهروا على وجه الارض ثم أحاطوا بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وصفحوه

بصفائح الفضة المطلية بالذهب حتى صار لا يدركه البصر اذا أشرقت
عليه الشمس وقد جمع المعادن من سائر الدنيا واتخذها البناحتى انه لم
يبق فى يد أحد شيأ منها الا اخذه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى
داخل المدينة ألف قصر لعدد رؤساء مملكته كل قصر على ألف عامود
من أنواع الزبرجد معقودة بالذهب والفضة طول كل عامود مائة
ذراع وأجرى فى وسطها نهرا وأوصل منه جداول لتلك القصور
والمنازل وجعل حصاها من الذهب والفضة وأنواع الجواهر
واليواقيت وجعل فى حافات الانهار أشجارا من الذهب وجذوعها
من الزبرجد وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل بها جنة مزخرفة
انفسه وجعل أشجارها الزبرجد واليواقيت ونصب عليها الطيور
المطربة وغير ذلك ثم بنى حول المدينة ألف منارة فلما كمل بناؤها أمر
عشارق الارض ومغاربها أن يتخذ من البلاد بسطا وستائر وفراشا من
أنواع الحرير المرقوم بالذهب والفضة لتوضع لتلك الغرف والقصور وأمر
باتخاذ أوانى الذهب والفضة لترضع فيها الاطعمة والشراب فاتخذوا
جميع ما أمر به فلما فعلوا ذلك كله خرج شداد من أرض حضرموت
مع أكابر دولته وأمراء مملكته وقصدوا مدينة ارم ذات العماد فلما
أشرفوا عليها قال لقد صدقت فى قولى ولا أنتظر ما قاله هود ووعدنى به
فانه بعيد وهذا قريب وقد قدرت عليه فى الدنيا فلما أراد دخولها أمر
الله تعالى ملكا من الملائكة أن يصيح فصاح بهم صيحة فخروا على
وجوههم صرعى وقبض ملك الموت أرواحهم جميعهم فى طرفة عين
كما قال تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق
مثلها فى البلاد ومدة بنائها ثلاثمائة سنة كما قاله الشيخ خالد على البردة
وأخفاها الله تعالى عن أعين الناس الى يوم القيامة وقد قيل ان رجلا

من

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري دخل فيها وذلك أنه ضاعت له ابل فخرج في طلبها فنظر الى المدينة فلما رآها دهش لرؤيتها فلما وصل اليها أناخ ناقته ودخلها فرأى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير أحدا فقال أرجع الى معاوية فأخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيأ من تلك اليواقيت والجواهر وعلم على المدينة بجهتها ثم سار بعد ما ظفر بابله الى معاوية بدمشق وأخبره بما رأى فقال له معاوية رضي الله عنه في اليقظة رأيتها أم في المنام فقال بل في اليقظة وجاءت من حصبائها فقال أرني فأخرج له شيأ من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك وأرسل الى كعب الاحبار فلما دخل عليه قال له معاوية يا أبا اسحاق هل بلغك أن في الدنيا مدينة حصباؤها الدر والياقوت فقال نعم وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز فقال ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخفاها الله تعالى عن أعين الناس الى يوم القيامة وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري ثم التفت كعب فرأى عبد الله فقال هذا يا أمير المؤمنين وصفته واسمه في التوراة ولا يدخلها أحد بعده الى يوم القيامة وقيل ان ذلك كان في خلافة عمر رضي الله عنه انتهى ❁ وأما فرعون فابتداء أمره أنه كان بمصر رجل يقال له مصعب بن عمير وكان يرعى البقر لقومه وكانت له امرأة من أولاد العمالقة ولم يكن له ولد فبينما هو ذات يوم واذا ببقرة قد وضعت عجلا فتأوه حزنا على أنه عمر ولم يرزق ولدا فنادته البقرة يا مصعب لا تحزن فانك ترزق ولدا يكون ركنا من أركان جهنم فرجع الى امرأته فأخبرها بذلك فحملت بفرعون ومات أبوه قبل ولادته فلما ولدته سمته الوليد بن مصعب

فربته وعلمه النجار ثم ولع بالقمار فرماه أبوه ثم عاتبه أمه على ذلك فقال يا أماه
كفي عني فاني عون نفسي ولزم اللعب فلم يكن يدعى الاعون نفسه
فخرج يوما يقامر فقمر وبقميصه فأخذوه منه ولم يبق عليه شيء يوارى
عورته فهرب على وجهه حتى صار الى قرية من قرى مصر فخدم عند
رجل بقال فكساه البقال ثم فر من البقال ورجع الى أمه فقالت له انك
نجار حاذق فلو اشتغلت بصنعتك لكفتك فقال يا أماه أنا عون
نفسي فلقبوه بفرعون نفسه وكان يشترى بطيخا وبقلا ويبيع على
قارعة الطريق وجعل يدور فى أهل مصر يسرق ويهرب مرة ويقع مرة
ثم خدم عند رجل من العمالقة وجعل يسوس فرسه حتى مات الرجل
ولم يخلف ورثة فاحتوى فرعون على ماله فأكله ثم ضاق به الامر فقعد
على مقابر مصر يطالب أصحاب الموتى الكبير والصغير فاستمر مدة
ويظهر أنه باذن الملك حتى جمع مالا كثيرا وجعل بين يديه أعوانا ولم
يعرف الملك بشيء من ذلك فماتت بنته فعلق بها فبلغ ذلك الملك
فغضب منه وهم بقتله فقال أيها الملك لا تعجل على فحمل له من المال
الذى قد جمعه مالا كثيرا فانخدع له الملك فهو أول من أسس البرطيل
على وجه الارض فطاب قلب الملك عليه وأقره على ما كان يأخذه من
الجنائز فرتب على جنازة الملوك ألف درهم وعلى جنازة الوزراء
سبعمائة درهم وعلى جنازة الجند خمسمائة درهم واستمر مدة على ذلك
ثم اجتمع أشراف مصر ودخلوا على الملك وقالوا ما هذه الاسمعة قبيحة
بين الملوك بأنك تأخذ على الموتى الحق فاستدعى الملك بفرعون وأخذ
جميع ما حصله فطلب منه فرعون أن يجعله واليا على حراسة الليل
وكانت حراسة الملك فى ذلك الوقت شديدة لان الملك كان يخاف ممن
يقتله فقال لفرعون كل من لقيته بالليل اقتله أى شخص كان فخلع

عليه الملك وجعل بين يديه أعوانا واتخذ فرعون لنفسه قبة في وسط البلد وجعل يفرق الاعوان في نواحي البلد فكل من وجدوه في الليل يقتلونه ثم اتفق أن الملك رأى مناما أفزعه وهو أنه رأى أربعة قرون في وسط كل قرن شعلة من نار قد جمع شعاعها جميع أهل مصر ثم جاءت عقربة وصعدت لي سريره وفتحت فاها قال فرأيت لها أنيابا حدادا وقالت أيها الملك قد قرب أجلك فاختر لك واحدة من هذه الثلاثة اما أن أبلعك وما أن أقتلك واما أن أطرحك فقامت العقرب فضربتني ضربة ورمتني بها الى الارض ثم استوت جالسة على سريري ثم قالت يا أهل مصر كونوا الى عبيدا ثم رأيت بعد ذلك عمران بن صهيب وقد خرجت من ظهره حية سوداء لها قرون من فضة وذهب ونحاس وحديد فقرن الذهب بلغ السماء وقرن الفضة بلغ المشرق وقرن الحديد بلغ المغرب وقرن النحاس تعلق به ناس بيض الوجوه ولهم نور ساطع فقالت المعبرون أيها الملك لرؤياك شأن عظيم فأجل لنا شهرا ننظر فيها فوقع في قلب الملك ليلا أنه يخرج عند بعض وزرائه ليسليه على مابه فخرج سرا وليس معه أحد من الخدم فوقع به أعوان فرعون فحملوه اليه فصار يقول أنا الملك فلم يسمعوا منه مخافة أن يكون كاذبا حتى أتوا به الى فرعون فقال أنا الملك فلم يسمع منه وأمر بانزاله عن فرسه فضرب عنقه وبادر فرعون من ساعته هو وجميع أعوانه ودخلوا قصر الملك فاستوى فرعون على سرير الملك ووضع التاج على رأسه واستدعى بالامراء والوزراء وكبار الدولة فأمرهم ونهاهم فدانوا له بأجمعهم فأول من سجد له هامان وكان غلاما للملك ثم الوزراء ثم الملوك ثم العوام ثم بعث الى أسباط بني اسرائيل فدعاهم الى الطاعة فامتثلوا له ظاهرا وعبدوا الله سبحانه وتعالى باطنا فعلم بذلك فرعون فأمر بقدور من نحاس

وحديد وملأهم زيتا وأضرم تحتهم النيران وألقاهم فيها فجعلوا يقولون أدركنا يا لهنا واله آبائنا ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط فانا بك مؤمنون وعليك متوكلون فاقض يا فرعون ما أنت قاض فلما طرحوا فيها طارت أرواحهم الى الجنة واختفى من بني اسرائيل جماعة يعبدون الله سرا فبينما فرعون جالس على سريره قبل ولادة موسى بن عمران بن صهيب اذ أشرف عليه رجل من جدار قصره وهو عاض على أنامله وهو يقول يا فرعون أتظن أن الملك غافل عن سوء فعلك واستعبادك للناس دون رب العالمين ففزع فرعون من هذا القول وتحول الى قصر آخر فلما استقر به أتاه ذلك الرجل بعينه فقال له مثل تلك المقالة وقال هلكت يا ملعون ان لم تؤمن بربك الذي خلقك ورزقك فانتقل الى قصر آخر فسمع مثل تلك المقالة فلم يزل ينتقل من قصر الى قصر الى أن بنى أربعين قصرا ثم ان فرعون خاف من كثرة ما هالك من الخلق وقال ما أظن أن يكون هلاكي الا على يد بني اسرائيل فأتوني بعمران فانه كبيرهم لا صنع اليه ولمن بقي معه معروفا فلما دخل عليه عمران قال له فرعون يا عمران أحب أن تكون لي وزيرا فقال عمران بين يديك فخلع عليه وتوجه بتاج وجعله سيد وزرائه حتى بقي هامان وغيره تحت نظره ثم وصفت آسية لفرعون فأرسل الى أبيها مزاحم بن صهيب فمزاحم أخو عمران وبعث اليه بالمال الجزيل وأمر باتخاذ قصر وتزيينه فلما دخلت آسية الى دار فرعون ونظرت الى حسن بنائه قالت ما أحسنها لو كان بناؤها من رجل طائع لله تعالى ودخل عليها فرعون فلما هم بها خذله الله عنها وكان ذلك حاله معها الى أن ماتت ولم يقدر عليها أبدا فبينما فرعون مع آسية اذ سمع هاتفا يقول ويلك يا فرعون انه قد قرب زوال ملكك على يد فتى من بني اسرائيل

فعند ذلك استشار وزراءه فقالوا الرأى فى ذلك أن توكل بالنساء الحبالى من يحفظهن فيذبح البنين ويترك البنات ففعل ذلك حتى قتل اثنى عشر ألف طفل فضجت الملائكة الى ربها فأوحى الله اليهم ان له أجلا محدودا فبينما عمران بن صهيب جالس على كرسى فرعون ذات ليلة اذ نظر الى امرأته يوحانذ قد دخلت عليه على جناح ملك ففزع وقال لها ما جاء بك فقال له الملك ان الله يأمرك أن تواقعها على فراش فرعون فواقعها فحملت بموسى عليه السلام فلما أصبح فرعون دخل عليه المنجمون وقالوا له المولود الذى كنت تخاف منه قد حملت به أمه الليلة وظهر نجمه فشدد فرعون فى الطلب فلما تم لموسى تسعة أشهر وضعته أمه وهى شديدة الخوف من فرعون وسمع فرعون فى تلك الليلة هاتفا يقول ولد موسى وهلاك فرعون فاغتم فرعون وشدد فى الطلب فأدخلته أمه فى التنور وخرجت وكانت أخته قد عجنت فسجرت التنور فدخل هامان دار عمران ففتش فلم يجد فيها شيأ ورأى التنور مسجورة فانصرف ورجعت أم موسى الى منزلها فأسرعت نحو التنور فأخرجته ولم تمسه النار ثم أقبلت على نجار وكان قريبا لها فلذلك أخبرته بمولودها فقالت له اتخذلى تابوتا محكما فقال ما تصنعى به قالت قد ولدت مولودا وأخاف عليه من فرعون فلما انصرفت قام ليخبر هامان فأخذته الارض الى كعبه وسمع الارض تقول وعزة ربى لئن لم ترجع وتتخذ تابوتا والا ابتلعتك فتاب فخلته الارض واتخذ التابوت وحمله فى الليل الى دار عمران وسلمه الى أم موسى وطلب منها أن تريه المولود فما رآه قبله وكان أول من آمن بموسى ومات عمران فعمدت أم موسى الى التابوت ووضعته فيه وبكت وسمعت النداء انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فأطبقت باب التابوت وطرحته فى النيل وأمر الله

الملائكة بحفظ التابوت وبقي أربعين يوما في البحر قاله وهب وقيل ثلاثة أيام قاله كعب وقال ابن عباس ليلة فبينما فرعون جالس وهو مشرف على النيل فاذا هو بتابوت والرياح تضربه حتى أوقفته الى قصر فرعون فلم يزل يجري في النهر حتى ركض في الحوض الذي في دار فرعون فنظرت اليه آسية وأخرجته وقبلته وهي لا تعلم أنه ابن عمها عمران فاحتملته الى فرعون فلما رآه فرعون فزع منه فقالت آسية أيها الملك لا تخف هو في أيد يتامى رأينا منه شيأ قتلناه ولم تزل تشير عليه حتى صدق وفعل ما قالت له ثم ان موسى صاح وبكى فأتوه بالمراضع كلهم فلم يقبل ثدى واحدة منهن فسمعت أمه بأن التابوت صار الى دار فرعون فقامت من ساعتها ودخلت على آسية وموسى بين يديها فقربتها آسية حين عرفت أنها المرأة امرأة عمران فقالت لها خذي هذا المولود فلما أخذته أمه وجد موسى رائحة أمه فضحك وقبل ثديها فأرضعته فقال لها فرعون انى أرى لك لبنا غزيرا فهل لك ولد فقالت وهل ترك الملك لاحد ولدا فقالت آسية لام موسى انى أرى أن تكوني عندي الى أن يفطم من الرضاع فقامت واتخذت له مهدا من صفائح الذهب فلما أرادت أم موسى الانصراف الى منزلها أمرت لها آسية بشيء من الذهب ومن القماش الفاخر وغيره فلما صار لموسى عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين دعاه فرعون وأقعده في حجره وجعل يلاعبه فقبض موسى على لحية فرعون ونتف منها شعرا كثيرا ثم لطمه لطمة فقال فرعون هذا المولود الذي أخاف هو من قتله فجاءته آسية وقالت له ان الصبيان لهم جراءة ولعب من غير عقل وأمرت بطشت فيه جمرة ودنانير فمد موسى يده الى الجمرة وجعلها في فيه فأحرقته فقالت له لو كان يعقل لما كان يؤثر الجمرة على الدنانير فعند ذلك سكن غضبه

ولما تم لموسى سبع سنين قرصه فرعون وهو قاعد معه فغضب موسى ونزل عن السرير وضرب قوائمه برجله فتكسر السرير وسقط فرعون عن السرير وسال الدم من أنفه فغضب فرعون فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يعينك على هؤلاء الجنود فسكن غضبه فلما بلغ موسى ثلاثين سنة فاذا هو برجلين يقتتلان وذلك أن طباخا لفرعون أمر فتى من بنى اسرائيل يحمل معه الحطب الى دار فرعون وخاف أن يثقلت منه فلم يقدر عليه حتى استجار بموسى فقال موسى للطباخ اتركه يا قبطى فقال لا أتركه فوكز موسى فى صدره فمات ومضى الفتى فندم موسى وأخبر فرعون بفعل موسى فلم يصدق فلما كان من الغد خرج موسى خائفا يترقب فاذا الذى الى آخر الآية فدخل قبطى على فرعون وأخبره بقتل موسى للرجل بالامس فأرسل فرعون فى طلب موسى وأذن لاولياء القتيل أن يقتلوه حيث ما وجدوه فسمع حزقيل وهو رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فأقبل الى موسى وقال له ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج موسى نحو أرض مدين فلم يزل يسير حتى سار الى أهل مدين وبه جهد من الجوع والعطش واذا بجماعة يسقون من بئر لاغنامهم بدلو عظيم يجره جماعة منهم واذا بامرأتين تذودان غنمهما من غنم الرعاة فسكت موسى حتى فرغوا من سقى أغنامهم وأطبقوا الحجر على البئر وانصرفوا ثم قال موسى للمرأتين قربا أغنامكما الى الحوض ثم تقدم وضرب الحجر برجله فبعد أربعين ذراعا مع ضعفه من الجوع وسقى أغنامهما فتمنى موسى فى ذلك الوقت شبعة من خبز الشعير فانصرفا الى أبيهما وأخبراه بما كان فقال لاحداهما اذهبى فأتى به فأقبلت الى موسى وهى شديدة الحياء وقالت له ان أبى يدعوك ليجزيك أجر

ماسقيت لنا فقام موسى وهي تمر بين يديه فكشف الريح عن ساقها فقال لها موسى تأخري فتأخرت ودلته على الطريق حتى دخل على شعيب وهو يومئذ شيخ كبير فلما قص عليه القصص دعى له شعيب بالطعام فأكل وقالت ابنته يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين فرغب فيه وقال له انى أريد أن أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فرضى موسى فجمع شعيب المؤمنين و زوجه ابنته والتمس موسى عصا فقال شعيب ادخل البيت وخذ عصا وكان فيها عصا كثيرة فدخل موسى ونظر الى عصى الانبياء فأخذ من جملتها عصا خضراء فقال شعيب يا موسى هذه من أشجار الجنة أهداها الله الى آدم فلا تخرجها من يدك وانى موصيك أن أهل مدين قوم حساد فلا تقبل قولهم وان ههنا وادى كثير الخير وفيه حية عظيمة فان دلوك على هذا الوادى فلا تدخل فيه فخرج موسى بغنم شعيب وهم يومئذ أربعون رأسا فعمد موسى الى الوادى الذى فيه الحية فأقبلت تلك الحية على الغنم فأخذ موسى عصاه وضربها ضربة فقتلها ثم رجع الى شعيب فأخبره بذلك ففرح وأحبه أهل مدين محبة عظيمة ولم تزل تزيد غنم شعيب حتى بلغت أربعمائة رأس ثم عزم موسى الى الخروج فقال يا شعيب قد طالت غيبتى عن أمى وخالتى وأخى هارون فانهم فى مملكة فرعون فبادر الى موسى وتعانقا ثم أقبل على ابنته وقال لها لا تخالفيه فنعم الصاحب لك وودعهما وودعاه ما وشيعهما مشايخ مدين ثم سار موسى بزوجته جادا فى السير حتى بلغ جانب الطور الايمن فى ليلة شديدة البرد وجن الليل وهبت الرياح وغيمت السماء فأنزل موسى أهله عن الاتان وضرب خيمته على شفير الوادى وأدخل أهله فيها وأمطرت السماء فأخذ أهله الطلق فى ذلك

الوقت

لوقت مع الحطب ليوقد نارا فضرب الزند بالحجر فلم يخرج نارا فغضب من ذلك وبقي متحيرا فاذا هو بنار تلمع على البعد فأسرع حتى أتاها ولم تكن نارا فلما أتاها نودي يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري يعني في النبوة والرسالة ثم تذكر موسى ما كان منه من قتل القبطي فقال رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون فنودي يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون ثم قال لهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم أي بالبنيان ونقل الحجارة وكانت هذه المخاطبة لموسى وحده والرسالة له ولاخيه هارون وفي ذلك الوقت أي وقت مخاطبة الرب لموسى قد اشتد بابنة شعيب الطلق فسمع أنينها سكان الوادي من الجن فحضروا عندها وأوقدوا لها نارا ولم يزالوا هناك حتى ولدت ثم قيض الله لها راعيا من أرض مدين فعرفها وجاءها وأتى بها الى والدها شعيب فلم تزل عنده حتى فرغ موسى من أمر فرعون وعاد الى بلاد التيه فبلغ ذلك شعيبا فرد اليه امرأته فلما خاطب الله موسى بالرسالة الى فرعون سار حتى أتى الى بلاد مصر فأوحى الله الى هارون بقدوم موسى وهو يومئذ وزير من وزراء فرعون لا يفارقه ليلا ولا نهارا على مرتبة أبيه عمران ثم ان الله تعالى أذن لهما بالالتقاء فالتقيا وتعانقا وبشره بالشركة في الرسالة ثم انهما أقبلا يريدان أمهما وجبريل معهما وهارون خائف يقول اخفض صوتك يا موسى فقال موسى ذهب

الباطل وجاء الحق فلا أخاف من فرعون ولا جنوده فان الله تعالى قال لى انى معكما أسمع وأرى واقبلا حتى أتيا باب أمهما فقال هارون ان أمى لاتعرف قرعك فقرع هارون الباب وكانت تصلى فأنكرت القرع لانه كان فى الليل فى غير وقته ثم قالت هو قرع ابنى هارون فقامت من محرابها وقالت من هذا فى مثل هذا الوقت قال موسى حين سمع صوتها حتى قال ولداك موسى وهارون ففتحت الباب فلما نظرت اليهما صاحت صيحة عظيمة فغشى عليها وبقيت شاخصة فقال جبريل انها لاتفيق الا بدموعك ياموسى فوضع موسى وجهه على وجهها ولم يزل يبكى رحمة لها حتى أفاقت فدخلوا الدار وذكر لها موسى كيف خرج الى مدين وكيف رعى الغنم لشعيب وكيف تزوج بابنته وكيف خرج من هناك وكيف صيره الله رسولا وكيف سأل ربه الشركة لاخيه هارون فى الرسالة فخرت ساجدة شكرا لله وأقام موسى بقية ليلته عند أمه فلما كان من الغد خرج متنكرا فجعل ينظر الى ما أحدثه فرعون من البنيان بأرض مصر ثم رجع الى أمه حين أقبلت الليلة الثانية فلما انتصف الليل خرج الى قوم فرعون حتى صار الى بابه فنظر الى الحجاب والجنود فوجدهم نياما ما فيهم من يرفع رأسه فتقدم موسى فقرع باب فرعون بعصاه فانفتح فدخل القصر وله عدة أبواب وصار موسى يقرع كل باب قرعة بعصاه ويقول بسم الله الفتاح العليم حتى دخل الدار ولم يزل يتقدم حتى صار الى المحل الذى فيه فرعون فاذا بفرعون نائم وهارون جالس على رأسه فلما رآه قام اليه وأخرجه من القبة وقال له ياأخى قد تعجلت فانصرف الآن فانصرف موسى وانغلقت الابواب فرجع موسى وأخبر أمه بجميع ما كان فلما كان من الغد سار موسى الى باب فرعون فوقف عليه والقوم ينظرون اليه فمنهم من عرفه ومنهم

من أنكره فلم يزل كذلك حتى دخل عليه وزير من وزرائه فقال
أيها الملك انى رأيت اليوم على بابك رجلا أنكرته فسألت عنه فقيل لى
هذا موسى بن عمران فتغير وجه فرعون ثم قال لذلك الوزير وما صفته
قال رجل طويل تام أسمر حسن الوجه كث اللحية عليه جبة من
صوف وفى يده عصاة حمراء فأقبل فرعون على هامان وقال ياهامان
ألك معرفة به فقال لا فخرج هامان اليه وسأله عن اسمه وحسبه
فعرفه ولم ينكره فقال لأعوانه خذوا هذا واحبسوه حتى يأتيكم أمر
الملك فحبس وأخبر فرعون أنه موسى وأنه أمر بحبسه فالتفت فرعون
الى هارون وقال له أخوك موسى قد قدم من أرض مدين ولم تخبرني به
فقال أيها الملك أردت أن أخبرك به فخفت أن تغضب والآن هو
فى حبسك وتحت حكمك فاحمله الى بين يديك فدعا فرعون بالفراش
بين قصره وجعله الذى هو فيه وهو سرير من ذهب بقوائم من الفضة
يصعد اليه بالمراقى فلما فرغ من زينته أرسل الى موسى فأحضره فلما أتى به
خافت عليه بنو اسرائيل ولم يشكوا فى قتله له فلما جاء الى باب فرعون
قال اللهم انى أعوذ بك من شره فانك على كل شىء قدير ثم دخل ووقف
بين يديه فعرفه فرعون حق المعرفة ولكن قال له من أنت فقال له
موسى أنا عبد الله ورسوله وكليمه فقال له فرعون انك عبد فرعون
فقال موسى الله أعز من أن يكون له ند فقال له فرعون ولاى شىء جئت
فقال أرسلنى ربى اليك والى جميع أهل مصر فقال فرعون فيما أرسلت
فقال له موسى بقول لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن موسى عبده
ورسوله فقال فرعون لموسى ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك
سنين وفعلت فعلتك يعنى قتلت القبطى فقال موسى فعلتها اذا وأنا
من الضالين عن النبوة ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما

وجعلني من المرسلين اليك يا فرعون وقال له تذكر يا فرعون احسانك
وتدع اساءتك لبني اسرائيل وهم عبيد لرب العالمين وكان فرعون
متكئا فاستوى جالسا فقال وما رب العالمين الى قوله قال أى موسى
أولو جئتك بشيء مبين قال فرعون فأت به ان كنت من الصادقين
فاضطربت العصاة في كف موسى عليه الصلاة والسلام وقال
جبريل ألقها يا نبي الله فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قيل تمثلت مثل
الجمل البختي ثم قام ذلك الثعبان الذي هو صورة العصا على رجليه حتى
شرف برأسه على حيطان قصور فرعون ثم رفع القصر على يده وتنفس
في البيوت والخزائن فاشتعلت نارا وصارت رمادا وجعلت تلك العصا
لا تمر بشيء الا ابتلعته ثم تهيج كهيجان الجمل ولها صوت كصوت الرعد
القاصف وآسية تنظر وهي متعجبة ثم أقبلت الحية الى القبة التي فيها
فرعون فوضعت لحيها الاسفل تحت القبة ولحيها الاعلى فوق القبة
ثم رفعت القبة في الهواء ثمانين ذراعا ثم قالت يا فرعون وعزة ربي لئن
أذن لي لابتلعتك مع قصرك فوثب فرعون عن سريره وكان به عرج
فجعل ينذو بعرجته ويقول يا موسى بحق التربية وبحق الرضاع وبحق
آسية فلما سمع موسى بذكر آسية صاح بالحية فأقبلت نحوه فادخل
يده في فيها وقبض على لسانها فاذا هي عصا كما كانت فلما نظر فرعون
ذلك رجع الى موضعه وقال يا موسى تعلمت سحرا عظيما فقال يا فرعون
أسحر هذا انه لا يفلح الساحرون فبعث فرعون في المدائن حاشرين
للسحرة فاجتمع اليه سبعون ألف ساحر فاختار أحذقهم ثم بعث الى
موسى وقال له اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا
سوى هذا الموضع فقال موسى موعدكم يوم الزينة وهو أول يوم من
السنة كانوا يخرجون فيه الى ظاهر البلد فلما كان ذلك اليوم اجتمع

الناس من أطراف مصر واجتمعت السحرة فقال لهم فرعون اجتهدوا
لأجل أن تغلبوا موسى فقالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين فقال لهم
نعم وانكم اذا لمن المقربين أي الجالسين واجتمع الناس في صعيد واحد
صفوفا لينظروا الى الغالب ثم وخرج فرعون الى ذلك الوادي وفرش
فيه من الفرش شيأ كثيرا ونصبت له الاسرة والكراسي وكان موسى في
منزله فأرسل اليه فأقبل ومعه أخوه هارون فقال لهم موسى أيها السحرة
لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فقالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون أول من ألقى فقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون
فألقوا حبالهم وعصيهم وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر
عظيم قال الله تعالى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك
أنت الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا الآية فألقى موسى
عصاه في وسط الوادي فصارت ثعبانا لها سبعة رؤس فابتلعت حبالهم
وعصيهم جميعا ثم ابتلعت جميع ما في الوادي من الزينة التي أخرجها
فرعون فوثب فرعون ووزراءه فوقفوا على تل ينظرون ثم حملت الحية
على السحرة فولوا هاربين ثم اجتمعوا في موضع وقالوا ما هذا سحر ثم خروا
بأجمعهم سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون الى قوله
والله خير وأبقى ثم قال فرعون لهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب
أسباب السموات فاطلع الى اله موسى فجمع هامان خمسين ألف بني
وصانع فقوم يطبخون الآجر وآخرون ينقلون الجص الى غير ذلك فبنوا
ليلا ونهارا حتى ارتفع الصرح في الهواء ارتفاعا ما انتهى اليه أحد
فاشتد ذلك على موسى وهارون فأوحى الله اليهما لا تعجلا ثم أمر الله
عز وجل جبريل عليه السلام فهدم الصرح وجعل أعلاه أسفله ومات
كل من كان فيه من القبط الذين كانوا على دين فرعون وجعل المؤمنون

يزيدون مع موسى عليه السلام حتى كثروا ثم ان جبريل عليه السلام
أتى الى فرعون فى صورة آدمى حسن الوجه واللباس فوقف بين يديه
فقال له فرعون من أنت فقال أنا عبد من عبيد الملك جئتك مستفتيا
على عبد من عبيدى مكنته من نعمتى وأحسنت اليه كثيرا وجحد حقى
وتسمى باسمى فما جزؤه عندك قال جزاؤه عندى أن يغرق فى هذا البحر
كلمة أجراها الله على لسانه قال فأسئلك أن تكتب لى خطا بذلك
فأعطاه خطه بذلك فأخذه جبريل عليه السلام وعرج من عنده
والصحيفة معه حتى صار الى موسى وأطلعه عليها فقال جبريل لموسى
ان الله يأمرك أن ترحل مع قومك فنادى موسى فى بنى اسرائيل
بالرحيل فارتحلوا وهم ستمائة ألف الكل من ولد يعقوب فسمع فرعون
بارتحالهم فنادى فرعون بجنوده فاجتمعوا وكانوا لا يحصون عددا
لكثرتهم واعتقد فرعون أن موسى خرج هاربا منه فسار فرعون
وجنوده خلف موسى حتى قربوا من بنى اسرائيل فقالوا يا موسى قد
لحقنا فرعون فقال موسى كلا ان معى ربى سيهدين فأوحى الله
الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضرب فانفلق اثنى عشر طريقا
للاسباط الاثنى عشر لكل سبط طريق فجعلوا يسيرون فى البحر
ويتحدثون ويرى بعضهم بعضا وموسى أمامهم وهارون وراءهم حتى
خلصوا من البحر فجاء فرعون وجنوده وزراءه فنظروا الى البحر يابسا
فحدث فى نفسه أن يدخل فى تلك الطريق قبل الاختلاط لاجل
ما يلحق موسى فهبط جبريل على فرسه فى صورة آدمى فقال أيها
الملك ما يمنعك من العبور وتقدم بجنبه فاشتم مهر فرعون رائحة فرس
جبريل فتبعها وتبعته جنوده وجعل جبريل يقول أيها الملك لا تعجل
وميكائيل يسوق الناس حتى لم يبق من جنود فرعون أحد فأخرج

جبريل

جبريل الصحيفة وقال أيها الملك أتعرف هذه الصحيفة فلما فضها علم أنه هالك ثم أخذت الطارق تلطم بعضها بعضا والناس يغرقون وفرعون ناظر اليهم فلما استيقن الموت قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين قال تعالى فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ثم ان بنى اسرائيل قال بعضهم لبعض ان فرعون لم يغرق فأمر الله تعالى البحر فألقاه الى الساحل ليراه بنو اسرائيل فلما رأوه عرفوا أنه قد غرق وهلك فسبحان الملك الجبار الذى يمهل على الطغاة ولا يهملهم بل يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ولنرجع الى قول الناظم ومن رفع الاهرام أى بناها فنقول هو رجل من جبابرة العمالقة يقال له سنان ابن المهاهل بنى الاهرام الموجودة باقليم الجيزة باستعانة جماعة من العمالقة وأحكم بناءها وجدد رأيها واعدها لخزن الغلال وهى باقية الى يومنا هذا هكذا قيل وقيل ان البانى لها ملك من ملوك مصر يقال له سوريد قبل الطوفان وسبب ذلك أن الملك المذكور قد رأى فى منامه كأن الارض قد انقلبت بأهلها وكأن الكواكب قد تساقطت وصار يضرب بعضها بعضا بأصوات هائلة فأغمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم أنه سيحدث فى العالم أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بأيام كأن الكواكب نزلت الى الارض فى صورة طيور بيض وكأنها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكأن الجبلين انطبقا عليهم وكأن الكواكب النيرة صارت مظلمة مكسوفة فانتبه مذعورا فلما أصبح جمع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر وكانوا مائة وثلاثين كاهنا فخلى بهم وحكى لهم ما رآه أولا وآخرا فأولوه بأمر عظيم فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث فبالغوا غايتهم فى استقصاء ذلك وأخبروا بأمر

الطوفان فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الآفة بلادنا قالوا نعم يأتي الطوفان عليها وتخرب مدة سنين قال فانظروا هل تعود عامرة كما كانت أو تبقى مغمورة بالماء فقالوا بل تعود البلاد كما كانت وتعمر فأمر عند ذلك بعمل الاهرام وشرع في بنائها وجعل ارتفاع باب كل واحد من الاهرام في الهواء مائة ذراع بذراعهم وهو خمسمائة ذراع بذراعنا الآن فلما فرغت كساها ديباجا ملونا من فوقها الى أسفلها وعمل لها عيدا حضره أهل مملكته بأجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلاثين مخزنا من حجارة صوان ملون وملأت بالاموال الجمة والآلات والتماثيل المعمولة من أنواع الجواهر النفيسة والسلاح الذي لا يوصف والزجاج اللين الذي ينطوي ولا ينكسر وذكر القبط في كتبهم ان عليها كتابة منقوشة تفسيرها أنا سوريد الملك بنيت هذه الاهرام وأتممت بناءها في ستين سنة فمن أتى بعدي وزعم انه ملك مثلي فليهدمها في ستمائة سنة وانى كسيتها الديباج عند فراغها فليكسها الحصر فنظروا فوجدوا انه لا يقوم بهدمها شيء من الازمان الطوال ولما مات سوريد دفن في الاهرام ومعه ما جمع من أمواله وكنوزه وكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها وقال بعض الحكماء ليس شيء الا يخشى عليه من الدهر الا الاهرام فان الدهر يخاف منها وقد نظم ذلك عمارة اليمني وأجاد وقال

خليلي ما تحت السماء بنية * تماثل في اتقانها هرمي مصر
بناء يخاف الدهر منه وكل ما * على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنائها * ولم يتنزه في المراد بها فكري

ولله در القائل

أنظر الى الهرمين واسمع منهما * ما يرويان عن الزمان الغابر

لو

لو نطقـا ن لخبرانا بالذى * فعل الزمان بأول وبآخر

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أين من شادوا وسادوا وبنوا * هلك الكل فلم تغن القلل)

الاولى بالشين المعجمة أى بنوا بيوتهم بالشيد والثانية بالسين المهملة اى سادوا أقرانهم ونظائرهم بما أعطاهم الله من القوة والباس والعتو وفى نسخة بدل الثانية جادوا أى تكرموا قال فى المصباح جاد الرجل يجود من باب قال جودا بالضم تكرم فهو جواد أى كريم وجاد بالمال بذله وأعطاه انتهى وقال فى المصباح أيضا الشيد بالكسر الجص وشدت البيت أشيده من باب بنيته بالشيد فهو مشيد وشيدته تشييدا طولته ورفعته انتهى وقوله وبنوا بفتح النون وسكون الواو أى دورا مزخرفة يحتمل أن الناظم رحمه الله تعالى أراد بذلك ثمود قوم صالح فقد ذكرهم بعد عاد كما هو الغالب فى ترتيب القرآن العظيم فهم الذين بنوا الارض واتخذوا من سهولها قصورا ونحتوا من الجبال بيوتا وبقوتهم وكثرتهم استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا فأهلكوا بالطاغية وأخذتهم الصيحة كما قال تعالى فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ويحتمل أنه أراد غيرهم من مطلق الناس فيكون شاملا لكل من شاد وساد وبنى وقوله هلك الكل أى الجميع من نمرود ومابعده ولم تغن القلل بضم القاف أى القصور العالية قال فى المصباح قلة الجبل أعلاه والجمع قلل وقلال وقلة كل شىء أعلاه انتهى ولله در الملاح حيث قال فى تخميسه

أين من من روضة الفضل جنوا * اين من من بهجة العلم دنوا

أين من حازوا المعالى واقتنوا * أين من شادوا وسادوا وبنوا

هلك الكل فلم تغن القلل

(واعلم) أنه قد جرت عادة الله فى خلقه انه لا يمضى قرن من القرون الا وتموت أهله وتبطل معالمه وتندرس رسومه كل ذلك اظهارا لقدرته وتحقيقا لعجز الخلق وقد أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز فى آيات كثيرة بهلاك الامم الماضية قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وعالما بعد عالم قال تعالى وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد والآيات فى هلاك القرون السابقة كثيرة جدا فكفى بالقرآن واعظا قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أين أرباب الحجا أهل النهى * أين اهل العلم والقوم الاول)

هذا شروع من الناظم فى ذكر موت الصالحين بعد أن ذكر هلاك الجبابرة فالدنيا ليست دار اقامة لا لصالح ولا لطالح كما هو مشاهد أى أين أصحاب الحجا بالكسر والقصر أى العقل ويسمى العقل أيضا نهية على وزن عرفة وجمعها نهى كما فى قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لأولى النهى أى لاصحاب العقول ويسمى أيضا لبا وجمعه ألباب كما فى قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لأولى الالباب ويسمى أيضا قلبا كما فى قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى عقل قال بعضهم وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى فليس شىء أفضل من العقل ولذلك كان نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أعقل الناس وقوله أهل النهى بالرفع بدل من أرباب الحجا لان النهى جمع نهية والنهية هى العقل كما تقدم فهى مرادفة للحجا وقوله أين اهل العلم كالأئمة الاربعة المجتهدين وأتباعهم المتقدمين وقوله والقوم بالرفع عطف على أهل أى وأين القوم الاول بضم الهمزة وفتح الواو جمع أول كالصحابة والتابعين أى فالكل قد حكم الله عليهم بالموت قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل

فسبحان

فسبحان الباقي بعد فناء خلقه قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(سيجمع الله كلا منهم * وسيجزي فاعلا ما قد فعل)

أي سيجمع الله نمرود وكنعان ومن ذكرهما الناظم بعدهما ويجمع غيرهم أيضا من جميع الحيوانات ويجازي كل فاعل بما فعله من خير وشر وفي كلامه اشارة الى أن الله سبحانه وتعالى يجمع الخلق بعد الموت من التراب والخزف واللبن ومن أجواف السمك والسباع والطيور والهوام كيف كانوا وان الله تعالى ينبتهم من الارض نباتا كما بدأهم أول مرة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويجمعهم في صعيد واحد ويحاسبهم على الفتيل والنقير والقطمير وغير ذلك قال تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون وقال تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون وقوله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وقال تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وقال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال صلى الله عليه وسلم الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر والآيات والاحاديث الدالة على اثبات البعث كثيرة شهيرة وقد ذكر مولانا وشيخنا سيدي أحمد السجاعي في رسالة سماها القول الازهر فيما يتعلق بارض المحشر ما نصه وقع السؤال عن الارض في يوم المحشر من أي شيء تكون هي وهل تبدل جميعها أو البعض وما المراد بقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وما مكان حشر الناس الجواب انه ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولين أحدهما انه تبدل صفة الارض والسماء لا ذاتهما فأما تبديل الارض فتتغير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدك جبالها ويستوي منخفضها ومرتفعها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من العمارات ولا يبقى على وجهها شيء الا ذهب

وأما تبديل السماء فهو أن تنتثر كواكبها وتطمس شمسها وقمرها ويكوران وتكون تارة كالدهان كما قال تعالى فكانت وردة كالدهان أي صارت حمراء كالاديم وتارة كالمهل كما قال تعالى يوم تكون السماء كالمهل أي النحاس المذاب ويدل على صحة هذا القول ماروى عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لاحد قال في تفسير الخازن العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الابيض المائل الى حمرة والنقي بفتح النون وكسر القاف الدقيق الذي نقي من الشعير والنخالة وقوله ليس فيها معلم لاحد بفتح الميم واللام بينهما مهملة ساكنة الشيء الذي يستدل به على الطريق يريد انها مستوية ليس فيها حدب يرد البصر ولا بناء يستر ما وراءه انتهى والحدب ما ارتفع من الارض وثانيهما أن تبدل ذات الارض والسماء ثم اختلف أصحاب هذا القول في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى الآية تبدل الارض بأرض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه تبدل الارض من فضة والسماء من ذهب وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير تبدل الارض من خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه قال ابن حجر ويستفاد منه أن المؤمنون لا يعاقبون بالجوع في طول نهار الموقف بل يقلب بقدرته طبع الارض حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ماشاء الله بغير علاج ولا كلفة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال الارض كلها نار يوم القيامة وعن كعب الاحبار رضي الله عنه انه قال يصير مكان البحر نارا وعن ابن كعب رضي الله عنه أنه قال تصير الارض والجبال غبرة على وجوه

الكفار

الكفار لا على وجوه المؤمنين وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى
وإذا البحار سجرت قال تسجر حتى تصير نارا (واعلم) انه لا تنافي بين
أحاديث مصيرها خبزة وغبرة ونارا بل يجمع بأن بعضها يصير خبزة
وبعضها غبرة وبعضها نارا وهي أرض البحر خاصة بدليل ما تقدم
وفي تفسير الخازن فان قلت اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن
الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل
ما عمل عليها قلت وجه الجمع ان الارض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها
كما تقدم وفيها القبور والبشر على ظهرها وفي بطنها فحينئذ تحدث
أخبارها ثم بعد ذلك تبدل فذلك تبديل ثان وهو أن تبدل ذاتها بغيرها
كما تقدم أيضا أي وذلك اذا وقفوا في المحشر فتبدل لهم الارض التي يقال
لها الساهرة ويحاسبون عليها وهي أرض عفراء بيضاء من فضة لم
يسفك فيها دم ولم تعمل عليها معصية وحينئذ يقوم الناس على الصراط
وهو لا يسع جميع الخلق فيقوم من فضل على متن جهنم وهي كاهالة
جامدة والاهالة بالكسر الودك المذاب وهي الارض التي قال عبد الله
انها أرض من نار فاذا جاوزوا الصراط ودخل أهل النار في النار وأهل
الجنة في الجنة من وراء الصراط وقاموا على حياض الانبياء يشربون
بدلت الارض كقرصة النقي فأكلوا من تحت أرجلهم وعند ذهابهم
الى الجنة كانت خبزة واحدة أي قرصا واحدا يأكل منه جميع الخلق
ممن دخل الجنة وادامهم زيادة كبد الحوت قاله الجلال السيوطي
في البدور السافرة ويدل على صحة هذا التأويل ما أخرجه الامام أحمد
عن أبي أيوب قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود قال
أرأيت اذ يقول الله يوم تبدل الارض غير الارض فأين الخلق عند ذلك
قال أضياف الله لن يعجزه ما لديهم والمبدل هو الارض جميعها كما يؤخذ

ذلك من عدة أحاديث منها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى
السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض ومنها ما أخرجه
مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذها بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك
أنا الجبار أين المتكبرون ثم يطوى الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم
يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون قال القاضي عياض القبض
والطي والاخذ كلها بمعنى الجمع ثم رجع ذلك الى معنى الرفع والازالة
والتبديل فعاد ذلك الى ضم بعضها الى بعض وابادتها وقال القرطبي
المراد بالطي هنا الاذهاب والافناء يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه
وجاءنا غيره أي مضى وذهب وأما اليد واليمين والشمال فهو من باب
أحاديث الصفات التي لا يعتقد ظاهرها والناس فيها على قسمين
فبعضهم وهم السلف يعتقدون ورودها ويعلمون استحالة ظاهرها
ويكلون أمرها الى الله وبعضهم وهم الخلف يعتقدون ورودها
ويعتقدون تنزيه الله تعالى عن ظاهرها ويؤولونها تأويلا موافقا كتأويل
اليمين بقبضة الرحمة والشمال بقبضة النقمة انتهى (فائدة) أخرج
الطبراني في الاوسط وابن عدي بسند ضعيف عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تذهب الارضون
كلها يوم القيامة الا المساجد فانه ينضم بعضها الى بعض انتهى ومكان
الحشر الشام كما ذكره الجلال السيوطي في البدور السافرة ونصه
أخرج البزار والطبراني بسند حسن عن سمرة بن جندب أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول لنا انكم تحشرون الى بيت المقدس ثم
تجتمعون وأخرج أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال يقول الله

لحضرة بيت المقدس لأضعن عليك عرشي ولأحشرن اليك خلق ولياتينك داود يومئذ راكبا (واعلم) أن الارض المبدلة لا تسمى بعد التبديل شيأ أما الا باعتبار ما كان وقد نظم سيدى أحمد السجاعي رحمه الله تعالى السؤال المتقدم فقال

ألا أيها الاحبار ما أرض حشرنا * وما قصد التنزيل أن تتبدلا
وفي مكان فيه حشر لجسمنا * أجيبوا وأتوا بالنصوص ذوى العلا

وأجاب رحمه الله تعالى بقوله

لربي حمد مع صلاة لحبه * وصحب كذا والتابعين من الملا
فل أرض سماء يوم حشر تبدلا * بورق وقيل النار عسجد أبدلا
فيأكل ذو الايمان من تحت أرجل * لكيلا يذوق الجوع منه تفضلا
وليس مناف للتبدل أكلهم * فتشبيهها المقصود اذ خبز تجملا
وقيل بنار تبدل أو غبرة ولا * تنافي اذ البعض المراد فحصلا
وما حبة الشام حشرنا تى * فى الاخبار عن هاد شفيع مجملا
وأحمد راج للقبول بجاهه * عليه صلاة مع سلام ومن تلا

وقوله بورق أى بفضة مضروبة أى في البياض والنقاوة وقوله وقيل النار وهو والسماء أبدل عسجدا أى ذهبا وقوله وليس مناف المقصود من هذا البيت بيان أن أكلهم لا ينافي ابدالها لانها كالفضة في نقاوتها وبياضها والا فهى خبزة وقوله ولا تنافي اذ البعض المراد فحصل هذا جواب عن سؤال وهو أنه تقدم أن المؤمن يأكل منها وانها كالفضة البيضاء فكيف يقال انها تبدل نارا وغبرة وحاصل الجواب أن المراد به أن بعضها يبدل بذلك لا جميعها فلا تنافي انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أى بنى اسمع وصايا جمعت * حكما خصت بها خير الملل)

لفظة أي للنداء فأي من أدوات النداء مثل يا وبني منادى يحتمل أن يكون ابنه من النسب حقيقة والخطاب له ويحتمل أن يكون الخطاب لغيره مطلقا على سبيل العموم وعلى وجه النصيحة ويكون النداء له على حد نداء النكرة غير المقصودة كقول الواعظ ياغافلا والموت يطلبه وقول الاعمى يارجلا خذ بيدي والوصايا جمع وصية والمراد بها هنا نشر العلم ونفع المسلمين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدلالة على الخير وغير ذلك والحكم جمع حكمة والمراد بها العلم المقرون بالعمل وقيل هي علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وقيل هي الامانة في القول والفعل وقيل هي معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي النبوة وقيل غير ذلك قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا والملل جمع ملة وخيرها ملة الاسلام قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقد فضل الله تعالى هذه الامة على سائر الامم قال الله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وقال تعالى وجعلت أمتك وسطا وجعلت أمتك هم الاولون والآخرون وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم الى آخر ما من الله به عليه وعلى أمته في ليلة المعراج وفي كتاب طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب قال وهب بن منبه لما قرأ موسى عليه السلام الالواح وجد فيها فضيلة أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال يارب من هذه الامة المرحومة التي أجدها في الالواح قال هي أمة محمد صلى الله عليه وسلم يرضون مني باليسير أعطيهم اياه وأرضى منهم باليسير من العمل أدخلهم الجنة

بشهادة أن لا إله إلا الله قال يارب فاني أجد في الالواح أمة يحشرون يوم القيامة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر فاجعلهم أمتي فقال هي أمة محمد أحشرهم يوم القيامة غرا محجلين قال يارب اني أجد في الألواح أمة يطلبون الجهاد بكل أفق حتى يقاتلوا الاعور الدجال فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يصلون في اليوم والليلة خمس صلوات في خمس ساعات من النهار والليل وتفتح لهم أبواب السماء وتنزل عليهم الملائكة فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة الارض لهم مسجد وطهور وتحل لهم الغنائم فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يصومون لك شهر رمضان فيغفر لهم ما كان قبل ذلك فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة يحجون لك البيت الحرام يعجون لك بالبكاء عجيجا ويضجون ضجيجا فاجعلهم أمتي قال هي أمة أحمد قال فما تعطيهم على ذلك قال المغفرة وأشفعهم فيمن وراءهم قال يارب اني أجد في الالواح أمة يرفع أحدهم اللقمة الى فيه ويفتحها باسمك ويختمها بحمدك فلا تستقر في جوفه حتى يغفر له فاجعلهم أمتي قال هي أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة هم السابقون يوم القيامة وهم الآخرون من الخلق فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتب له عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال يارب اني أجد في الالواح أمة اذا هم أحد منهم بسيئة ثم لم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة

أحمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة هم خير الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال هى أمة أحمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة يحشرون يوم القيامة على ثلاثة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يمحصون ثم يدخلون الجنة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد قال يارب بسطت هذا الخير لاحمد وأمته فاجعلنى من أمته قال الله تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه ما تقولون فى هذه الآية وما كنت بجانب الطور اذ نادينا قالوا الله ورسوله أعلم فقال لما كلم الله موسى عليه السلام قال يارب هل فى الامم أكرم عليك من أمتى ظللت عليهم الغمام وأنزلت عليهم المن والسلوى فقال الله تعالى أما علمت أن فضل أمة محمد على سائر الامم كفضلى على سائر خلقى قال موسى يارب أفأراهم قال انك لن تراهم ولكن اذا أحببت أن تسمع كلامهم فعلت قال فانى أحب ذلك قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه بصيحة واحدة يقولون لبيك اللهم لبيك كلهم وهم فى أصلاب آبائهم ثم قال الله تعالى صلاتى عليكم ورحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عذابى وانى قد غفرت لكم قبل أن تستغفرونى فمن لقينى منكم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه فأراد الله أن يمن على بذلك فقال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا أمتك وفى بعض كتب الله المنزلة أنا الله الذى لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى محمد المختار عبدى ورسولى أمته الحامدون رعاة الشمس فيهم صلاة لو كانت فى قوم نوح ما هلكوا بالطوفان ولو كانت فى قوم عاد ما هلكوا بالريح ولو كانت فى قوم ثمود ما هلكوا

بالصحة انتهى قال فى تنبيه الغافلين فى الباب الرابع والسبعين مانصه
قال كعب الاحبار ان الله تعالى أكرم هذه الامة بثلاثة أشياء قد أكرم
بها أنبياء أحدها انه جعل كل نبي شاهدا على قومه وجعل هذه
الامة شهداء على الناس والثانى انه قال للرسل يا أيها الرسل كلوا من
الطيبات وقال لهذه الامة كلوا من طيبات مارزقناكم والثالث قال
لكل نبي دعوة مستجابة وقال لهذه الامة ادعونى أستجب لكم ويقال
ان الله تعالى أكرم هذه الامة بست كرامات أولها انه خلقهم ضعفاء
حتى لا يستكبرون وثانيها خلقهم صغارا فى أنفسهم حتى تكون مؤنة
الطعام والثياب عليهم أقل وثالثها جعل أعمارهم قصارا حتى تكون
ذنوبهم أقل ورابعها خلقهم فقراء حتى يكون حسابهم فى الآخرة أقل
وخامسها خلقهم آخر الامم حتى يكون مقامهم فى القبر أقل وسادسها
جعلهم آخر الامم لئلا يفتضحوا بين الامم وعن كعب الاحبار قال قرأت
فى بعض ما أنزل الله على موسى عليه السلام يا موسى ركعتان يصليهما
أحمد وأمته وهى صلاة الغداة يقول الله تعالى ما صلاهما أحد الاغفرت له
ما أصاب من الذنوب فى يومه وليلته ويكون فى ذمتى يا موسى أربع
ركعات يصليهن أحمد وأمته وهى الظهر أعطيهم بأول ركعة منها المغفرة
وبالثانية أثقل موازينهم وبالثالثة أوكل عليهم الملائكة يسبحون
ويستغفرون لهم وبالرابعة أفتح لهم أبواب السماء وتشرف عليهم الحور
العين يا موسى أربع ركعات يصليهن أحمد وأمته وهى صلاة العصر فلا
يبقى ملك فى السموات ولا فى الارض الا استغفر لهم ومن استغفرت له
الملائكة لم أعذبه أبدا يا موسى ثلاث ركعات يصليهن أحمد وأمته
وهى صلاة المغرب حين تغرب الشمس أفتح لهم أبواب السماء فلا يسألون
حاجة الا قضيتها لهم يا موسى أربع ركعات يصليهن أحمد وأمته وهى

صلاة العتمة حين يغيب الشفق خير لهم من الدنيا وما فيها ويخرجون من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ياموسى اذا توضأ أحمد وأمته كما أمرتهم أعطيتهم بكل قطرة تقطر من الماء جنة عرضها كعرض السماء والارض ياموسى يصوم أحمد وأمته شهرا من كل سنة وهو شهر رمضان أعطيهم بصيام كل يوم مدينة فى الجنة وأعطيتهم بكل خير يعملون فيه من التطوع أجر فريضة وأجعل فيه ليلة القدر فمن استغفر منهم فيها مرة واحدة نادما صادقا من قلبه فان مات من ليلته أو شهره أعطيه أجر ثلاثين شهيدا انتهى (واعلم) أن الله تعالى اختار أمة محمد على الامم وخيار الامة علماؤها واعلم هذه الامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خيار كل قرن علماؤه انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أطلب العلم ولا تكسل فما * أبعد الخير على أهل الكسل)

أى اجتهد فى تحصيل العلم وطلبه وهو ادراك المعلوم على ما هو عليه فى الواقع أو هو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع فخرج بالاول الشك والوهم بناء على القول بأنه لا حكم فيهما وخرج بقيد الجازم الظن وبقيد المطابق للواقع غيره فهو الجهل المركب وهو اعتقاد الشىء على خلاف ما هو عليه فى الواقع كادراك الفلاسفة قدم العالم وسمى مركبا لتركبه من جهلين عدم العلم واعتقاد انه عالم وقوله ولا تكسل أى لا تسأم أيها الطالب عن الاشتغال به لان آفة الكسل والسآمة قبيحة شنيعة كما قال الناظم فما أبعد الخير على أهل الكسل والخير اسم جامع لانواع الفضائل فهو خلاف الشر ويرحم الله القائل

أطلب ولا تضجرن من مطلب * فآفة الطالب ان يضجرا
الم تر ان الحبل بتكراره * على الصخرة الصماء قد أثرا

وقال بعضهم

العلم نور فلا تهمل مجالسه * واعمل جميلا ترى فالفضل فى العمل

لا ترقد الليل ما فى النوم فائدة * لا تكسلن ترى الحرمان فى الكسل

(تنبيه) الامر فى قول الناظم للوجوب فطلب العلم واجب كما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة قال بعض العلماء أراد به علم التوحيد وعلم أحوال القلب وعلم الشريعة فأما علم التوحيد فهو أن يعرف الشخص أن له الها عالما قادرا جبارا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا متصفا بصفات الكمال منزها عن النقصان والزوال ليس كمثله شىء وأن يعرف أن له ملائكة وهم عباده لا يعصونه فيما أمرهم به ويفعلون ما يأمرهم به لا يأكلون ولا يشربون وأن يعرف أن له كتبا منزلة وكلها منسوخة بالقرآن وأن يعرف أن له رسلا أرسلهم الى الخلق أولهم آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأن شريعته باقية الى يوم القيامة وأن يعرف أن سؤال منكر ونكير حق والحشر والنشر حق والجنة والنار حق والحساب والميزان حق والصراط حق وأن يعرف أن القدر خيره وشره من الله تعالى لا يجرى شىء فى الوجود الا بارادته ومشيئته وأما علم أحوال القلوب فهو أن يعرف الشخص أن للقلب أخلاقا محمودة فيفعلها وأخلاقا مذمومة فيتباعد عنها أما المحمودة فكالتوكل على الله تعالى والاخلاص له سبحانه وتعالى والحمد والشكر على النعم والتوبة من المعاصى والخوف والرجاء والزهد والصبر والمحبة والرضاء بالقضاء وذكر الموت وأما المذمومة فكالحرص على الطعام والشراب وكراهية الجوع مع أن فيه فوائد منها صفاء القلب ورقته وذل النفس وكسر الشهوات وزوال النوم المانع من العبادة وكالحرص على الكلام فيما لا يعنى لان للسان

آفات كثيرة والغالب عليه منها الغيبة والكذب والمدح والمزاح وكالغضب والحسد والبخل وحب الجاه وحب الدنيا والكبر والعجب والرياء وغير ذلك من أمراض القلوب وأما علم الشريعة فكل ما تعين عليه فعله فالواجب عليك معرفته لتؤديه على حقيقته كالطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من أنواع العبادات والمعاملات والمناكحات وأفضل العبادات البدنية الصلاة لان العبادات اما قلبية كالايمان والتفكر والتوكل والصبر والورع والزهد ونحوها واما بدنية كالاسلام والصلاة والصوم والحج والقلبية أفضل من البدنية وأفضل القلبية الايمان ولا يكون الا واجبا وقد يكون تطوعا بالتجديد وأفضل البدنية الصلاة كما تقدم لانه اجتمع فيها ما تفرق في غيرها من ذكر الله ورسوله وقراءة وتسبيح ولبث وطهارة وستر واستقبال وترك أكل وشرب وغير ذلك وزادت بالركوع والسجود ونحوهما (واعلم) أن أعضاءك كالاغنام السائمة وأنت راعيها وقد رعت في أودية المعاصي فتجمعها في وقت الصلاة بين يدي الله تعالى فاذا قمت الى الصلاة قمت بين يدي مولاك سبحانه وتعالى فاذا كبرت فقد أذعنت بأن الكبرياء والعظمة له سبحانه وتعالى فاذا ركعت فكأنك قلت يا رب رقبتي لك وأنا عبدك وثقل المعصية أنقض ظهري فاطرحه عني واذا سجدت فكأنك تقول عفرت وجهي بالتراب تائبا خاضعا لك فاذا قمت للصلاة فاجتهد في تطهير قلبك وتذكر في قيامك انك واقف بين يديه كوقوفك يوم العرض عليه سبحانه وتعالى واذا كبرت بلسانك فلا يكذبك قلبك فان كان فيه شيء كبير سوى الله تعالى فاطرحه عنه ويكفينا في فضيلة الصلاة ما روى أنه سئل البخاري ما تقول فيمن لا يصلي فنكس رأسه طويلا ثم رفع رأسه

فقال

فقال السائل لا تظن أنى فعلت ذلك عجزا عن جوابك ولكن نظرت
بقلبي فى كتب شرائع الاسلام وعرضت جميع القرآن من أوله الى آخره
هل أجد فيه أن من لا يصلى يكون مسلما أم لا فما وجدت أن من ترك
الصلاة متعمدا يكون مسلما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا الاداء
ما افترض علينا من الصلوات وغيرها على وجه يرضيه سبحانه وتعالى
آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(واحتفل للفقه فى الدين ولا * تشتغل عنه بمال وخول)

أى اجمع حواسك للفقه أى للفهم فى الدين أى فى أحكامه ولا تشتغل
أى لا تلتهى عنه بمال ولو كثر ولا خول بفتح الخاء المعجمة والواو كخدم
وحشم وزنا ومعنى أفاده فى المصباح ففى هذا البيت الامر بالاجتهاد
فى طلب العلم الذى لا بد منه وهو العلم الشرعى كالفقه والحديث
والتفسير والالات الموصلة الى فهم ذلك لانه هو الذى يجب على
الانسان الاشتغال به لاجل أن يعرف ما هو مطلوب منه من فرض
ونفل وما هو منهى عنه من حرام ومكروه فعلم من هذا التقرير ان المراد
بالفقه فى النظم معناه اللغوى وهو الفهم فقوله واحتفل للفقه أى للفهم
فى الدين أى فى أحكامه وليس المراد به معناه الاصطلاحى الذى هو
العلم بالاحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية
لانه بهذا المعنى قاصر على الفقه فقط والدين فى اللغة يطلق على معان
منها الجزاء قال تعالى مالك يوم الدين أى الجزاء ومنها الطاعة يقال فلان
دان لفلان أى أطاعه واصطلاحا ما شرعه الله من الاحكام على لسان
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والدين والملة والشريعة والشرع ألفاظ
متحدة فى المعنى مختلفة بالاعتبار لان الاحكام من حيث اشتهارها
وظهورها وتشريعها تسمى شرعا وشريعة ومن حيث املاء الشارع

اياها المنا تسمى ملة ومن حيث انقياد الخلق لها تسمى دينا انتهى وفى هذا البيت أيضا النهى عن الاشتغال عن العلم بما هو من القواطع عنه كالمال والحشم والخدم والامور المتعلقة بتحصيل الدنيا وغير ذلك

ولله در القائل

تعلم فان العلم زين لاهله * وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة * من العلم واسبح فى بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد * الى البر والتقوى واعدل قاصد
هو العلم الهادى الى سنن الهدى * هو الحصن ينجى من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا * أشد على الشيطان من ألف عابد

وذكر فى الجامع الصغير أنه صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(واهجر النوم وحصله فمن * يعرف المطلوب يحقر مابذل)

أى اترك النوم وحصله أى العلم الشرعى مع آلاته لا كل علم لان العمر يقصر عن تحصيل كل علم خصوصا فى هذا الزمن الذى كثرت فيه الشواغل ولا تستعظم ترك النوم فى تحصيله لان من يعرف المطلوب وعظمته ونفعه يحقر بفتح الياء التحتية وكسر القاف من باب ضرب أى لا يعبأ ولا يعتنى بالشىء الذى بذله وأعطاه عن طيب نفس هكذا يستفاد من المصباح فقد أمر الناظم رحمه الله تعالى بهجر النوم وتحصيل العلم لان من طبع النفس النوم والكسل والميل الى اللهو واللعب والتنعم والفتور عن الطاعات خصوصا عن العلم والليل تتفرغ فيه الحواس عن الشواغل وتنقطع فيه الامور المتعلقة بالدنيا غالبا فينبغى سهره وتحصيل العلوم فيه فهو ان فاتته لذة النوم فقد حصلت له لذة

اعلى

أعلى وأعظم من ذلك لان المعلوم عند أهله انهم لا يلتذون بشيء أحلى منه حتى ان المشتغلين به الملازمين لتحقيق مسائله وتدقيق فضائله يحصل لهم به من الفرح والسرور والطرب مالا يحصل لغيرهم ممن يتحرى سماع الآلات والمآكل والمشارب وغير ذلك كما قال بعضهم

سهري لتنقيح العلوم الذلى * من وصل غانية وطيب عناق
وصرير أقلامي على أوراقها * أحلى من الدوكاة والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها * نقري لالقي الرمل عن أوراق
وأبيت سهران الدجا وتبيته * نوما وتبغي بعد ذاك لحاق

ثم ان الناظم رحمه الله تعالى ذكر مثالا بين به ان من يعرف فضل العلم وما أعده الله لطالبه في الدار الآخرة من الاجر العظيم والنعيم المقيم احتقر في جنب ذلك ما يلاقيه من الامور الشاقة في الدنيا وما يحصل له من التعب والسهر وترك اللذات الدنيوية وما يصيبه من المصائب كنقص في رزقه أو ولده أو نحو ذلك وهو قوله فمن يعرف المطلوب يحقر ما بذل ولله در امامنا الشافعي رضي الله عنه حيث قال

أصبر على مر الجفا من معلم * فان رسوب العلم في نفراته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة * تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه * فكبر عليه أربعا لوفاته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى * اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

وله أيضا نور الله ضريحه

رأيت العلم صاحبه كريما * ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه الى أن * تعظم أمره القوم الكرام
ويتبعونه في كل حال * كراعي الظن تتبعه السوام
فلولا العلم ماسعدت رجال * ولا عرف الحلال ولا الحرام

وقال بعضهم

العلم مغرس كل فضل فاجتهد * أن لا يفوتك فضل ذاك المغرس
واعلم بأن العلم ليس يناله * من همه في مطعم أو ملبس
واحرص لتبلغ فيه حظا وافرا * واهجر له طيب المنام وغلس
لتعز حتى ان حضرت بمجلس * كرمت فيه وكنت صدر المجلس
ان الخلي من العلوم مقامه * عند النعال له صموت الاخرس

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(لا تقل قد ذهبت أربابه * كل من سار على الدرب وصل)

أي لا تقل قد مضت أربابه أي أصحابه بموتهم وانقراضهم لان في المثل المشهور أن كل من سار على الدرب وصل الى مطلوبه والدرب المدخل بين الجبلين والجمع دروب مثل فلس وفلوس وليس أصله عربيا والعرب استعملته في معنى الباب فيقال لباب السكة درب وللمدخل الضيق درب لانه كالباب في التوصل بكل قاله في المصباح وهذا البيت جواب عن سؤال مقدر فكأن قائلا قال للناظم رحمه الله تعالى كيف يتيسر الاشتغال بالعلم وقد انقرض بانقراض أهله وتعذر تحصيله فأجابه بقوله لا تقل قد ذهبت أربابه فانه قد جرت عادة الله في خلقه على ممر الاعوام والدهور انه لا يخلو زمن من العلماء اقامة لشريعته صلى الله عليه وسلم وانه اذا ماتت طائفة خلفتها أخرى كما قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله معطي ولن يزال أمر هذه الامة مستقيما لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله فينبغي الاجتهاد في العلوم لان لكل مجتهد نصيبا قال صلى الله عليه وسلم كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك وهو الذي يكره العلماء وقال صلى الله عليه وسلم لعلي لان يهدي الله

بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وقال الشافعى رضى الله عنه مجالس فقه خير من عبادة ستين سنة وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء حديث صحيح وأما حديث علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل فتكلم فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان العالم والمتعلم اذا مرا على قرية فان الله تعالى يرفع العذاب عن مقبرة تلك القرية أربعين يوما وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أمتى وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ان الله عز وجل وملائكته وأهل السموات والارضين حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير ذكره فى الجامع الصغير وفى تنبيه الغافلين فى الباب السابع والخمسين ما نصه عن كثير ابن قيس قال كنت جالسا مع أبى الدرداء فى مسجد دمشق فأتاه رجل فقال يا أبا الدرداء جئتك من المدينة فى حديث بلغنى أنك حدثته عن النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما جئت لتجارة ولا حاجة وما جئت الا لهذا فقال ما جئت الا له قال أبشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيها علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء لما يصنع وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فالذى نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة ويمشى على الارض والارض تستغفر له ويمسى ويصبح مغفورا له وروى أن النبى صلى الله

عليه وسلم دخل المسجد فرأى مجلسين أحدهما يذكر الله تعالى فيه والآخر يتعلمون فيه الفقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل المجلسين على خير وأحدهما أفضل من الآخر أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما فهؤلاء أفضل ثم جلس معهم وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن لو كان له أبوقبيس ذهبا فينفقه في سبيل الله تعالى وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال لا أعلم شيأ أفضل من الجهاد في سبيل الله الا أن يكون طلب العلم فانه أفضل من الجهاد في سبيل الله ومن خرج من بيته في طلب باب من العلم الا حفته الملائكة بأجنحتها وصلت عليه الملائكة في جو السماء والسباع في البر والحيتان في البحر وآتاه الله أجر اثنين وسبعين صديقا وعن أبي الدرداء قال مالي أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون تعلموا العلم قبل أن يرفع بموت العلماء ويقال العلماء سرج الازمنة فكل عالم مصباح زمانه وروى عن سالم بن أبي الجعد رضي الله عنه قال اشتراني مولاي بثلثمائة درهم فأعتقني فقلت في نفسي بأي الحرفة أحترف فاخترت العلم على كل حرفة فلم يمض بي كثير مدة حتى أتاني الخليفة زائرا فلم آذن له وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سوى ذلك ويقال من ذهب الى عالم وجلس عنده ولم يقدر على حفظ شيء مما قاله الا أعطاه الله سبع كرامات أولها ينال فضل المتعلمين وثانيها مادام عنده جالسا كان محبوسا عن الذنوب والخطايا وثالثها اذا خرج من منزله نزلت عليه الرحمة ورابعها اذا جلس عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه ببركته وخامسها تكتب

له الحسنات مادام مستمرا وسادسها تحفهم الملائكة بأجنحتها وهو فيهم وسابعها كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب ورفعا للدرجات وزيادة فى الحسنات هذا لمن لم يحفظ شيأ وأما الذى يحفظ فله أضعاف ذلك مضاعفة وعن عمر رضى الله عنه أنه قال ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العلم خاف الله واسترجع من ذنوبه فينصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله لم يخلق على وجه الارض أكرم من مجالسهم قال بعض العلماء ولو لم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر الى وجه العالم لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيه فكيف وقد أقام النبى صلى الله عليه وسلم العلماء مقام نفسه فقال من زار عالما فكأنما زارنى ومن صافح عالما فكأنما صافحنى ومن جالس عالما فكأنما جالسنى ومن جالسنى فى الدنيا أجلسه الله تعالى معى يوم القيامة فى الجنة وروى الحسن قال مثل العلماء كمثل النجوم اذا بدت اهتدوا بها واذا أظلمت تحيروا وموت العالم ثلمة فى الاسلام لا يسدها شىء ما اختلفت الليالى والايام انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(فى ازديادا لعلم ارغام العدا * وجمال العلم اصلاح العمل)

أى فى زيادة العلم والاكثار منه ارغام أى اذلال واهانة العداء بكسر العين جمع عدو ويجمع أيضا على أعداء والعدو خلاف الصديق قاله فى المصباح وانما كانت الزيادة فى العلم ارغاما للاعداء لان من زاد علما بلغ مناه وارتفع قدره بين الانام وتكامل فخره عند الخاص والعام وطاب عيشه وظفر بسعادة الدنيا والآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا خير فى عيش الا لعالم ناطق أو مستمع أوواع وقول الناظم رحمه

الله تعالى وجمال العلم أى زينته اصلاح العمل أى تحسينه وموافقته للشريعة فحينئذ يكون عالما عاملا وهذا هو الممدوح وما سواه مذموم قال فى تنبيه الغافلين فى الباب الثامن والخمسين مانصه قال أبو الدرداء رضى الله عنه لا يكون الرجل عالما حتى يكون بالعلم عاملا وعنه أيضا رضى الله عنه أنه قال ويل للذى لا يعلم مرة وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات وعن سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال من علم وعمل فذلك الذى يدعى فى ملكوت السموات عظيما وعن على كرم الله وجهه أنه قال اذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم منه وان جمع العلم كله وقال سفيان بن عيينة من عمل بما علم فهو العالم ومن ترك العمل بما علم فهو الجاهل وذكر فى الخبر أن الملائكة يتعجبون من ثلاثة من عالم فاسق يحدث الناس بما لا يعمل ومن قبر الفاجر يبنى بالجص والآجر ومن النقش على قبر الفاجر ويقال أشد الحسرات يوم القيامة ثلاثة رجل له مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه يدخل النار ورجل جمع مالا حلالا فمنع منه حقوق الله تعالى ومات فأنفقه ورثته فى الطاعة فينجون به والذى جمعه فى النار ورجل عالم غير عامل ينجو الناس بعلمه وهو يصير الى النار وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى الناس أشر فقال العالم اذا فسد وروى عن بشر بن الحارث أنه كان يقول لاصحاب الحديث أدوا زكاة هذه الاحاديث قالوا كيف نؤدى زكاتها قال أن تعملوا من كل مائتى حديث بخمس أحاديث وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من تعلم العلم لاربع دخل النار ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يقبل به وجوه الناس اليه أو يأخذ به الاموال من الامراء وقال الفضيل بن عياض اذا كان العالم راغبا فى الدنيا حريصا عليها فان مجالسته تزيد الجاهل جهلا والفاجر فجورا

وتقسى قلب المؤمن وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلطان ولم يدخلوا فى الدنيا فاذا دخلوا فى الدنيا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم على دينكم انتهى قيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندامة قال أما فى الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما فى الآخرة فعالم مفرط انتهى فعلم من هذا أن جميع ماذكر فى فضل العلم وارد فى شأن العلم النافع وهو الذى يعمل به صاحبه وغيره مذموم (فائدة) ينبغى للعالم أن يعرف نعمة الله عليه التى لا تحصى وأن يتخلق بالمحاسن الشريفة التى ورد الشرع بها من الزهد فى الدنيا وعدم المبالاة بها وبأهلها والسخاء والجود والكرم ومكارم الاخلاق وطلاقة الوجه من غير خروج الى حد الخلاعة والتواضع واجتناب الضحك والاكثار فى المدح وملازمة الوظائف الشرعية كالتنظف بازالة الاوساخ والشعور التى ورد الشرع بازالتها كقص الشارب وتقليم الاظفار وتسريح اللحية ونتف الابط وحلق العانة وازالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة وأن يطهر باطنه من الانجاس المعنوية كالحسد والكبر والرياء والعجب واحتقار غيره وان كان دونه وينبغى أن يترفق بمن يقرأ عليه ويعظمه ويحسن اليه بحسب حاله فقد روى الترمذى وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من أقطار الارض ليتفقهوا فى الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا والخطاب فى قوله لكم للعلماء من أصحابه والمراد منه العموم وينبغى أن يبذل لهم النصيحة بأن يكون محرضا لهم على التعليم ومؤلفا لقلوبهم وأن يذكرهم فضيلة العلم ليكون سببا لنشاطهم وزيادة فى رغبتهم فى الخير وأن يجعل المتعلمين كأولاده فى الشفقة عليهم

والاهتمام بمصالحهم والصبر على جفائهم وسوء أدبهم وأن يسامحهم في قلة أدبهم في بعض الاحيان فان الانسان معرض للنقصان لاسيما اذا كان صغير السن وهذا باب واسع جدا وفيما ذكرناه كفاية لأولى الباب قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(جمل المنطق بالنحو فمن * يحرم الاعراب في النطق اختبل)

أي زين وحسن المنطق أي النطق والكلام بالنحو فمن يحرم الاعراب أي التبيين والايضاح بمعرفة الفاعل والمفعول وغير ذلك اختبل في النطق أي تحير في كلامه ولم يدر الصواب من الخطأ ومن في النظم يحتمل أن تكون موصولة فما بعدها مرفوع أو شرطية فما بعدها مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين وعلم من النظم أن النحو جمال الالسنة وكمال العلماء وبه تعرف معاني الكتاب والسنة النبوية وبه يخاطب الله عباده في الجنة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة في الجنة عربي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العربية وعلموها الناس فانه لسان الله الذي يخاطب به عباده يوم القيامة انتهى وهو أي النحو علم بأصول مستنبطة من استقراء كلام العرب يعرف به أواخر الكلام اعرابا وبناء وموضوعه الكلمات العربية من حيث يبحث فيها عن الاعراب والبناء وفائدته معرفة صواب الكلام من خطئه وغايته الاستعانة به على فهم كلام الله ورسوله والاحتراز عن الخطأ في الكلام وجاء النحو في اللغة لمعان خمسة أحدها القصد يقال نحوت نحوك أي قصدت قصدك ثانيها المثل يقال مررت برجل نحوك أي مثلك ثالثها الجهة توجهت نحو البيت أي جهته رابعها المقدار يقال له عندي نحو ألف أي مقدار ألف خامسها القسم نحو هذا

على أربعة أنحاء أى أقسام وقد جمع ذلك بعضهم فى قوله

نحونا نحو دارك يا حبيبي * وجدنا نحو ألف من رقيب
وجدناهم عواة نحو كلب * تمنوا منك نحوا من شريب

وسبب تسمية هذا العلم بالنحو ما قيل أن أبا الاسود الديلى بكسر الدال المهملة وسكون المثناة التحتية كما ضبطه سيدى يوسف الحفنى فى حواشى الاشمونى قال دخلت يوما على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه فرأيته مطرقا متفكرا فقلت فيم تتفكر يا أمير المؤمنين قال انى سمعت بهذه البلدة لحنا فأردت أن أصنع كتابا فى أصل العربية فقلت له ان فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت هذه اللغة فينا ثم أتيته بعد ثلاث فألقى الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل والفاعل مرفوع وما سواه فرع عليه والمفعول منصوب وما سواه فرع عليه والمضاف اليه مجرور وما سواه فرع عليه وقال أنح لهم هذا النحو يا أبا الاسود واعلم يا أبا الاسود أن الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشىء ليس بظاهر ولا مضمر وانما يتفاوت فضل العلماء فى معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال أبو الاسود فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وأن وليت ولعل وكأن ولم أذكر لكن فقال لم تركتها فقلت لم أحسبها منها فقال بل هى منها فزدتها ذكره الامام السيوطى فى تاريخ الخلفاء ولله در القائل

النحو قنطرة الآداب هل أحد * يجاوز البحر الا بالقناطير
لو تعلم الطير ما فى النحو من أدب * حنت وأنت اليه بالمناقير
ان الكلام بلا نحو يحسنه * نبح الكلاب وأصوات السنانير

وقال بعضهم

قدم النحو على الفقه فقد * يبلغ النحوى بالنحو الشرف
أما ترى النحوى فى مجلسه * كهلال بان من تحت الشغف
يخرج الالفاظ من فيه كما * يخرج الجوهر من بطن الصدف

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(انظم الشعر ولازم مذهبى * فاطراح الرفد فى الدنيا أقل)

انظم بكسر أوله وثالثه من باب ضرب والشعر بكسر الشين المعجمة منصوب على المفعولية وهو النظم الموزون وتعريفه أى النظم الموزون ما تركب تركيبا متعاضدا وكان مقفى موزونا مقصودا به ذلك فما خلى من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شعرا ولا يسمى قائله شاعرا ولهذا ما ورد فى الكتاب العزيز والسنة النبوية موزونا فليس بشعر لعدم القصد والتقفية وكذلك ما يجرى على ألسنة بعض الناس من غير قصد لانه أى الشعر مأخوذ من شعرت اذا فطنت وعلمت وسمى شاعرا لفطنته وعلمه به فاذا لم يقصده فكأنه لم يشعر به انتهى مصباح وقوله ولازم مذهبى أى وتعلق بطريقتى وقصدى فى الشعر من كونى لا أنظم الا نظما جائزا كنظمى البهجة فى الفقه وكهذه القصيدة وأشباههما والذى تلخص من كلام العلماء ان الشعر الجائز هو الذى خلا عن هجو وعن الكثرة فى المدح وخلا عن الكذب وخلا عن التغزل بمعين وقد نقل ابن عبد البر الاجماع على جوازه اذا كان كذلك ذكره العلامة العلقمى على الجامع الصغير وقوله فاطراح الرفد أى فطرح الرفد والقاؤه ورميه فى الدنيا أقل والرفد بكسر الراء العطية والاعانة كما يستفاد من المصباح والمعنى فالقاء العطية فى الدنيا قليل والاكثر أخذها وقبولها ومن جملة العطايا نظم الشعر قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(فهو عنوان على الفضل وما * أحسن الشعر اذا لم يبتذل)

أى فالشعر عنوان بضم العين وكسرها قال فى المصباح عنوان الكتاب بضم العين وكسرها وعنوان كل شىء ما يستدل به عليه أى فهو دليل على الفضل الذى هو الزيادة فى الشىء فمن أهله الله تعالى للنظم استدل به على فضيلته وعلمه ولله در القائل

لاجزى الله دمع عينى خيرا * فلقد أباح بما خفاه لسانى
كنت من قبل ذا كطى كتاب * فاستدلوا على بالعنوان

وقوله وما أحسن الشعر اذ لم يبتذل أى اذا لم يمتهن فالمبالغة فى المدح بغير أصل وفى الذم كذلك قال فى المصباح بذلت الشىء بذلا امتهنته وانتقصته انتهى وما اسم تعجب فى موضع رفع على الابتداء وهى نكرة تامة عند سيبويه ومسوغ الابتداء بها ما فيها من معنى التعجب وأحسن فعل ماض على الأصح وفيه ضمير مستتر يعود الى ما مرفوع على الفاعلية والشعر مفعول به لاحسن وجملة أحسن الشعر فى موضع رفع خبر ما التعجبية انتهى والمقرر عند الشعراء أنه أرفع الفنون قدرا وأكملها فخرا وكفاه شرفا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولله در الملاح حيث قال فى تخميسه

كل من فى الشعر حقا نظما * زاده بين البرايا عظما
وأجلته جميع العظما * فهو عنوان على الفضل وما
أحسن الشعر اذا لم يبتذل

ولا يقدح فيه ما ورد من ذمه وذم الشعر قال تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون لان ذلك ورد فى شعراء الجاهلية الذين كانوا يتفاخرون فى مراسلاتهم ومحاوراتهم وقتالهم كامرء القيس وطرفة بن العبد وعنتر العبسى وأشباههم من شعراء الجاهلية المشهورين بدليل ما وقع من

الاستثناء فى الآية نفسها بقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية والمراد بهم شعراء الاسلام كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ونحوهما وأما قول الامام الشافعى رضى الله عنه

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم أشعر من لبيد

فالجواب عنه أن أهل العصر الاول خصوصا الامام الشافعى كانوا لا يشتغلون بالشعر لاشتغالهم بما هو أهم منه كالاجتهاد وتقرير الاصول والفروع وتدوين الكتب ونحو ذلك ومن عادة الناس انهم يقدمون الاهم فالاهم وكانوا يرون أن الاشتغال بالشعر بالنسبة الى ما هم فيه انتقاص وأما قول القائل

لا تحسبن الشعر علما نافعا * ما الشعر الا محنة وخبال

فالهجو قذف والرثاء نياحة * والعتب ذل والمديح سؤال

فالجواب عنه ان الذى تقرر عند العلماء ان الشعر من العلوم الكاملة الجامعة النافعة والمثبت مقدم على النافى ولا يقدح فيه ذم فرد من أفراد العالم فان ذلك نادر والنادر لا حكم له قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(مات أهل الفضل لم يبق سوى * مقرف أو من على الاصل اتكل)

أى مات أهل الفضل والعلم والشرف ولم يبق بعدهم الا مقرف أى لاعب أو رذيل والا الذى يتكل على أصله وشرفه فمقرف فى كلام الناظم يحتمل أن يكون بقافين بينهما راء مهملة بمعنى لاعب قال فى المصباح قرق الرجل قرقا من باب تعب لعب والاسم القرق وزن جمل انتهى ويحتمل أن يكون بفاء بدل القاف الاخيرة بمعنى رذيل وهو الاقرب بل هو المتعين قال الشاعر

كم مجود مقرف نال العلا * وكريم بخله قد وضعه

ذكره في الاشموني قال في حواشيه قوله مقرف أي دني الاصل فقد جرت عادة الله تعالى في خلقه قرناً بعد قرن وجيلا بعد جيل أن يموت الأمثل فالأمثل والاكمل فالاكمل حتى لا يبقى الأراذل الناس وأسافلهم كما ورد في الحديث كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم ومعنى كلام الناظم رحمه الله تعالى أنه تموت الاشراف والاكابر حتى لا يبقى الا مقرف في معاشرته ومصاحبته ووداده ومخالطته أو من يعتمد على آبائه وأجداده الماضين بأن يقول يكفيني ان أبي الشيخ فلان ابن فلان العناني أو الرفاعي أو البكري أو أنا منسوب الى الحسن بن على رضي الله عنهما أو الى الحسين بن على رضي الله عنهما أو الى الولي الفلاني فيتكل على أصوله الماضين ولم يدر أن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وحاصله أن كل ما قرب الزمان من الساعة انقرض الاخيار ولم يبق الا الاشرار وانقطع النفع من غالب المسلمين وما أحسن ما قيل

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقى الذين حياتهم لا تنفع

ولله در الملاح حيث قال في تخميسه

قد مضى الناس وفي القلب الجوى * وغدا من كان للفضل حوى
هل ترى اليوم لداء من دوى * مات أهل الفضل لم يبق سوى
مقرف أو من على الاصل اتكل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أنا لا أختار تقبيل يد * قطعها أجمل من تلك القبل)

أي لا أختار ولا أحب تقبيل يد من شخص موصوف بصفات قبيحة من كفر وفسق وسرقة وغيرها فقطع تلك اليد أجمل وأحسن من تلك القبل بضم القاف وفتح الموحدة جمع قبلة قال في المصباح القبلة اسم من

قبلت الولد تقبيلا والجمع قبل مثل غرفة وغرف انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى أختار عدم تقبيل يد الشخص الموصوف بصفات قبيحة مطلقا ولو كان له عنده حاجة ولو خاف الضرر منه وهذا مما يدل على توكله على ربه وانقطاعه له تعالى وترك المخلوقات جميعا رضي الله تعالى عنه وأما أيدي الصلحاء والعلماء والامراء العادلين فيستحب تقبيل ايادي العلماء وأهل الفضل والتماس دعواتهم الصالحة ونحو ذلك ويستحب لهم القيام أيضا لان النبي صلى الله عليه وسلم قام لسعد بن معاذ الانصاري لما رآه مقبلا وقال لاصحابه قوموا لسيدكم فقاموا وأما القيام للظلمة ونحوهم وتقبيل أيديهم والتواضع لهم ونحو ذلك ففيه تفصيل فيقال ان خاف على نفسه ضررا أو اتلاف مال ونحوه فلا بأس به بل قد يجب اذا تحقق ماذكر والا فلا يجوز وأما ما ارتكبه امراء زماننا من البلاء الاعظم والداهية الكبرى من تولية اليهود والنصارى أمور المسلمين في قبض أموالهم واحتكارهم أرزاقهم ومعايشهم واحتياج الحال الى تعظيمهم ومراعاتهم وتقبيل أيديهم والقيام لهم فينبغي أن يجري فيه التفصيل المتقدم هذا ما اختاره النووي تبعا لغيره من المحققين وهو اللائق خصوصا بزماننا هذا نسأله سبحانه وتعالى التسليم لقضائه وقدره قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ان جزتني عن مديحي صرت في * رقها أولا فيكفيني الخجل)

هذا البيت بيان للسبب الحامل له رحمه الله تعالى على عدم التقبيل فهو جواب عن سؤال وفي الامثال السائرة تقبيل يد لم تنفع أحق أن تقطع ومعنى البيت ان جزتني عن مديحي أي بأن قضت لي حاجتي التي أناطها أو اعطتني شيأ من الدنيا في مقابلة مديحي أي مدحي لها الذي منه تقبيلي لها صرت في رقها أولا أي وان لم تجزني فضلا عن طردها لي

فيكفيني

فيكفيني الخجل من الناس ومن الله أيضا لاني قبلت يد ذلك الشخص الفاسق لاجل قضاء حاجتي منه ولم يقضها لي والخجل بفتحتين الحياء وانما كان تقبيل اليد مدحا لان المدح هو الثناء على الشخص ولا فرق فيه بين أن يكون ذكرا باللسان أو عملا بالاركان أو محبة بالجنان ولا شك أن التقبيل عمل الفم فعلم من كلام الناظم رحمه الله أن السؤال قبيح لان المسؤل ان أعطى السائل صار في رقه وان لم يعطه كانت المصيبة أعظم وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم اذا سألت فاسأل الله قال طاوس لعطاء اياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيامة أمر أن تسأله ووعدك أن يجيبك وقال الفضيل بن عياض أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس وابغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم وأحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره وأبغض الناس اليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره وقال ابن السماك ان في طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ان هو أعطاه حمد غير الذي أعطاه وان منعه ذم غير الذي منعه لانه لا معطي ولا مانع في الحقيقة الا الله وكان بعضهم يقع سوطه فلا يسأل أحدا يناوله اياه لان السؤال فيه ذل وافتقار وكان بعضهم يقول من احتجت اليه هنت عليه وقال عامر بن قيس قرأت آيات في كتاب الله تعالى فاستغنيت بها عن الناس قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فلم اسأل غيره كشف ضري وقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله فلم أرد الخير والفضل الا منه وقوله عز وجل وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فلم أطلب الرزق من غيره وأغناني عن الناس بهذه الآيات قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أعذب الالفاظ قولي لك خذ * وأمر اللفظ نطقي بلعل)

أي أحلى الالفاظ التي أتلفظ بها قولي لك خذ وأمر اللفظ الذي أتلفظ به أي أكثره مرارة نطقي بلعل أي بقولي لعل فلانا يعطيني شيأ قال بعضهم لاشيء أحلى من قولك خذ خصوصا اذا كان قصدك وجه الله تعالى ولاشيء أمر من قول الانسان لغيره اعطني خصوصا اذا كان المسؤول لئيما وانما كان السؤال مرا لما ينشأ عنه من ذل الوجه الذي هو أشرف الاعضاء وفي هذا البيت اشارة الى ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي الآخذة (وعلم) أن السؤال مذموم اذا كان لآدمي وأما سؤال الله سبحانه وتعالى فينبغي للانسان أن لايتركه في أمر من الامور ولانه سبحانه وتعالى أمرنا به حيث قال واسئلوا الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا ترك العبد سؤله وان الله يحب من عباده الملحين في الدعاء ولله در القائل

لاتسئلن بني آدم حاجة * وسل الذي أبوابه لاتحجب
الله يغضب ان تركت سؤاله * وبني آدم حين يسئل يغضب

قال الحسن البصري لايزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع في دنياهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه وقال اعرابي لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بم سادكم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم فقال ماأحسن هذا وسأل كعب الاحبار وهو تابعي عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب مايذهب العلم من قلوب العلماء بعدما حفظوه وعقلوه فقال يذهبه الطمع وطلب الحاجات الى الناس فقال صدقت وقال أبو الحسن

الشاذلي

الشاذلي دخل علي بالمغرب بعض الاكابر فقال ما ارى لك كبير عمل فبم فقت الناس وعظموك فقلت بخصلة واحدة وهي الاعراض عنهم وعن دنياهم قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ملك كسرى تغن عنه كسرة * وعن البحر اجتزاء بالوشل)

أي ملك كسرى الواسع تغن عنه كسرة من الخبز يأكلها الشخص ويكتفي بها ويستغني عن غيرها ويغني عن البحر الكبير الماء اجتزاء بالزاي المعجمة أي اكتفاء قال في المصباح اجتزأت بالشيء اكتفيت به والوشل ما ترشحه الارض من الماء القليل فالظمآن يكتفي بشربة منه عن البحر الكبير وكسرى بكسر الكاف أفصح من فتحها ملك الفرس والكسرة بكسر الكاف القطعة من الشيء المكسور ومنه الكسرة من الخبز والجمع كسر مثل سدرة وسدر قاله في المصباح وفي هذا البيت اشارة الى ما هو مطلوب ومحبوب من الزهد والقناعة وعدم السؤال للغير والرضى بما هو مقسوم من الرزق فان من المعلوم ان القناعة كنز لا يفنى ومن قنع استغنى ومن طمع ذل في الدنيا والآخرة ولله در القائل

وجدت القناعة ثوب الغنى * فصرت بأذيالها امتسك
فالبسني جاهها حلة * يمر الزمان ولم تنتهك
فصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس كأني ملك

(واعلم) أن الزهد هو أصل المحبة فيما بين العبد وربه وفيما بينه وبين الناس فقد روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله وأحبني الناس فقال له صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد ما في أيدي الناس يحبك الناس وقد زهد فيها صلى الله عليه وسلم وأعرض عنها الى أن مات

عليه أفضل الصلاة والسلام ودرعه مرهون عند يهودي يقال له أبو الشحم ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن في بيتي شيء يأكله ذو كبد مع انه قد عرض عليه صلى الله عليه وسلم أن تجعل له بطحاء مكة ذهبا فأبى وقال لا يارب أجوع يوما وأشبع يوما ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصير وقد أثر في جنبيه فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال ذكرت كسرى وقيصر عدوى الله في الخز والديباج وأنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال له أفي شك أنت يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لهم الدنيا والآخرة لنا قال بلى قال فهو كذلك انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(اعتبر نحن قسمنا بينهم * تلقه حقا وبالحق نزل)

أي تأمل وتذكر واتعظ بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا يعني جعل هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا مسلما وهذا كافرا وهذا مصطفى بالنبوة والرسالة الى غير ذلك وقوله تلقه أي تجده حقا أي موافقا للواقع والضمير للمذكور وهو نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وبالحق نزل أي ونزل ملتبسا بالحق أي بالصدق فعلمنا من هذه الآية ان القسمة سابقة من الله عز وجل لا محو فيها ولا تغيير ولا تبديل ولا نقص ولا زيادة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم رفعت الاقلام وجفت الصحف فما قسمه الله لمخلوق من رزق وأجل وغيرهما لابد أن يستوفيه كاملا لكنه سبحانه وتعالى باين بين خلقه في الارزاق والآجال والفقر والغنى والقبض والبسط والخفض والرفع ولا يرد ما يقتضيه قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت الآية

من

من المحو والاثبات لانه بالنسبة الى اللوح المحفوظ فقط وأما ما فى الازل فلا محو فيه ولا اثبات فلا تناقض بين الآيات والاحاديث قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ليس ما يحوى الفتى من عزمه ✽ لا ولا ما فات يوما بالكسل)

أى ليس الذى يحويه الفتى ويملكه ويستولى عليه من عزمه واجتهاده بل هو من تقدير الله له ذلك وليس الذى فاته يوما بسبب الكسل وعدم اجتهاده فى تحصيله بل هو من تقدير الله أيضا فهذا البيت بيان وايضاح للبيت الذى قبله فعلم من هذا البيت أن ما لم يقسمه الله تعالى لعبده لا يناله بالقوة والعزم ولو اجتهد غاية الاجتهاد وان ما قسمه الله تعالى له لا يفوته ولو تكاسل عنه أو لم يطلبه أصلا كما قال صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله ذكره فى الجامع الصغير ولكن المستحب للعبد السعى والطلب كما قال تعالى فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ولله در القائل

من رام أن يأخذ الاشيا بقوته ✽ يفوته القصد تحقيقا مع التعب
واقنع برزقك ان الرزق منقسم ✽ يأتى اليك من الرزاق بالسبب

وقال آخر

يا طالب الرزق فى الدنيا بقوته ✽ تدور من بلد فيها الى بلد
أتعبت نفسك فيما لست تدركه ✽ وضاع عمرك فى هم وفى نكد
لو طرت بين السما والارض مجتهدا ✽ فى شربة الماء غير الرزق لم تجد
اقصر عناك لان الرزق منقسم ✽ يأتى اليك ولو فى جبهة الاسد

وقال آخر

الرزق يأتى وان لم يسع صاحبه ✽ حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفى القناعة كنز لا نفاد له ✽ وكل ما يملك الانسان مسلوب

وقال آخر

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل * الرزق في اللوح مكتوب مع الاجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا * لكنه خلق الانسان من عجل

وذكر في الخبر أن مؤمنا وكافرا كانا في الزمن الاول انطلقا يصيدان السمك فجعل الكافر يذكر آلهته فياتي له السمك فيقع في شبكته حتى أخذ سمكا كثيرا وجعل المؤمن ذكر الله تعالى فلا يجي له شيء ثم أصاب سمكة عند الغروب فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شيء ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته فتأسف ملك المؤمن الموكل به فلما صعد الى السماء أراه الله تعالى مسكن المؤمن في الجنة فقال والله ما ضره ما أصابه بعد أن يصير الى هذا وأراه مسكن الكافر في النار فقال والله ما يغني عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير الى هذا قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(اطرح الدنيا فمن عاداتها * تخفض العالي وتعلي من سفل)

أي اترك الدنيا الخسيسة السفيهة وانحسها كانت عادتها أن تخفض العالي أي تهينه وتحقره وتعلي أي ترفع الذي سفل بفتح الفاء وضمها والمناسب هنا الفتح قال في المصباح سفل سفولا من باب قعد وسفل من باب قرب لغة صار أسفل من غيره فهو سافل انتهى فالناظم رحمه الله تعالى أمر بطرح الدنيا وعلل ذلك بقوله فمن عاداتها الى آخره واسناد الخفض والرفع اليها انما هو على سبيل المجاز من باب اسناد الشيء الى ظرفه لان الخافض والرافع في الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى غاية الامر أنه سبحانه وتعالى علم انها دار خسيسة فرفع فيها السفلة والاخسة وخفض فيها الاشراف والفضلاء لانها ليست دراهم وانما دراهم الآخرة ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا

تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء أى لوكان للدنيا شرف عند الله قدر جناح بعوضة ماأنال الكافر أدنى شىء منها لان الكافر عدو الله فيستحق العذاب فى العاجلة والآجلة ولكن الله سبحانه وتعالى أخر عذابه ليوم لا ريب فيه ولم يحرمه النعمة الدنيوية لخستها وحقارتها انتهى (واعلم) أن الدنيا دار غرور وامتحان ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء وروى أن أسعد الناس فى الدنيا أرغبهم عنها وهى الغاشة لمن انتصحها والمغوية لمن أطاعها والخاسر من انقاد لها والفائز من أعرض عنها طوبى لعبد اتقى ربه وقدم توبته من قبل أن ينتقل منها الى الآخرة فيصبح فى بطن موحشة مظلمة لا يستطيع أن يزيد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها وفى صحف ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل يادنيا ماأهونك على الابرار الذين تزينت لهم انى قد قذفت فى قلوبهم بغضك والصد عنك ماخلقت خلقا أهون على منك انى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لاحد ولا يدوم لك أحد ولله در القائل

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

وقد قيل لزاهد أى خلق أصغر قال الدنيا لانها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ومن هوانها عند الله تعالى أنه خلقها ولم ينظر اليها ولا يعصى الا فيها ولا ينال ماعنده الا بتركها واذا أردت أن تزهد فيها فانظر هى

عند من و في يدمن وقال على كرم الله وجهه حلالها حساب وحرامها
عقاب من طلبها فاتته ومن نظر اليها أعمته ومن استغنى فيها فتن ومن
افتقر فيها حزن وقال الامام مالك رضى الله عنه الدنيا تخرج حلاوة
الايمان من القلب وقال حاتم الاصم الدنيا مثل ظلك ان تركته تراجع
وان طلبته تباعد وقال بعض الحكماء أكرموا من له بيت فى الاصل
ومن له مروءة ومن له مكانة فى العلم ولا يغرنكم سوء حالهم وانقلاب
الزمان بهم فان الكاسر يجبر كما يكسر ويكسر كما يجبر وما أعطى
الدهر شيأ بيمينه الا واستلبه بشماله وذكر فى الخبر عن عيسى عليه السلام
انه كان ذات يوم ماشيا اذ نظر الى امرأة عليها من كل زينة فذهب ليغطى
وجهه عنها فقالت اكشف عن وجهك فلست بامرأة أنا الدنيا فقال
لها ألك زوج فقالت لى أزواج كثيرة فقال لها أكل طلقك أم كل قتلتى
فقالت بل كل قتلت فقال لها حزنت على أحد منهم فقالت هم يحزنون
على ولا أحزن عليهم ويبكون على ولا أبكى عليهم واعجبا للمتأخرين كيف
لا يعتبرون بالمتقدمين وذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال
يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة
الخلقة لا يراها أحد الا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم
أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال لهم هذه الدنيا
التى تفاخرتم بها وتحاربتم عليها ثم يؤمر بها الى النار فتقول يارب أين
أتباعى وأصحابى وأحبابى فيلحقونها ومعنى القائها فى النار لكى يراها
أهلها ويرون هوانها على الله تعالى قال فى تنبيه الغافلين فى الباب
السابع والعشرين مانصه روى عن الضحاك قال لما أهبط الله آدم
وحوى الى الارض ووجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشى عليهما
أربعين صباحا من نتن الدنيا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال

واعجب

يا عجب كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يعمل لدار الغرور وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا سجن المؤمن والقبر حصنه والجنة مأواه والدنيا جنة الكافر والقبر سجنه والنار مأواه ومعنى قوله الدنيا سجن المؤمن أن المؤمن وان كان في النعمة الواسعة فهو بجنب ما أنعم الله به عليه في الجنة كأنه في السجن لان المؤمن اذا حضرته الوفاة عرضت عليه الجنة فاذا نظر الى ما أعد الله له من الكرامة عرف انه كان في السجن وأما الكافر اذا حضرته الوفاة عرضت عليه النار فاذا نظر الى ما أعد الله له من العقوبة عرف انه كان في الجنة فمن كان عاقلا لا يكون مسرورا في السجن ولكنه يطلب الراحة فينبغي للعاقل أن ينظر الى الدنيا ويتفكر فيما ضرب الله تعالى للدنيا من الامثال لان الله تعالى ضرب للدنيا مثلا والنبي صلى الله عليه وسلم ضرب لها مثلا والحكماء ضربوا لها مثلا والاشياء تصير واضحة بالامثال قال الله سبحانه وتعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قدم عليه من أرض فسأله عن أرضهم فأخبره عن سعة أرضهم وكثرة النعيم فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تفعلون قال انا نتخذ ألوانا من الطعام ونأكلها قال ثم تصير الى ماذا قال الى ما تعلم يا رسول الله يعني تصير بولا وغائطا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فكذلك مثل الدنيا وروى عن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال الدنيا مزرعة لرب العالمين والناس فيها زرعه وملك الموت منجله والمقبرة مداسه والقيامة تذريته والجنة بيت

احبابه والنار بيت أعدائه فريق فى الجنة وفريق فى السعير وروى عن
لقمان الحكيم أنه قال لابنه يابنى ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس
كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله والاعمال الصالحة بضاعتك
التى تحمل فيها والحرص عليها ربحك والايام موجها وكتاب الله دليلها
ورد النفس عن الهوى حبالها والموت ساحلها والقيامة أرض المتجر التى
تخرج اليها والله مالكها انتهى واختلف الناس فى التفضيل بين الدنيا
والآخرة فذهب قوم الى أن الدنيا أفضل من الآخرة واحتجوا له بأمور
منها أن الدنيا وسيلة والآخرة مقصد وقد يوجد فى الوسائل مالا يوجد
فى المقاصد ومنها أن الدنيا مزرعة للآخرة وطريق موصلة اليها فلا
ينتهى الانسان الى دار الآخرة الا بعد سلوكه فى دار الدنيا ومن زرع
زرعا حصده ومن عمل عملا وجده قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومنها أن الدنيا دار تكليف وعمل
والآخرة دار جزاء وفضل ولاخفاء أن العمل أفضل من الجزاء لما ورد
أن أهل القبور يودون أن يرجعوا الى الدنيا ليعملوا فيها خيرا لما رأوه من
ثواب الاعمال ومنها ما ورد من مدحها فى الحديث الشريف أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها
ينال الخير وبها ينجو من الشر واذا قال العبد لعن الله الدنيا قالت الدنيا
لعن الله اعصانا لربه انتهى * وذهب آخرون الى أن الآخرة أفضل
واحتجوا بأمور منها أن الدنيا وان عظم أمرها وتناهى فخرها بما يوجد
فيها من الاعمال الصالحات فهى آيلة الى الفناء والزوال ومن المعلوم
أن الدائم الباقى أفضل من الزائل الفانى ومنها أن فيها يؤول أمر المؤمن
الى الخلود فى الجنان والخيرات الحسان والخير العظيم والنعيم المقيم
والنظر الى وجه الله الكريم وغير ذلك مما ورد فى الخبر مما لا عين

رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومما ورد من النظم فى ذم الدنيا قول القائل

سألت عن الدنيا الدنية قيل لى * هى الدار فيها الدائرات تدور
اذا أضحكت أبكت وان أحسنت أسأت * وان عدلت يوما فسوف تجور

والقائل الآخر

انما الدنيا غرور ومحنة * فالسفيه الجهول من يصطفيها
مامضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التى أنت فيها

والقائل الآخر

أرى طالب الدنيا وان طال عمره * ونال من الدنيا سرورا وأنعما
كبان بنى بنيانه فأقامه * فلما استوى ماقد بناه تهدما

والقائل الآخر

هى الدنيا تقول لطالبيها * حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركمو منى ابتسام * فقولى مضحك والفعل مبكى

ولله در الملاح حيث قال فى تخميسه

انما الايام فى حالاتها * طبعها جلب الاذى فى ذاتها
تتبع التنغيص فى لذاتها * اطرح الدنيا فمن عاداتها

تخفض العالى وتعلى من سفل

وكثير من الاسافل رفعتهم الدنيا فمنهم زياد بن سميه ويقال له زياد بن أبى سفيان و زياد بن عبيد الثقفى وسمية كانت عند كسرى فوهبها الابى الخير ملك من ملوك اليمن فدخل بها الطائف فمرض فطبه الحارث بن كلدة فنفع فيه طبه فوهب له سمية فولدت ثقيفا ويكنى أبا بكرة ثم كانت تحت عبيد الثقفى فولدت له زيادا ويقال ان أبا سفيان واقعها على كره منها فى حالة سكره بغيا فحملت منه بزياد وقالت لعبيد انه منك

فكان عبيد يكنى به والسبب فى اضافة أبى سفيان زياد الى نفسه ماذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث زيادا فى اصلاح فساد وقع باليمن فلما رجع خطب خطبة لم يسمع الناس مثلها فقال عمرو بن العاص والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق العرب بعصاه فقال أبو سفيان والله انى لأعرف من وضعه فى رحم أمه فقال له على رضى الله عنه من هو يا أبا سفيان فأشار الى أنه هو وكانت فلتة من أبى سفيان فذلك الذى حمل معاوية على الحاق زياد بأبى سفيان وذلك فى سنة أربع وأربعين وشهد عنده مالك بن ربيعة والمنذر بن الزبير على اقرار أبى سفيان انه ولده وكان أبو بكرة يقول والله ما رأت سمية أبا سفيان قط وقال بعضهم لعامر بن شراحيل الشعبى هل تجوز الصلاة خلف ولد الزنا قال نحن منذ ثلاثين سنة نصلى خلفه ونرجو من الله القبول والعفو وقال زياد لرجل يا ابن الزانية قال أتسبنى بشىء شرفت به أنت وآباؤك وقال بعضهم كان زياد بن عبيد من موالى ثقيف ثم تعالت به الحال وظهرت قوته وحزامته حتى ولى فارس العلى ثم احتمل مالا وهرب الى معاوية وانتهى أمره الى ان ادعاه معاوية أخا لما رأى من نجابته ومن اصابة رأيه وجمع له بين العراقين ولاية وهو أول من جمع له والمراد بالعراقين عراق العرب وعراق العجم فعراق العرب فتح فى زمن عمر بن الخطاب عنوة بفتح العين أى قهرا وقسمه عمر رضى الله عنه بين الغانمين ثم طيب قلوبهم فبذلوه له ثم وقفه ماسوى مساكنه وأبنيته على المسلمين وآجره لاهله اجارة مؤبدة للمصلحة الكلية بخراج معلوم يؤدونه كل سنة فجريب الشعير درهما والبر أربعة والشعير وقصب السكر ستة والنخل ثمانية والعنب عشرة والزيتون اثنى عشر وجملة مساحة الجريب ثلاثة آلاف وستمائة ذراع والباعث له على وقفه

خوف اشتغال الغانمين بفلاحته عن الجهاد وحده طولا من أول
عبادان بتشديد الموحدة الى آخر حديقة الموصل وحده عرضا من أول
القادسية الى آخر حلوان بضم المهملة والصحيح أن البصرة وان كانت
داخلة في حد العراق فليس لها حكمه لانها كانت سبخة أحياها عثمان
ابن أبي العاص وعتبة بن غزوان في زمن عمر رضى الله عنهم أجمعين سنة
سبع عشرة بعد فتح العراق والصحيح أن ما في العراق من الدور
والمساكن يجوز بيعه لعدم دخوله في وقفه وخراج العراق يصرف
لمصالح المسلمين ومن مدائن عراق العرب بغداد وهى مدينة عظيمة
بناها المنصور في الجانب الغربي على الدجلة وأنفق عليها أموالا عظيمة
يقال انه أنفق عليها أربعة آلاف ألف دينار وكانت في أيام البرامكة
مدينة عظيمة يقال ان حماماتها حصرت في وقت من الاوقات فكانت
ستين ألفا وكان بها من العلماء والوزراء والفضلاء والرؤساء والسادات
مالا يوصف قال الطبري أقل صفة بغداد أنه كان فيها ستون ألف حمام
كل حمام يحتاج على الاقل الى ستة نفر سواق ووقاد وزبال ومدولب
وقائم وحارس وكل واحد من هؤلاء في مثل ليلة العيد يحتاج الى رطل
صابون لنفسه ولاهله ولاولاده فهذه ثلاثمائة ألف رطل وستون ألف
رطل صابون برسم فعلة الحمامات لا غير فما ظنك بسائر الناس
وما يحتاجون اليه من الاصناف في كل يوم ومن مدائنه أيضا المدائن وهى
مدائن قديمة جاهلية وبها آثارها ثلة وبها ايوان كسرى المضروب به المثل
واقليمها يعرف بأرض بابل ومن مدائنه النيل وهى مدينة حسنة وهى
على الفرات بين بغداد والكوفة وسبب تسميتها بالنيل أن الحجاج بن
يوسف حفر نهرا من الفرات وسماه النيل باسم نيل مصر وأجراه اليها
وعليه مدن عظيمة وقرى ومزارع ومن مدائنه نفذوى يقال انها المدينة

التي بعث اليها يونس بن متى عليه الصلاة والسلام ومن مدائنه الكوفة وهي على شاطىء الفرات بها بناء حسن ونخل كثير وتمر طيب جدا ومن مدائنه البصرة وحدثت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال انه كان بها سبعة آلاف مسجد وشرقي البصرة مياه الانهار وهي تزيد على عشرة آلاف نهر لكل نهر اسم ينسب الى صاحبه الذي حفره والغالب على هذه الانهار الملوحية وحكى بعض التجار أنه اشترى التمر بها خمسمائة رطل بدينار وهو عشرة دراهم ومن مدائنه واسط وهي بين البصرة والكوفة وهي أعمر بلاد العراق وعليها معمود ولاة بغداد ومن مدائنه عبادان وهي مدينة عامرة على شط البحر في الجهة الغربية من الدجلة وفي قعر البحر الفارسي خشبات منصوبات باحكام وهندسة وعليها ألواح مهندسة يجلس عليها احراس البحر ومعهم زورق شطه الايمن للعراقي والايسر للفارسي وأما عراق العجم فهو اقليم عظيم ويسمى اقليم خراسان كما انه يسمى عراق العجم وله نحو من خمسمائة مدينة قواعد خارجة عن القرى ومن مدائنه همدان ونيسابور وقم وخراسان وأصبهان وجرجان واردبيل وطوس فسبحان خالق الخلق ومالكهم ومحصيهم ومدبرهم لا اله الا هو لا شريك له في ملكه ومنهم الحجاج ابن يوسف الثقفي وأول أمره وكيفية وصوله الى عبد الملك بن مروان أنه لما اشتدت شوكة أهل العراق على عبد الملك بن مروان خطب الناس وقال ان نيران أهل العراق قد علا لهيبها وكثر حطبها فجمرها حار وشهابها وارفهل من رجل شديد ذي سلاح عتيد أبعثه لها فقام الحجاج فقال أنا يا أمير المؤمنين قال ومن أنت قال الحجاج بن يوسف بن الحكم ابن عامر فقال له اجلس ثم أعاد الكلام لم يقم أحد غير الحجاج فقال كيف تصنع ان وليتك قال أخوض الغمرات وأقتحم المهلكات فمن

نازعني

نازعنى حارسته ومن هرب منى طلبته ومن لحقته قتلته وعلى أمير المؤمنين أن يجرب فان كنت للاوصال قطاعا وللادر واح نزاعا وللاموال جماعا والا فاستبدل بى قال عبد الملك من تأدب وجد بغيته اكتبوا له كتابا ولؤم الحجاج من قبل رضاعه قيل ان أم الحجاج كانت عند الحارث ابن كلدة فطلقها وتزوجها يوسف بن عقيل الثقفى فولدت له الحجاج وقيل ان أمه الفارعة بنت مسعود الثقفية وكانت قبل أن يتزوجها يوسف عند المغيرة بن شعبة فدخل عليها يوما حين أقبل من صلاة الغداة وهى تتخلل فقال لها يافارعة لان كان هذا التخلل من أكل اليوم انك لنهمة وان كان من أكل البارحة انك لقذرة اعتدى فأنت طالق فقالت سخنت عينك من مطلاق ماهو من ذا ولا من ذاك ولكنى استكت فتخللت من سواكى فاسترجع ثم خرج فلقى يوسف بن الحكم ابن عقيل فقال انى قد نزلت اليوم عن خير نساء ثقيف وحدثه بالقصة فتزوجها يوسف فولدت له الحجاج مشوها لادبر له فنقب دبره وأبى أن يقبل الثدى فأعياهم أمره فتصور لهم الشيطان على صورة الحارث بن كلدة وأشار عليهم أن يذبح جدى اسود ويولغوه من دمه يومين وفى الثالث يذبح له تيس ويولغوه من دمه ويطلوا وجهه بما بقى منه فانه يقبل الثدى ففعلوا ذلك فأقبل على ثدى أمه فاكسبه الرضاع الاول لؤما وأما الرضاع الثانى تغير الطباع فكان فى كبره سفاكا للدماء فلما بلغ أشده صار هو وأخوه معلمين بالطائف وقد هجاه بعضهم بقوله

فلولا بنو مران كان ابن يوسف * كما كان عبدا من عبيد زياد
زمان هو العبد المقر بذله * يراوح صبيان القرى ويغادى

وقال آخر يذكر تعليمه الصبيان

أينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه صبية الكوثر

والكوثر قرية فى الطائف كان الحجاج معلما بها وعلى هذا يكون اسمه كليبا وهو الأولى به وقد تقدم منه الولوغ للدم فى صغره ورضاعه كما تقرر ومما يؤيد ما ذكر من لؤمه ما كتب له به عبد الملك بن مروان لما أراد قتل أنس بن مالك أما بعد فانك طغت بك الامور وعلوت فيها حتى تعديت طورك وايم الله يا ابن المستغرمة بعجم الزبيب لاركضن بك ركضة تدخل بها فى جحر أمك فاذكر مكاسب آبائك بالطائف اذ كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون الآبار بأيديهم قد نسيت ما كنت عليه وآباؤك من الدناءة واللؤم فلعنك الله أخفش العينين أصك الرجلين ممسوح الساعدين ولن يخفى على نبأك ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ذكر أهل التواريخ انه لما مات الحجاج أحصى من قتله صبرا سوى من قتل فى حروبه وسراياه فوجدوا مائة ألف وعشرون ألفا ومات فى حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة وكان يحبس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن بحبسه سماء تقيهم الحر والبرد وكان الحراس يمنعونهم اذا استظلوا من حر الشمس وزمهرير البرد وذكر أهل التاريخ أيضا انه ركب يوم جمعة يريد الجامع فسمع ضجة عظيمة فقال ما هذا قالوا أهل السجن يشكون ما هم فيه فالتفت الى ناحيتهم وقال اخسؤا فيها ولا تكلمون فيقال انه مات فى تلك الجمعة بواسط سنة خمس وتسعين وهو ابن أربع وخمسين سنة وكان آخر كلام سمع منه اللهم اغفر لى فان عبادك يظنون أن لا تفعل وكانت مدة امارته على الناس عشرين سنة الا سبعة أيام قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(عيشة الزاهد فى تحصيلها * عيشة الجاهد بل هذا أذل)

أى عيشة الشخص الزاهد فى الدنيا وفى تحصيلها وجمعها كعيشة

الشخص

الشخص الجاهد بالدال المهملة أى المجتهد المنهمك على الدنيا وجمعها فى أن كلا منهما لا يأكل ولا يلبس الا ما كتب الله له فى أزله ثم أضرب الناظم عن التساوى بينهما فقال بل هذا أى الشخص الجاهد أذل عند الله وعند الناس من الزاهد فيها لما يترتب على جمعها من التذلل لاهلها والتواضع لهم وذكر عن يحيى ابن معاذ أنه قال فى اكتساب الدنيا ذل النفوس وفى اكتساب الآخرة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة فى طلب ما يفنى ويترك العز الذى يبقى * وقال فى تنبيه الغافلين روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا زعيم لثلاثة بثلاثة للمكب على الدنيا والحريص عليها والشحيح بها بفقر لا غنا وشغل لا فراغ وهم لا فرح وروى عن أبى عثمان النهدى رضى الله عنه أنه قال رأيت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه قميصا فيه اثنا عشر رقعة وهو على المنبر يخطب وروى عن أبى ذر أنه قال انى لأعرف بالناس من البيطار بالدواب فأما خيارهم فالزاهدون فى الدنيا وأما شرارهم فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه وروى حميد الطويل عن معروف العجلى قال قرأ النبى صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فقال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت وروى عروة ابن الزبير عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لها يا عائشة ان أردت اللحوق بى فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقى ثوبا حتى ترقعيه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم من أحبنى فارزقه العفاف والكفاف ومن أبغضنى فأكثر ماله وولده وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الفقر مشقة فى الدنيا مسرة فى الآخرة والغنى مسرة فى الدنيا مشقة

فى الآخرة وروى عن الحسن أنه قال ما أنصفنا اخواننا الاغنيا الانهم
يأكلون ونحن نأكل ويشربون ونحن نشرب ويلبسون ونحن نلبس
ولهم فضول أموالهم ينظرون اليها ونحن ننظر اليها معهم وهم يحاسبون
عليها ونحن منها برآء وروى عن شقيق الزاهد أنه قال اختار الفقراء
ثلاثة أشياء واختار الاغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس
وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس وشغل
القلب وشدة الحساب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى
صلى الله عليه وسلم أنه قال لكل أمة فتنة وان فتنة أمتى هذا المال
وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عرضت على بطحاء مكة ذهبا
قلت يارب أشبع يوما وأجوع يوما فأحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك
اذا جعت انتهى (فائدة) قال فى الفتح (واعلم) ان مثل أهل الدنيا
فى غفلتهم كمثل قوم ركبوا سفينة فانتهوا الى جزيرة معشبة فخرجوا
لقضاء الحاجة فحذرهم الملاح من التأخر فيها وأمرهم أن يقيموا بقدر
حاجتهم وحذرهم من أن يقلع بالسفينة ويتركهم فبادر بعضهم فرجع
سريعا فصادف خير الامكنة وأحسنها فاستقر فيه وانقسم الباقون
أقساما الاول استغرق فى النظر الى أزهارها المونقة وأنهارها وأثمارها
الطيبة وجواهرها ومعادنها ثم استيقظ فبادر الى السفينة فلقى مكانا
دون الاول فنجى فى الجملة القسم الثانى كالاول لكنه اكب على تلك
الجواهر والثمار والازهار ولم تسمح نفسه بتركها فحمل منها ما قدر عليه
فتشاغل بجمعه وحمله فوصل الى السفينة فوجد مكانا أضيق من
الاول ولم تسمح نفسه برمى ما استصحبه فصار مثقلا ثم لم يلبث اذا
ذبلت الازهار ويبست تلك الثمار وهاجت الرياح فلم يجد بدا من القاء
ما استصحبه حتى نجا بحشاشة نفسه القسم الثالث غفل عن وصية

الملاح ثم سمع نداه بالرحيل فر فوجد السفينة قد سارت فبقى بما استصحبه فى البر حتى هلك القسم الرابع اشتدت به الغفلة عن سماع النداء وسارت السفينة فتقسم فرقا فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات جزعا ومنهم من نهشته الحيات فهذا مثال أهل الدنيا فى اشتغالهم بحظوظاتهم العاجلة وما أقبح من يزعم انه عاقل ثم يغتر بالاحجار من الذهب والفضة والازهار والثمار وهو لا يصحبه شىء من ذلك بعد الموت انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(كم جهول وهو مثر مكثر ❊ وعليم مات منها بالعلل)

هذا البيت والذى بعده من تعلقات قوله فمن عاداتها تخفض العالى وتعلى من سفل أى كم رأينا شخصا جهولا أى متصفا بالجهل وعدم العلم وهو مثر بضم الميم وسكون المثلثة أى كثير المال فقوله مكثر عطف تفسير قال فى المصباح الثروة كثرة المال وأثرى اثراء استغنى والاسم منه الثراء بالفتح والمد وقوله وعليم بالجر معطوف على جهول أى وكم رأينا شخصا عليما أى متصفا بكثرة العلم مات منها أى من أجلها أى الدنيا بالعلل لضيق العيش عليه والعلل جمع علة قال فى المصباح العلة المرض الشاغل والجمع علل مثل سدرة وسدر انتهى ولله در القائل

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ❊ وتأخير ذى فضل فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم ❊ وأهل التقى أبناء ضرتى الاخرى

ولله در سيدى عبد الرحمن الملاح حيث قال فى تخميسه

سائر الاقوال عنها تقصر ❊ ولكم قد حار فيها معشر
حكمة قد حيرت من يبصر ❊ كم جهول وهو مثر مكثر
وعليم مات منها بالعلل

ولله در امامنا الشافعي حيث قال

محن الزمان كثيرة لا تنقضي * وسروره يأتيك كالاعياد
ملك الاكابر فاسترق رقابهم * وتراه رقا في يد الاوغاد

وقال آخر

رأيت الدهر بالاشراف يكبو * ويرفع راية القوم اللئام
كأن الدهر معقود حسود * يطالب حقه عند الكرام

وقال آخر

يا دهر صافيت اللئام ولم تزل * أبدا لابناء الكرام معاندا
وعرفت كالميزان ترفع ناقصا * أبدا وتخفض لا محالة زائدا

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(كم شجاع لم ينل منها المنى * وجبان نال غايات الامل)

أي كم رأينا شخصا شجاعا أي قوي القلب لم ينل أي لم يبلغ منها المنى بضم الميم جمع منية كمدية ومدى والمنية ما تمناه الانسان وكم رأينا شخصا جبانا أي ضعيف القلب نال أي بلغ غايات الامل جمع غاية وهي آخر الشيء وأكثر ما يستعمل الامل فيما يستبعد حصوله قال كعب ابن زهير رضي الله تعالى عنه

أرجو وآمل أن تدنو مودتها * وما اخال لدينا منك تنويل

بخلاف الطمع فانه لا يكون الا فيما اقرب حصوله فان عزمت على سفر الى بلد بعيد تقول أملت الوصول ولا تقول طمعت الا ان قربت منها وأما الرجاء فهو بين الامل والطمع لان الراجي قد يخاف أن لا يحصل مأموله فان قوي الخوف استعمل بمعنى الامل وعليه بيت كعب بن زهير رضي الله عنه والا استعمل بمعنى الطمع هكذا يستفاد من المصباح (فائدة) الشجاع هو الذي لا يهاب القتال اذا التقى الجمعان قال

فى المصباح شجع بالضم شجاعة قوى قلبه واستهان بالحروب فهو
شجيع وشجاع وبنوعقيل تفتح الشين حملا على نقيضه وهو جبان
وبعضهم يكسرها للتخفيف ويجمع الشجاع على شجعة مثل غلام
وغلمة وعلى شجعاء مثل شريف وشرفاء والجبان بفتح الجيم هو ضعيف
القلب الذى لا يصبر على القتال بل يولى هارباو أوصى النبى صلى الله
عليه وسلم بالشجاعة واستعاذ من الجبن فقد روى أنه صلى الله عليه
وسلم قال لعلى حين وصيته له كن شجاعا فان الله تعالى يحب الشجاع
وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه اللهم انى أعوذ بك من
الجبن والبخل انتهى ومن عرف بالشجاعة العظمى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أنس بن مالك رضى الله عنه لقد فزع أهل المدينة
ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت وعرف الخبر على فرس لابى طلحة
عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لن تراعوا لن تراعوا ومن الشجعاء
أيضا أبو بكر الصديق رضى الله عنه فانه يوم مات رسول الله صلى الله
عليه وسلم قوى قلبه بخلاف غيره فان عمر رضى الله عنه كذب بموته
وأما عثمان رضى الله عنه فجعل لا يكلم أحدا وأما على رضى الله عنه
فقعد فى بيته ولم يبرح منه فدخل أبو بكر وهو ثابت العقل مصيب
فى القول فأكب عليه صلى الله عليه وسلم وكشف عن وجهه الكريم
وقبل جبينه وبكى ثم خرج والناس قد تاهت عقولهم فصعد المنبر وقال
من جملة خطبته من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله
فان الله حى لا يموت ثم تلى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر
الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين قال عمر فو الله لكأنى لم أسمع بها

قط فى كتاب الله ومن الشجعاء أيضا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان موصوفا بالشدة والشجاعة وكان يضع يده اليمنى على اذنه اليسرى ثم يثبت على فرسه ومن الشجعاء أيضا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقد كان شجاعا بطلا ذكر عنه أنه قتل ليلة الهرير من حرب صفين خمسمائة وثلاثة وعشرين رجلا وكان اذا ضرب لا يثنى ومن الشجعاء أيضا الزبير بن العوام رضى الله عنه قالوا لم يكن فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فارس أشجع من الزبير ولا راجل أشجع من على انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(فاترك الحيلة فيها واتئد * انما الحيلة فى ترك الحيل)

أى فاذا علمت أن الامور كلها من اعطاء ومنع ونفع وضر وعز وذل وغير ذلك بيد الله سبحانه وتعالى قدرها فى سابق أزله فاترك الحيلة فى الدنيا واتئد أى ترفق فى طلبها ولم تعجل فيه قال فى المصباح اتئد فى مشيه اتئادا ترفق ولم يعجل فيه انتهى وانما كانت الحيلة فى ترك الحيل لان الخير والشر والرزق وغير ذلك قد ثبت فى الازل وصار لا يقبل التغيير ولا التبديل فالحيلة فى جلب الخير أو فى دفع الشر لا فائدة فيها لان الذى سبق من خير أو شر واقع لا محالة فالتسليم وترك الحيلة أولى قال الله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال صلى الله عليه وسلم روح القدس وهو جبريل نفث فى روعى بضم الراء المهملة أى قلبى لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولهذا قال الشاعر

كم من قوى قوى فى تقلبه * مهذب الرأى عنه الرزق منحرف
وكم ضعيف ضعيف فى تقلبه * كأنه من خليج البحر يغترف

هذا دليل على أن الاله له * فى الخلق سر خفى ليس ينكشف

وقال آخر

كم عالم عالم ضاقت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الاوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

وانما صار زنديقا المنجم وأشباهه فقط لعدم اسنادهم القسمة الى الحكيم المختار الذى يرزق من يشاء بغير حساب وأما أرباب البصائر فاجملوا فى الطلب ورضيت نفوسهم بالقسمة وأيقنوا بتصديق قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا وأما من قصرت درجته عن مقامهم من الموحدين كالشيخ الطغرائى فلم يزل مولعا بذم دهره وعدم الرضى على أهل عصره مع سلامة التوحيد واعتقاده ان الله فعال لما يريد رزقنا الله سبحانه وتعالى التسليم لقضائه وقدره آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أى كف لم تفد مما تفد * فرماها الله منه بالشلل)

أى أى كف كانت لم تفد بضم المثناة الفوقية وكسر الفاء أى لم تعط مما تفد بضم أوله وفتح ثانيه أى من الشىء الذى أفاده الله لها أى أعطاه وقوله فرماها الله أى أصابها منه أى من عنده بالشلل أى بفساد عروقها وبطلان حركاتها هذا هو الشلل ولما كانت الكف يصح تذكيرها وتأنيثها أنثها أولا فقال أى كف لم تفد مما تفد وذكرها ثانيا بقوله فرماه الله وفى نسخة فرماها الله وهى الاولى قال فى المصباح الكف من الانسان وغيره انتهى قال ابن الانبارى وزعم من لا يوثق به أن الكف مذكر وأما قولهم كف مخضب فعلى معنى ساعد مخضب وجمعها كفوف وأكف مثل فلس وفلوس وأفلس قال الازهرى الكف الراحة مع الاصابع سميت بذلك لانها تكف الاذى عن البدن انتهى وفى هذا

البيت الدعاء على الشخص البخيل بشلل يده لان الله تعالى نهى عن البخل بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وأمر بالاحسان بقوله وأحسن كما أحسن الله اليك ويشبه هذا فى المعنى ما وعد الله به مانعى الزكاة بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال بعض أهل المعانى انما خص هذه الاعضاء دون غيرها بالذكر لان السائل اذا سأل البخيل لوى عنه وجهه فان ألح عليه ازور عنه بشق جنبه الذى يليه فاذا ألح عليه ولاه ظهره وروى الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت باسناده عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله جنة عدن قال لها تزينى فتزينت ثم قال لها أظهرى انهارك فأظهرت عين السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر ثم قال لها أظهرى حورك وحليك وحلالك ثم قال لها تكلمى فقالت طوبى لمن دخلنى فقال الله عز وجل أنت حرام على كل بخيل وقال عليه الصلاة والسلام أقسم الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل والشح أن تكون النفس حريصة على المنع والبخل هو نفس المنع وقال بعضهم لو لم يكن فى ذم البخلاء الاسوء الظن بربهم فى الخلف لكان عظيما قال الله تعالى وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وكان أبو حنيفة لا يرى قبول شهادة البخيل ويقول بخله يحمله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يغبن فمن هذه حالته لا يكون مأمونا وقال بشر الحافى لاغيبة لبخيل والنظر الى سخى أحب الى الله من عابد

بخيل وقالوا البخيل يملأ بطنه والجار جائع ويحفظ ماله والعرض ضائع قال الشاعر

ومن الجهالة بالمكارم ان ترى * جار يجوع وجاره شبعان

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي

أرى الناس خلان الجواد ولا أرى * بخيلا له فى العالمين خليل
وانى رأيت البخل يزرى بأهله * فأكرمت نفسى أن يقال بخيل

(وقال الحسن البصرى) لم أر أشقى بماله من البخيل لانه فى الدنيا مهتم بجمعه وفى الآخرة محاسب على منعه غير آمن فى الدنيا من همه ولا ناج فى الآخرة من اثمه عيشه فى الدنيا عيش الفقراء وحسابه فى الآخرة حساب الاغنياء وكان محمد بن يحيى بن خالد بخيلا بالنسبة الى أبيه وأخويه جعفر والفضل فسئل محمد بن على عن مائدته فقال صحافها منقورة من خشب الخشخاش وبين الرغيف والرغيف ضربة أكرة وبين اللون واللون فترة نبى قيل ومن يحضرها قال خير خلق الله وشرهم قيل من هم قال الملائكة والذباب قيل أنت خاص به وثوبك مخرق فقال والله لو ملك بيتا من بغداد الى النوبة مملوأ ابرا ثم جاءه يعقوب النبى ومعه الملائكة شفعاء والانبياء كفلاء يسألونه اعارة ابرة يخيط بها قميص يوسف الذى قد من دبر ما فعل وقد نظم ذلك بعض الشعراء بقوله

لو ان دورك يا ابن اغلب كلها * ابر يضيق بها رحيب المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة * منها لقد قميصه لم تفعل

وقال الاصمعى قالت امرأة مدنية لزوجها اشتر لى رطبا فقال لها وكيف يباع الرطب فقالت كل كيلجة بدرهم فقال والله لو خرج الدجال وعاش فى الارض وأنت تتمخضين بعيسى والناس ينتظرون الفرج على يديه

ثم لم تلد به حتى تأكلي الرطب ما اشتريته لك كل كيلجة بدرهم وكان جعفر بن سليمان بخيلا على الطعام رفعت المائدة من بين يديه يوما وعليها دجاجة صحيحة فأخذ منها بعض بنيه جناحا فلما أعيدت اليه بالغداة قال من هذا الذي تعاطى فعقرها فقيل له ابنك الصغير فقطع أرزاق جميع بنيه من أجله فلما طال ذلك منه وأضر بهم الحال جاء أكبرهم وقال يا أبانا أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأعجبه ذلك وأمر برد أرزاقهم اليهم (وقال بعض الاكياس) دعانى كوفى الى منزله وقدم لى دجاجة فأكلت من المرقة وجهدت أن آكل من اللحم فما قدرت وبت عنده فأعاده من الغد الى القدر وطبخه فقدمه الى فأكلت من المرق وجهدت أن آكل من الدجاجة فما قدرت لشدته فبت عنده الليلة الثانية فلما كان من الغد قال للغلام اطرح على اللحم من المرق ليصير قلية ففعل ثم قدمه الى فأكلت من المرق وجهدت أن آكل من اللحم فلم أقدر لقوته فأخذت قطعة من اللحم ووضعتها الى جهة القبلة وقمت لأصلي عليها فقال ما هذا الذي تصنع قلت أشهد أنه لحم ولي من أولياء الله تعالى فانه قد أدخل النار ثلاث مرات فلم تفعل شيأ فلما أردت الانصراف واذا ببعض جيرانه يدق الباب فقال أعرني ذلك اللحم لضيف لاطبخه له وأرده اليك ان شاء الله تعالى فناوله اياه

(ومن نوادر القطان) أنه جلس يأكل هو وزوجته طعاما فقال لها اكشفي رأسك ففعلت وقرأ هو سورة الاخلاص فسألته زوجته عن ذلك فقال المرأة اذا كشفت رأسها هربت الملائكة واذا قرأت سورة الاخلاص هربت الشياطين وأنا أكره الزحمة على المائدة

وقال الحسن بن على رضى الله عنه البخل جامع المساوى والعيوب وقاطع المودات من القلوب نسأله سبحانه وتعالى التوفيق لما يحب ويرضى

قال

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(لا تقل أصلي وفصلي أبدا * انما أصل الفتى ما قد حصل)

أي لا تقل يكفيني شرف أصلي أي والدي وفصلي أي ولدي أي لا تتكل على ما حصل لوالدك أو لولدك من الفضل والشرف لانهما لا يغنيان عنك من الله شيأ بل حصل أنت شيأ ينفعك عند الله سبحانه وتعالى من الاعمال الصالحة فعليك بخاصة نفسك قال تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه وقال تعالى يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ وقال تعالى يوم لا تجزي نفس عن نفس شيأ وقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال صلى الله عليه وسلم من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه أي من قصر به عمله السيء لم ينفعه شرف نسبه ولم يجبر نقصه به فلا يلحقه نسبه برتب أصحاب الاعمال الكاملة لان المسارعة الى السعادة انما هي بالاعمال لا بالانساب لقوله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقوله صلى الله عليه وسلم ائتوني بأعمالكم لا تأتوني بأنسابكم فان قلت قوله تعالى والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء يدل على ان شرف النسب ينفع فان المفسرين فسروه بأن ذريات المؤمنين صغارا كانوا أو كبارا يلحقون بآبائهم في المراتب من غير أن ينقص من مراتب الآباء شيء وفي الحديث ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه انتهى ويؤخذ منه ان الاب اذا كان دون ولده في الدرجة انه يرفع في درجة ولده للعلة المذكورة فما وجه التوفيق بين هذا وبين حديث من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه فالجواب ان المذكور في الآية وحديث ان الله يرفع ذرية المؤمن يكون في الجنة والحديث المذكور وهو من بطأ به

عليه محمول على الصراط وفى لفظ الابطاء والاسراع اشارة لذلك ويؤيده
ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون رجل هو آخر من يجوز
على الصراط فيلتفت فلا يرى وراءه احدا فيقول يارب أبطأت بى
فيناديه ياعبدى انى لم أبطأ بك وانما أبطأ بك عملك انتهى (وقال فى غرر
الخصائص الواضحة) ما نصه الشرف بالهمم العالية * لا بالرمم البالية *
وقالوا شرف الانسان بفضله لا بأصله * وجلالته بأدبه لا بنسبه *
فافتخر بالعلوم العالية * لا بالعظام البالية * وقالوا من فاته حسب
نفسه لم ينفعه حسب أبيه ولله در القائل

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقالوا الشرف بالفضل والادب لا بالاصل والنسب وما أحسن ما قال
بعضهم

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

وانشد الحريرى فقال

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(قد يسود المرء من غير أب * وبحسن السبك قد ينفى الزغل)

أى قد يشرف المرء من غير أب أى من غير شرف أب وبحسن السبك
قد ينفى الزغل قال فى المصباح سبكت الذهب سبكا من باب قتل أذبته
وخلصته من زغله والسبيكة القطعة المستطيلة والجمع سبائك انتهى
وقد أورد الناظم رحمه الله تعالى فى هذا البيت والبيت الذى بعده أمثلة
قياسية يتم بها الحجة على ما ادعاه من أن السيادة والشرف قد يحصلان
للانسان دون آبائه وأجداده كرامة من الله تعالى كما هو مشاهد ومعلوم

بالضرورة

بالضرورة فانا نشاهد أشخاصا كثيرين خصهم الله تعالى بالعلم والسيادة ومكارم الاخلاق ولم يخص بها أحدا من آبائهم وأجدادهم ونشاهد أيضا أن الفضة المغشوشة اذا صليت بالنار صفت من الغش وخلصت من الزغل فقد سادت على أصلها قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(وكذا الورد من الشوك وما * يطلع النرجس الامن بصل)

أى ومن الامثلة الورد المعلوم فانه مع حسن نضارته وحمرة لونه وسلطنته على الازهار يطلع من الشوك المؤذى طبعا فمن المعلوم ضرورة انه قد ساد على أصله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أسرى بى الى السماء سقط على الارض من عرقى فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم رائحتى فليشم الورد وأخرجه ابن عدى فى كامله وعن أنس رضى الله عنه مرفوعا الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق أخرجه ابن فارس فى كتاب الريحان وروى ابن القيم فى تاريخه بسنده الى على ابن عبد الله الهاشمى قال دخلت الهند فرأيت فى بعض قراها وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وقوله يطلع هو بضم اللام من باب قعد كما فى المصباح ومنها أيضا النرجس وهو بكسر النون والجيم على المشهور المختار ويجوز فتحهما مع كسر الجيم أيضا كما فى المصباح وهو زهر ذكى الرائحة ومع ذكاء رائحته وصفاء لونه ونضارته يطلع من البصل وهو خبيث طعما ورائحة فمعلوم ضرورة أيضا انه ساد من غير أصل ومما جاء فى النرجس ما ورد عن على بن أبى

طالب كرم الله وجهه شموا النرجس ولو فى اليوم مرة ولو فى الشهر مرة ولو فى الدهر مرة فان فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس وقال بقراط كل شىء يغذو الجسم والنرجس يغذو العقل وقال الحسن بن سهل من ادمن شم النرجس فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف وقال بعض ظرفاء الادباء النرجس نزهة الطرف وظرف الظرف وغذاء الروح ومادة الروح وقال كسرى انى لاستحى أن أباضع أى أجامع فى مجلس فيه النرجس لانه أشبه شىء بالعيون الناظرة وفيه يقول الشاعر

واذا قضيت لنا بعين مراقب * فى الحب فالتك من عيون النرجس

وقال الشاعر

قد أكثر الناس فى تشبيههم أبدا * للنرجس الغض بالاجفان والحدق

وما أشبهه بالعين اذا نظرت * لكن أشبهه بالعين ولو ورق

وذكر بعضهم انه نافع من البلغم ومن الصداع البارد ومن سائر الامراض الباردة انتهى من حاشية سيدى أحمد الصباعى على القطر وقال الجلال السيوطى رؤى أبونواس فى النوم فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لى بأربعة أبيات قلتها فى النرجس وهى

تأمل فى رياض الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين شاخصات * بأحداق كما الذهب السبيك

على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك

وأن محمـــــدا عبد رسول * الى الثقلين أرسله المليك

(فائدة) بقى من الامثلة التى ساد فيها الشىء على أصله شيئان لم يذكرهما الناظم أحدهما العسل فانه مع صفاء لونه وحلاوة طعمه وشفاء الناس به يخرج من بطون ذباب النحل فعلوم انه ساد عن غير أصل ثانيهما الحرير

بجميع أنواعه من ابريسم وديباج وغير ذلك فانه مع نعومته وغلو ثمنه
ومنافعه العامة التي لم توجد في غيره يخرج من دودة ضعيفة رقيقة الجسم
جدا فعلوم انه ساد عن غير أصل قال الملاح في تخميسه

ان تكن ممن بأصل كرما * فمن النحل شفاء علما
ومن الدود حريرا حكما * وكذا الورد من الشوك وما
يطلع النرجس الامن بصل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(مع اني أحمد الله على * نسبي اذ بأبي بكر وصل)

أي لا تتوهم أيها السامع أن قولي لك لا تقل أصلي ناشئ من عدم
اتصال نسبي بأصل شريف بل هو من النصيحة المأمور بها والا فانا أحمد
الله سبحانه وتعالى فان نسبي متصل بأفضل الاولين والآخرين بعد
النبيين والمرسلين وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه وتحدثت
بذلك امتثالا لقوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وانما احمد الله تعالى على
المنعم به أي في مقابلته لا مطلقا لان الاول واجب والثاني مندوب
واتصال نسبه رضي الله عنه بأبي بكر صحيح لا خلاف فيه وأما ابو بكر
رضي الله عنه فهو الامام الافضل والخليفة الاكمل عبد الله بن عثمان
المكنى بأبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة
يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وامه أم الخير سلمى بنت صخر بن
عامر بن كعب التيمي أسلم هو وأبوه وأمه وفي أولاده وأولادهم من
عد من الصحابة منهم عبد الله بن الزبير أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق
ولقب بالصديق لانه أول رجل آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم

وصدق به ولقب بعتيق أيضا لعتقه من النار وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنص القرآن فمن أنكر صحبته كفر بخلاف غيره من بقية الصحابة رضي الله عنهم أجمعين وقد شبهه النبي صلى الله عليه وسلم بميكائيل في الرأفة والرحمة وبابراهيم الخليل في الوقار والعفو وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماطلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر ونزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله عز وجل يقول لك أنا راض عن أبي بكر الصديق فهل هو راض عني وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل آنفا فقلت ياجبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ مالبث نوح في قومه مانفدت فضائل عمر وان عمر حسنة من حسنات أبي بكر وأخرج أبو يعلى أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرج بي الى السماء فما مررت بسماء الا وجدت فيها اسمي محمد رسول الله وأبو بكر الصديق خلفي وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم قال أبو بكر يارسول الله لو أمرتني أن أقتل نفسي لفعلت قال صدقت وروى ابن عساكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خصال الخير ثلاثمائة وستون خصلة اذا أراد الله بعبد خيرا جعل فيه خصلة يدخل بها الجنة فقال أبو بكر يارسول الله أفي شيء منها قال نعم كلها فيك فهنيئا لك ياأبا بكر وأخرج ابن عساكر عن عائشة مرفوعا الناس كلهم يحاسبون الا أبا بكر وقال عمر ابن الخطاب لو وزن ايمان أبي بكر بايمان أهل الارض لرجح بهم وقال وددت أني شعرة في صدر أبي بكر وقال علي رضي الله عنه خير الناس

بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر لا يجتمع حب
و بغض ابى بكر فى قلب مؤمن وقال على أيضا لا يفضلنى أحد على أبى
بكر الا جلدته جلد المفترى وقال أبو بكر بن عياش سألنى الرشيد وقال
لى يا أبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق فقلت يا أمير
المؤمنين سكت الله وسكت رسوله وسكت المؤمنون فقال والله
ما زدتنى الا عما قلت يا أمير المؤمنين مرض النبى صلى الله عليه وسلم
ثمانية أيام فدخل بلال عليه فقال يا رسول الله من يصلى بالناس
قال مر أبا بكر يصلى بالناس فصلى أبو بكر بالناس ثمانية أيام والوحى
ينزل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله وسكت
المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته فقال بارك
الله فيك وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله
عليه وسلم ارتجت مكة فسمع أبو قحافة ذلك فقال ما هذا قالوا قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمر جليل فمن قام بالامامة بعده
قالوا ابنك فقال هل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة قالوا نعم
قال اللهم لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت وقال مصعب بن الزبير
كانت لابى بكر فى الاسلام المواقف الرفيعة منها قصة ليلة الاسراء
وثباته وجوابه للكفار فى ذلك وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وترك عياله وأطفاله وملازمته له فى الغار ثم كلامه يوم بدر ويوم
الحديبية حين اشتبه على غيره الامر فى تأخر دخول مكة ثم بكاؤه
حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبدا خيره الله بين الدنيا
والآخرة ثم ثباته فى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبته
الناس وتسكينهم ثم قيامه فى قضية البيعة بمصلحة المسلمين ثم اهتمامه
وثباته فى بعث جيش أسامة بن زيد الى الشأم ثم قيامه فى قتال أهل

الردة وكم للصديق رضي الله عنه من مواقف وما ثر ومناقب وفضائل لاتحصى وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا قال لها صفي لنا أبا بكر فقالت رجل أبيض نحيف خفيف العارضين وعن عائشة أيضا قالت كان أول بدء مرض أبي بكر انه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة وكان يوما باردا فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى صلاة وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة مثل عمر النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت تمثلت بهذا البيت وأبو بكر في النزع

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أبو بكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفن رضي الله عنه في ثوبين قديمين بأمره رضي الله عنه وقال لان الحي أحوج الى الجديد من الميت وأوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر ونزل في حفرته عمر وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن أبي بكر ودفن ليلا بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل رأسه عند كتفيه صلى الله عليه وسلم ومات والده أبو قحافة بعده بستة أشهر وأياما في المحرم سنة أربع عشرة وهو ابن سبع وتسعين سنة رضي الله تعالى عن هذا الولد ووالده ونفعنا ببركة هذا البيت في الدارين آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(قيمة الانسان مايحسنه * أكثر الانسان منه أو أقل)

هذا البيت مأخوذ من قول الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه لكل شيء قيمة وقيمة المرء مايحسنه انتهى والقيمة كما في المصباح الثمن الذي يقاوم المتاع أي يقوم مقامه والجمع قيم مثل سدرة وسدر انتهى ولكن المراد من النظم ان رفعة الانسان وشرفه على قدر مايحسنه أي

يعرفه ويتقنه من العلوم والصنائع ان قليلا فقليل وان كثيرا فكثير كما
قال الناظم أكثر الانسان منه أو أقل وأظهر فى مقام الاضمار لضرورة
النظم ودل قوله تعالى تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن
عليكم على أن للكلاب المعلم فضيلة على غيره من سائر الكلاب
فالانسان اذا كان له علم فأولى أن يكون له فضل على غيره وما أحسن
ماقيل

فافخر بعلم ولا تجهل به أبدا * فالناس موتى وأهل العلم أحياء
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

وهذا بالنظر للحوادث وأما بالنظر للمولى سبحانه وتعالى فان رفعة كل
انسان عنده على قدر الاعمال الصالحات كما قال تعالى وتلك الجنة التى
أورثتموها بما كنتم تعملون فان قيل قد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال لن
يدخل الجنة أحد منكم بعمله قيل ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا الا أن
يتغمدنى الله برحمة منه وفضل فالجواب عنه أن نفس الدخول لايكون
بالاعمال وانما هو بفضل الله و برحمته وأما غير الدخول كالغرف
والقصور والحور والولدان وغير ذلك مما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين
فى الجنة فهو على قدر الاعمال الصالحات أكثر الانسان منها أو أقل
قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أكتم الامرين فقرا وغنا * واكسب الفلس وحاسب من بطل)

أى اكتم بضم الهمزة والمثناة الفوقية فعل أمر وحرك بالكسر لالتقاء
الساكنين والامرين مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لانه مثنى
وفقرا وغنا بدل من الامرين واكسب بكسر السين المهملة أى
اكتسب الفلس بفتح الفاء وسكون اللام وار بحه ولا تستقله وحاسب
من بطل أى الذى بطل أى شجع ولا تعط له مالك خوفا منه قال

فى المصباح رجل بطل أى شجاع والجمع ابطال مثل سبب وأسباب
انتهى فيستحب للفقير أن يكتم فقره عن الناس بمعنى انه لا يظهر لهم
الفقر والمسكنة على جهة التضجر فان الفقر شعار عباده الصالحين
روى زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال بعث الفقراء
رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى رسول
الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند
قوم أحبهم الله فقال يارسول الله ان الاغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم
يحجون ونحن لا نقدر عليه ويتصدقون ونحن لا نقدر عليها ويعتقون
ولا نقدر عليه فاذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخرا فقال صلى الله عليه
وسلم بلغ عنى الفقراء ان لمن صبر منكم واحتسب ثلاث خصال ليس
للاغنياء منها شىء أما الخصلة الاولى فان فى الجنة غرفة من ياقوتة
حمراء ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى النجوم لا يدخلها
الا نبى فقير أوشهيد أومؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل
الاغنياء بنصف يوم وهومقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها كيف شاؤا
ويدخل سليمان بن داود عليه السلام بعد دخول الانبياء عليهم
السلام الجنة بأربعين سنه وذلك بسبب ما أعطاه الله تعالى فى الدنيا
والثالثة اذا قال الفقير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر
مخلصا ويقول الغنى مثل ذلك مخلصا لم يلحق الغنى الفقير وان أنفق
الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم
الرسول وأخبرهم بذلك فقالوا رضينا يارب وروى أن الملائكة تقول
يارب عبدك الكافر تبسط له الدنيا وتزوى عنه البلاء فيقول الله
تعالى للملائكة اكشفوا لهم عن عقابه فاذا رأوه قالوا يارب لا ينفعه
ما أصابه من الدنيا ويقولون يارب عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا

وتعرضه للبلاء فيقول الله للملائكة اكشفوا لهم عن ثوابه فاذا رأوا ثوابه
قالوا يارب لا يضره ما أصابه من البلاء وروى الحسن عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي
فان لهم دولة قالوا يارسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيامة قيل
لهم انظروا من أطعمكم كسرة ومن سقاكم شربة ومن كساكم ثوبا فخذوا
بيده ثم امضوا به الى الجنة وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى
شيأ يشتهيه فصبر واحتسب كان له خير من مائة ألف دينار ينفقها
كلها فى سبيل الله انتهى ومن تنبيه الغافلين ويستحب للفقير أيضا
أن يكون صابرا للاحاديث السابقة ولئلا يشمت به أعداؤه وأن يتعفف
عن سؤال الناس ما أمكن فقد مدح الله تعالى الفقراء الموصوفين بذلك
قال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وكان أبوذر رضى الله عنه
اذا سقط سوطه من يده يكره أن يقول لاحد ناولنيه (واعلم) أن الفقر
على قسمين خاص وعام فالعام هو احتياج الخلق كلهم الى الله تعالى قال
الله تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد أى أنتم
المحتاجون الى الله والله غنى عنكم وأما الفقر الخاص فهو المأمور بكتمه
ويستحب للغنى أيضا أن يكتم غناه لما ينشأ عنه من التفاخر والتعاظم
والخيلاء الذى هو من شأن ذوى الاموال ولما يلحقه أيضا بسبب
الاظهار من الحسد وتسليط الظلمة واللصوص عليه انتهى ولذلك روى
عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما أنه قال لجلسائه ما العافيه
فيكم فقال كل واحد منهم شيأ فقال معاوية العافية للرجل فى أربعة
أشياء بيت يأويه وعيش يكفيه وزوجة ترضيه ونحن لا نعرفه فنؤذيه
يعنى لا يعرفه السلطان وروى عن سفيان الثورى أنه قال نعمتان ان
رزقهما الله تعالى لك فاحمد الله تعالى عليهما واشكره اجتنابك باب

السلطان واجتناب باب الطبيب انتهى واختلف العلماء رضى الله تعالى عنهم فى الفقر والغنا أيهما أفضل فالاكثرون على أن الفقر أفضل من الغنا اذ كان مقرونا بالرضا ولذلك اختاره صلى الله عليه وسلم حين عرضت عليه مفاتيح خزائن الارض فقال يا جبريل أريد أن أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت تضرعت الى الله سبحانه وتعالى واذا شبعت حمدته وشكرته وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أحينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين قال بعض العارفين لو سأل الله تعالى أن يحشر المساكين فى زمرته لكان لهم الفخر العظيم فكيف وقد سأله أن يحشره فى زمرتهم وذهب آخرون الى أن الغنى أفضل من الفقر واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا أفضل من السفلى واختلف أيضا هل الفقير الصابر أفضل أم الغنى الشاكر فقيل الفقير الصابر أفضل لما يرده من الدنيا الملهية عن الله عز وجل ولما يلحقه من المشقة الشديدة التى يوشك أن يكون الفقر بسببها كفرا وقيل الغنى الشاكر أفضل لما فيه من السعة والاعتراف بنعمة الله عليه والبر والمواساة والاحسان الى الفقراء والمساكين انتهى * قال فى الجامع الصغير عنه صلى الله عليه وسلم اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء قال فى الفتح ليس قوله اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء يوجب فضل الفقر على الغنى وانما معناه ان الفقراء فى الجنة أكثر من الاغنياء وليس الفقر ادخلهم وانما دخلوا بصلاحهم مع الفقر فان الفقير اذا لم يكن صالحا لا يفضل على الغنى لكن ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا كما ان فيه تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار فان قلت هذا الحديث

ينافيه حديث أبي يعلى عن أبي هريرة في صفة أدنى أهل الجنة فيدخل الرجل على اثنين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم فان مقتضى هذا الحديث ان النساء في الجنة أكثر من الرجال ويجاب بأن كون النساء أكثر أهل النار في أول الامر قبل خروج العصاة منهن من النار بالشفاعة ويجاب أيضا بأن المراد من قوله صلى الله عليه وسلم تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار كما تقدم وأجاب شيخ الاسلام زكريا الانصاري بأن المراد بكونهن أكثر أهل النار نساء الدنيا وبكونهن أكثر أهل الجنة نساء الآخرة فلا تنافي انتهى من العلقمي على الجامع الصغير لكن جواب شيخ الاسلام لا يأتي مع قوله وزوجتين من ولد آدم وفي قول الناظم رحمه الله تعالى واكسب الفلس وحاسب من بطل اشارة الى ما فيه المسئلة من الخلاف بين العلماء وهو هل الاكتساب أفضل أو التوكل أفضل فذهب جماعة الى أن الاكتساب أفضل واليه يشير كلام الناظم رحمه الله تعالى واستدلوا بقوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها الآية وذهب آخرون الى أن التوكل أفضل واستدلوا بقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وبقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وذهب آخرون الى الجمع بينهما وهو الافضل وقالوا ان السعي لا ينافي التوكل واستدلوا بما ورد في قصة الاعرابي الذي أراد دخول المسجد على النبي صلى الله عليه وسلم وناقته بيده فقال يا رسول الله أأرسل ناقتي توكلا على الله عز وجل أم أعقلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل انتهى ويجاب عن قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه بأن معنى التوكل اعتقاد ما دلت عليه هذه الآية وما من

دابة فى الارض الا على الله رزقها وليس المراد به ترك التسبب مع الاعتماد على ما يأتى من المخلوقين لان ذلك يجر الى ضد ما يراد من التوكل وعن الحديث المذكور بأنه صلى الله عليه وسلم ذكر الغدو والرواح فى طلب الرزق فقال تغدوا خماصا وتروح بطانا ولاشك أنهما سببان فى الرزق فطريقة أهل البصائر السعى والطلب مع الاجمال فيه والتوكل على الله تعالى لان بالهز سقط الثمر كما قيل

ألم تر أن الله أوحى لمريم * فهزى اليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزه * ولكن كل شىء له سبب

قال فى تنبيه الغافلين فى الباب الحادى والتسعين مانصه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وسعيا على العيال والاهل وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وروى أن داود عليه السلام كان يخرج متنكرا فيسأل عن سيرته من براه من أهل مملكته فتعرض له جبريل عليه السلام على صورة آدمى فقال له داود يافتى ماتقول فى داود فقال له نعم العبد هو غير أن فيه خصلة قال داود وماهى قال جبريل يأكل من بيت مال المسلمين وما فى العباد أحب الى الله تعالى من عبد يأكل من كسب يده فعاد الى محرابه باكيا متضرعا يقول يارب علمنى صنعة تغنينى بها عن بيت مال المسلمين فعلمه الله تعالى صنعة الدرع والان له الحديد حتى كان الحديد يلين فى يده بمنزلة العجين وكان اذا فرغ من قضاء حوائج أهله يعمل درعا فيبيعه ويتعيش هو وعياله بثمنه فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة

رضى

رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان سليمان بن داود عليه السلام يخطب الناس على المنبر وان فى يده الخوص يعمل به القفة فاذا فرغ ناوله انسانا فقال اذهب به فبعه وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان زكريا عليه السلام كان نجارا وعن عمر رضى الله عنه قال يا معشر الفقراء ارفعوا رؤسكم واتجروا ولا تكونوا عيالا على الناس وعن ابن المبارك أنه قال من ترك السوق ساء خلقه وذهبت مروءته وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غرس غرسا أو زرع زرعا فأكل منه انسان أو دابة أو طير أو سبع فهو له صدقة وعن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو قامت القيامة وفى يد أحدكم نواة فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الى السوق ويشترى حوائج أهله وسئل عن ذلك فقال أخبرنى جبريل عليه السلام أن من سعى على عياله ليكفهم عن الناس فهو فى سبيل الله وقيل لبعض الحكماء ما خير المكاسب قال خير مكاسب الدنيا طلب الحلال لزوال الحاجة والأخذ منه للقوة على العبادة وتقديم فضله لزاد يوم القيامة وأما خير مكاسب الآخرة فعلم معمول به نشرته وعمل صالح قدمته وسنة حسنة أحييتها قيل وما شر المكاسب قال أما شر مكاسب الدنيا فحرام جمعته وفى المعاصى أنفقته ولمن لا يطيع ربه خلفته وأما شر مكاسب الآخرة فحق أنكرته حسدا ومعصية قدمتها اصرارا وسنة سيئة أحييتها عدوانا وعن النضر بن يحيى قال بلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال لا يقوم الدين والدنيا الا بأربعة بالعلماء والامراء وأهل القرآن وأهل الكسب وبعض الزهاد فسر هذا الكلام فقال أما الامراء فهم الرعاة يرعون الخلق

وأمّا العلماء فهم ورثة الانبياء وهم يدلون الخلق الى الآخرة والناس يقتدون بهم وأمّا أهل القرآن فهم جند الله على الارض لقمع الكفار ويقولون دين الله الاسلام وأمّا أهل الكسب فهم أمناء الله تعالى لمصلحة الخلق ثم قال اذا صارت الرعاة ذئابا فمن يرعى الغنم والعلماء اذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا فمن تقتدى الخلق والقراء اذا ركنوا والتفخر والخيلاء وخرجوا الاطمع فمن يظفر بالعدو وأهل الكسب اذا خانوا الناس فكيف تأمن بهم الناس (واعلم) أن للكسب آفات كالكذب والايمان الفاجرة وغير ذلك قال قتادة وكان يقال عجبت للتاجر كيف يتخلص وهو يحلف بالنهار ويحسب بالليل وقال بعض الحكماء اذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدارين جميعا * أولها أن يكون لسانه نقيا عن ثلاثة الكذب واللغو والحلف * وثانيها أن يكون صافيا من ثلاثة الغش والخيانة والحسد * وثالثها أن يكون محافظ الثلاث الجمعة والجماعات وطلب العلم فى بعض الساعات وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال التاجر اذا لم يكن فقيها ارتطم فى الربا ثم ارتطم ثم ارتطم حتى غرق فيه فاذا لم يعرف الحلال من الحرام لم يأمن أن يقع فى الربا وقال سفيان الثورى لا تنظروا الى زى أهل السوق فان تحت ثيابهم ذئابا وعن ابن شبرمة قال العجب ممن يحتمى من الحلال مخافة الداء فكيف لا يحتمى من الحرام مخافة النار وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبطئوا الرزق واتقوا الله وأجملوا فى الطلب وخذوا ما حل وذروا ما حرم وقال الحكيم الناس فى الكسب على خمس مراتب منهم من يرى الرزق من الكسب فهو كافر ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب فهو مشرك ومنهم من يرى الرزق

من الله ولا يدرى أيعطيه أم لا فهو منافق شاك ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله لاجل الكسب ولا يؤدى حقه كما أمر الله تعالى فهو مؤمن مسيء ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ويخرج حقه ولا يعصى الله لاجل الكسب فهو مؤمن مخلص وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من اكتسب مالا من مأثم فتصدق به أو وصل به رحمه أو أنفقه في سبيل الله جمع الله ذلك كله وألقاه في النار * وعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنه أنه قال لا يقبل حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة ولا عتاق ولا نفقة من ربا ولا رشوة ولا خيانة ولا غلول ولا سرقة انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(وادرع جدا وكدا واجتنب * صحبة الحمقى وأرباب الخلل)

هذا من تمام ما تقدم من الامر بالاجتهاد في الكسب والجد بفتح الجيم الاجتهاد * قال في المصباح الجد في الامر الاجتهاد وهو مصدر قال جد يجد من باب ضرب وقتل والاسم الجد بالكسر ومنه يقال فلان محسن جدا أي نهاية ولا يقال محسن جدا بالفتح وقوله كدا معطوف على جدا وهو بفتح الكاف التعب أي واجعل الاجتهاد والتعب في اكتساب الرزق كالدرع المشتمل على جميع بدنك بمعنى أن تجتهد وتتعب برجليك ويديك وسائر جسدك في طلب الرزق لانه أمر محمود قال صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة ويكفرها الهموم في طلب المعيشة رواه ابن عساكر عن أبي هريرة وقد يكون التكسب واجبا كقادر على الكسب يحتاج عياله لانفقة فمن ترك ذلك كان عاصيا قاله في فتح الباري * وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الدنانير دينار

ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه على دابته فى سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله وكان ثابت البنانى عند أنس بن مالك فذكر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى قد ضمن دين العبد اذا استدان فى ثلاث أحدها من أجل النكاح مخافة الفجور ثم لم يقدر على قضائه حتى مات فقد ضمن الله تعالى دينه أن يقضيه عنه يوم القيامة والثانى دينه لاعانة المسلمين ليخرجوا الى الغزو والثالث اذا استدان لتكفين ميت فان الله تعالى يرضى خصماءه يوم القيامة فدخل ثابت البنانى على الحسن البصرى وذكر له ما سمع من أنس فقال الحسن قد كبر أنس وضعف ونسى الافضل من ذلك بل ضمن الله تعالى مع هؤلاء دين رجل استدان لينفق على عياله واجتهد فى قضائه فلم يبلغ حتى مات لم تكن بينه وبين خصمائه خصومة يوم القيامة وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال قلت يارسول الله الجلوس مع العيال أفضل أم الجلوس فى المساجد قال جلوس ساعة عند العيال أحب الى من الاعتكاف فى مسجدى هذا قال قلت يارسول الله النفقة على العيال أحب اليك أم النفقة فى سبيل الله أحب قال درهم ينفقه الشخص على عياله أحب الى الله تعالى من دينار ينفقه فى سبيله قاله فى تنبيه الغافلين وقوله واجتنب صحبة الحمقى جمع أحمق وهو من ليس له ملكة يملك بها نفسه عند الغضب أو هو فاسد العقل ويحتمل أن يكون مراده بالحمقى المرأة الحمقى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتزوجوا الحمقى فان صحبتها بلاء وفى ولدها ضياع ولا تسترضعوا الحمقى فان لبنها يغير وقال عمر رضى الله عنه لم يقم جنين فى بطن حمقى تسعة أشهر الا خرج مائقا قال بعضهم حد الحمق انه قلة الاصابة ووضع الشىء فى غير الموضع الذى وضع له وقيل لبعضهم ما حد الحمق فقال لا حد

له كالعقل انتهى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق أبغض الخلق الى الله اذ حرمه أعز الاشياء عليه وقيل أوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام أتدرى لم رزقت الاحمق قال لا يارب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد وقالوا الحمق داء دواؤه الموت وقال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به ❀ الا الحماقة أعيت من يداويها

وروى ان عيسى عليه السلام اتى بأحمق ليداويه فقال أعيانى دواء الاحمق ولم يعيينى مداواة الاكمه والابرص وقال الاصمعى قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق قال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجنى على حمقى جناية تذهب مالى ويبقى حمقى وقال سعيد بن عمار مكتوب فى التوراة من صنع لاحمق معروفا فهو خطيئة مكتوبة عليه وقيل اذا قيل لك ان فقيرا استغنى أو غنيا افتقر أو حيا مات أو ميتا عاش فصدق واذا بلغك أن أحمق استفاد عقلا فلا تصدق وقالوا الاحمق تتمنى أمه أنها ثكلته وتتمنى زوجته أنها عدمته ويتمنى جاره منه الوحدة ويود جليسه منه الوحشة وقال الاحنف بن قيس انى لاجالس الاحمق الساعة فأجد ذلك فى عقلى وقال لقمان لابنه لا تعاشر الاحمق وان كان ذا جمال فانه كالسيف حسن منظره قبيح أثره وقال سالم بن قتيبة لا تطلب حاجتك من أحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك سكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته وقال الحسن بن على هجران الاحمق قربة الى الله تعالى وقالت الحكماء العاقل يضل عقله عند مجاورة الاحمق وقالوا مثل الاحمق مثل الثوب الخلق ان رفأته من موضع تخرق من موضع آخر ولله در القائل

شعر

اتق الاحمق لا تصحبه * انما الاحمق كالثوب الخلق
كلما رقعت منه جانبا * حركته الريح وهنا فانخرق
واذا عاتبته كي يرعوي * زاد جهلا وتمادى في الحمق

وممن عرف بالحمق المعلمون قال الجاحظ قسم الله الحمق مائة جزء فجعل منه تسعة وتسعين جزءا في المعلمين والجزء الآخر في سائر الناس وقال الشاعر

كفى المرء نقصا ان يقال بأنه * معلم صبيان وان كان فاضلا

وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد

وكيف يرجى العقل والرأى عند من * يروح على انثى ويغدو على طفل

ومنهم النساء ولذلك قالوا لا تدع أم صبيك تضربه فهو أعقل منها وان كانت أسن منه ويقال عقل مائة صبي بعقل معلم وعقل مائة معلم بعقل خصي وعقل مائة خصي بعقل امرأة ومنهم الخصيان قال الجاحظ في الخصي خصال متضادة منها انه لم يخرج من ظهره مؤمن ولم يخرج من ظهره مؤمن ومنها انه ما خلى قط برجل الا وحدثته نفسه انه امرأة ولا خلى مع امرأة الا وحدثته نفسه انه رجل قاله في غرر الخصائص وقوله وأرباب الخلل أى واجتنب صحبة أهل الخلل بفتحتين أى العيب كالزاني والفاسق والسارق والديوث وما أشبههم ممن يعار بعاشرتهم ويحصل النقص بصاحبتهم لنقصهم في الدنيا والآخرة عند الله وانما نهى الناظم رحمه الله تعالى عن صحبتهم لان الطبائع تسرق بالمعاشرة الا ترى ان الانسان بمعاشرته العلماء وأهل الكمالات يصير كاملا وبمعاشرته الفسقة وأهل الرذائل يصير ناقصا كما قيل

بني اجتنب كل ذى بدعة * ولا تصحبن من بها يوصف
فيسرق طبعك من طبعه * وأنت بذلك لا تعرف

وقال

وقال آخر

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى
فعاشر أولى التقوى تنل من تقاهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

وقال آخر

عليك بارباب الصدور فمن غدا * مضافا لارباب الصدور تصدرا
واياك أن ترضى بصحبة ناقص * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

وقال آخر

من عاشر الاشراف صار مشرفا * ومن عاشر الانذال غير مشرف
أما تنظر الجلد الحقير مقبلا * بالثغر لما صار جار المصحف

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(بين تبذير وبخل رتبة * فكلا هذين ان دام قتل)

اى لا تداوم على الاعطاء حتى يبلغ الى التبذير الذى هو انفاق المال فى غير حقه ولا على الامساك حتى يبلغ الى البخل الذى هو منع السائل مما يفضل عن الحاجة بل كن وسطا بين التبذير والبخل لان الواحد منهما ان دام عليه الشخص قتله وأهلكه قال الله تعالى لنبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا أى لا تمسك عن الانفاق حتى تضيق على نفسك وأهلك فلا تصل رحمك ولا تتوسع فى الانفاق توسعا زائدا حتى لا تبقى فى يدك شيأ بل توسط بين ذلك كما قال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما أى حالا وسطا وتعلم مما تقدم النص على قبح البخل وعلى قبح التبذير وأما البخل فقبحه لا يحتاج الى النص عليه فقد ورد فى ذمه من الآيات والاحاديث والآثار مالا يحصى قال تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله

هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام أقسم الله تعالى بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه البخيل يتعجل الفقر لنفسه يعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء * وأما التبذير فقد ورد فى ذمه آيات وأحاديث وآثار كثيرة قال تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا * وقال عليه الصلاة والسلام آفة الجود السرف وقال معاوية رضى الله عنه ما رأيت سرفا قط الا والى جانبه حق مضيع وقال بعضهم السخاء خلق مستحسن ما لم ينته الى سرف وتبذير فان من بذل جميع ما يملكه لمن لا يستحقه لم يسم سخيا وانما يسمى مبذرا مضيعا ورأى أبو ذر الغفارى معاوية يوما وقد أنفق مالا كثيرا فقال له ان كان هذا من بيت المال فأنت خائن والله لا يهدى كيد الخائنين وان كان من مالك فأنت مسرف والله لا يحب المسرفين وقالوا ما وقع تبذير فى كثير الا هدمه ودمره ولا دخل تدبير فى قليل الا كثره وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه انى لابغض أهل بيت ينفقون رزق الايام الكثيرة فى يوم واحد وقال معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما لولده يزيد انك ان أعطيت مالك فى غير الحق يوشك أن يجىء الحق وليس معك ما تعطى فيه وقال التدبير يثمر وينمى القليل والتبذير يمحق ويدمر الكثير وكان عبد الله بن جعفر من الاجواد الذين يغمرون بجودهم طوائف العباد وانتهى به الافلاس الى أن سأله رجل فقال له ان حالى متغيرة بحوادث الزمان ولكن أعطيك ما أمكننى فأعطاه رداء كان عليه ثم دخل منزله فقال اللهم اسرع بى بالموت فما لبث بعد دعوته الا

أياما قلائل ولله در القائل

ولقد قدمت على رجال طالما * قدم الرجال عليهم فتمولوا
أخنى الزمان عليهم فكأنهم * كانوا بأرض أحدثت فتحولوا
الجود فلسهم وغير حالهم * فاليوم ان سئلوا النوال تبخلوا

(واعلم) أن اصطناع المعروف الى اللئيم من الاسراف والتبذير ولذلك قال بعضهم أصل كل عداوة اصطناع المعروف الى اللئام وقال بعضهم لا حسرة أعظم من نعمة أسديت الى غير ذى حسب ولا مروءة وقال بعضهم صانع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس ولله در القائل

متى تسد معروفا الى غير أهله * رزيت ولم تظفر بحمد ولا أجر

(تنبيه) قال الفقهاء الاصح أن صرف المال فى الصدقات ووجوه الخيرات وفى المطاعم والملابس ليس بتبذير ولا اسراف لان له فى الصدقات غرضا وهو حصول الثواب ولان المال انما يجمع للانتفاع به فى المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك وقال مجاهد لو كان أبو قبيس الجبل المشهور لرجل ذهبا ثم أنفقه فى طاعة الله تعالى لم يكن اسرافا ولو أنفق رجل درهما واحدا فى معصية الله كان اسرافا انتهى وقيل للحسن بن سهل وكان كثير العطاء لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير ولله در القائل

ذهاب المال فى حمد وأجر * ذهاب لا يقال له ذهاب

(وحكى) أن على بن موسى الرضى رضى الله عنه وعن آبائه فرق فى يوم عرفة ماله كله فقال له الفضل بن سهل ما هذا المغرم قال بل هو المغنم لا تعدن ما ابتغيت به أجرا أو كرما مغرما فقد كان جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد ويعطى عطاء من لا يخاف الفقر له

فى غرر الخصائص قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(لاتخض فى سب سادات مضوا * انهم ليسوا بأهل للزلل)

أى لاتدخل نفسك ولاتتكلم بسوء فى حق سادات مضوا وماتوا لانهم رضى الله عنهم ليسوا بأهل للزلل ولا للخطأ ولا للنقص بل هم مبرؤن منه فيحرم سب من مضى من سادات المسلمين والخوض فى أعراضهم بمالايليق بمقامهم وذلك كالسادات من الصحابة والعلماء والصوفية كما أنه يحرم سب الاحياء فقد ورد أن الميت يتأذى مما يتأذى منه الحى فيحرم سب الصحابة الخارجين على على بن أبى طالب مثلا كما فى وقعة الجمل وصفين والنهروان لانهم رضى الله عنهم خارجون بتأويل وان كانوا مخطئين فى نفس الامر لانهم كلهم مجتهدون والمصيب فى اجتهاده له أجران والمخطئ فيه له أجر واحد فكلهم مثابون رضى الله عنهم وقاتلهم ومقتولهم فى الجنة فالمتكلم فيهم متكلم فى دينه لانهم المبلغون لنا قواعده وأحكامه وكذلك يحرم التكلم فى السادات الذين تكلموا فى الطريق وأظهروا خوارق العادات كالسرى السقطى وأبى القاسم الجنيد والحسين الحلاج وأشباههم من المتقدمين وكالشيخ محيى الدين ابن عربى وسيدى عمر بن الفارض وغيرهما من المتأخرين فهؤلاء السادات رضى الله عنهم وان كانوا قد تاهوا وتكلموا بأشياء خارقة فلا يجوز سبهم ولا اعتراض عليهم بحال من الاحوال لانهم ملازمون لقواعد الشرع فلا يصدر منهم قول ولا فعل مخالف للشرع وما أحسن قول بعضهم من لم يعرف مصطلحنا لا يجوز له الخوض فى طريقتنا فيجب على كل مسلم أن يلزم الاجوبة الحسنة عن الاكابر المتقدمين من أنبياء وصحابة وتابعين ومجتهدين وعارفين قال سيدى على الخواص الواجب على كل مسلم الذب عن أعراض الصحابة فضلا عن الانبياء

والمرسلين وعن أعراض المسلمين فضلا عن التابعين لان هؤلاء هم حملة الدين فمن نسبهم الى نقص فقد أراد أن يحول حدود الدين وقد لعن الله من غير حدود الارض فكيف بمن يغير حدود دينه انتهى فما أجابوا به عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله أما الفساد فلا نريده ان شاء الله تعالى وأما العلو ففي النفس منه شيء حين سمع قارئا يقرأ قوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين أنه رضي الله عنه لم يقل ذلك الا هضما لنفسه واتهاما لها كما هو شأن الاكابر والافاضل هذا الامام لا يريد علوا في الارض بيقين ونظير ذلك قول الحسن البصري ولو حلف حالف أن أعمال الحسن أعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك ومما أجابوا به عن الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى في عدم حضوره الجماعة خمسا وعشرين سنة لانه لولا يرى له عذرا يبيح له التخلف عن الحضور ما تخلف فالتسليم لمثل هذا الامام أسلم وحمله على محمل حسن أغنم رضي الله عنه ومما أجابوا به عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى في قوله

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم أشعر من لبيد
ولولا خشية الرحمن ربى * لقلت الناس كلهم عبيدى

ان المراد بما ذكره في البيت الاول شكر النعمة فان من شكر النعمة اظهارها والتحدث بها لا افتخارا واستطالة حاشاه من مثل ذلك ويعني بالناس في البيت الثاني أبناء الدنيا الذين يحبونها بحكم الطبع بقرينة قول بعض العارفين لبعض الملوك أنت عبد عبيدى فقال له لم ذلك فقال لانك عبد الدنيا والدنيا خادمة لي أو يقال مراد الامام بذكر ذلك شكر النعمة أيضا حيث ان الله رزقه القناعة ورضاه باليسير وجاه من

سؤال أبناء الدنيا ونحو ذلك * ومما أجاب به عن أبي يزيد البسطامي في قوله خضت بحرا وقفت الانبياء بساحله أن معنى ذلك ان أبا يزيد يشكو ضعفه وعجزه عن اللحوق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لانهم خاضوا بحر التوحيد ووقفوا بالجانب الآخر يدعون الناس الى الخوض أى فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا قال صاحب الحكم وهذا التفسير هو اللائق بمقام أبي يزيد فان المشهور عنه التعظيم والقيام بكمال الادب ومن كلامه جميع ما أخذ الاولياء بالنسبة لما أخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام كزق ملىء عسلا ثم رشحت منه رشحات فما فى بطن الزق للانبياء وتلك الرشحات للاولياء وقال الشيخ محيي الدين بن عربي قد طلب أبو يزيد البسطامي من الله تعالى أن يدخله مقام نبي من الانبياء فأعطاه الله تعالى مقدار الشعرة البيضاء من الثور الاسود فكاد أن يحترق فسأل الله فجاب عن ذلك وقال لا طاقة لاحد من أمثالنا بدخول مقام أحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومما أجاب به عن الجنيد فى قوله أدركت سبعين عارفا كانوا يعبدون الله على ظن ووهم حتى أخى أبو يزيد ولو أدرك صبيا من صبياننا لاسلم على يديه أن معنى ذلك أنهم كانوا يقولون ما بعد المقام الذى وصلناه مقام وذلك ظن ووهم فان فوق كل مقام مقامات الى ما لا يتناهى وليس مراده الظن والوهم فى معرفة الله ومعنى لاسلم على يديه أى انقاد له لان الاسلام هو الانقياد ومراد الجنيد بذلك شكر النعمة * ومما أجاب به عن الشبلى فى قوله ما فى الجبة الا الله وقد ضبطها بعضهم بالجيم والموحدة ان مراده ما فى جسدى الا حب الله وكم فى الكتاب والسنة من كلام يجب فيه التقدير كما فى قوله تعالى وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أى اشربوا حب العجل فافهم * ومما أجاب به عن حجة الاسلام الغزالى

فى قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان أن مراده ليس لنا الا رتبتان قدم وحدوث فالحق سبحانه له رتبة القدم والحادث له رتبة الحدوث فلو خلق سبحانه ماخلق الى مالا يتناهى عقلا لا يرقى عن رتبة الحدوث الى رتبة القدم أبدا ومما أجابوا به عن سيدى ابراهيم الدسوقى فى قوله فى آخر التائية

وبى قامت الاشياء فى كل أمة * بمختلف الآراء والكل أمتى
نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم * وسرى فى الاكوان من قبل نشأتى
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه * بلطف عناياتى وعين حقيقتى
أنا كنت مع ادريس لما ارتقى العلا * وأسكن فى الفردوس أنعم بقعتى
أنا كنت مع عيسى وفى المهد ناطقا * وأعطى داود حلاوة نغمتى

ان ذلك وقع منه رضى الله عنه على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وأن الولى تارة يتكلم فى حال غيبته عن نفسه على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وتارة يتكلم على لسان الالوهية * ومما أجابوا به عن سيدى عمر بن الفارض رحمه الله تعالى فى قوله فى التائية

وألسنة الاكوان ان كنت واعيا * شهود بتوحيدى بحال فصيحتى
وان عبدوا غيرى وان كان قصدهم * سواى وان لم يضمروا عقد نيتى

ان ذلك وقع منه عن لسان الالوهية وأراد بقوله شهود بتوحيدى التوحيد الحالى المدخل للمؤمن والكافر فى حكم العبادة بالحال وقوله بحال فصيحتى أخرج التوحيد المقالى ولم يتعرض له ولا لأهله لانه مخصوص بالمؤمنين دون الكافرين وليس هو المقصود الاعظم فى الآية المقتبس منها البيت وهو قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فشئ نكرة فى سياق النفى تعم كل شئ من موحد وجاحد وحيوان وجماد فكأن الحق تعالى يقول كل شئ يوحدنى ويعبدنى

بباطنه وان اختلف أمرنا طقيته فالقول بأن كل جاحد فى الظاهر موحد فى الباطن جائز بين قوم يفقهون كلام الله ومواضع اشاراته لا الذين لا يحيطون بشىء من أسراره وأشار فى الآية الى التوحيد الحالى بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولكن هذا التوحيد الحالى لا ينفع الكافر بدليل حديث القبضتين وحديث الفراغ وحديث جفوف الاقلام فلو كان ينفعهم مادخل أحد منهم النار فافهم قاله فى تحفة الاكياس قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(وتغافل عن أمور انه * لم يفز بالحمد الامن غفل)

أى أظهر من نفسك التغافل عن أمور غير محمودة وقعت من الناس لانه لم يفز أى لم يظفر بالحمد أى الثناء عليه من الله تعالى ومن الناس الا من غفل أى من ترك أمور الناس ولم ينظر الى عيوبهم قال بعض الحكماء لولده يا بنى لا تطلع على عورات الناس وعيوبهم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وما أحسن ما قاله بعضهم

وان تجد عيبا فسد الخللا * جل من لا فيه عيب وعلا

فالاولى التغافل عن أمور الناس وأحوالهم وأقوالهم لان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه كما فى الحديث ولانه يحتمل أن يكون الفاعل للامر غير المحمود وليا مستترا بهذا الامر قال بعضهم لكل ولى ستر فنهم من يكون ستره المزاحمة على الدنيا وطلب الرياسة وبالملابس الفاخرة ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر والوقوف على النصوص حتى لا يكاد أحد يخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين ومنهم من يكون ستره بسؤال الدنيا من أبنائها وطلب الوظائف من تدريس وامامة وخطابة ونحو ذلك ومنهم من يكون ستره بكثرة التردد الى الملوك والامراء والاغنياء ومنهم من يكون ستره بالسطوة والقهر على حسب

ما يتجلى

ما يتجلى عليه الحق سبحانه وتعالى ومنهم من يكون ستره بالسخريات
وصفعه القفا وحلقه للحيته ومنهم من يكون ستره بالكلام القبيح
الذى لا يطيق أحد سماعه ومنهم من يكون ستره ببلع الحشيشة ونحوها
وفى حال بلعها تقلب له أكلا صالحا ومنهم من يكون ستره بمعاشرته
للفسقة والاولاد المرد ومنهم من يكون ستره بجلوسه عند الملاهى
وهكذا فاياكم والمبادرة الى سوء الظن فربما يكون من أسأتم به الظن
وليا وهو مستتر بشىء من هذه الاستار فتشتد عليكم العقوبة وقال شيخ
الاسلام زكريا الانصارى اذا رأيتم أحدا من أرباب الاحوال يحسس
بيده على النساء فاياكم أن تسيئوا به الظن فقد حكى أن فقيرا مريضا
دخل على الشيخ عبد السلام القليبى فأمر جاريته أن تخدمه الى أن يبرأ
فاستمرت تخدمه الى أن عوفى فراودها عن نفسها وجذبها على ذلك
فأبت وذهبت الى الشيخ فأعلمته فقال لها أمكنى ذلك وأنت حرة
فذهب اليه فلم يجده فى الموضع الذى أنزله فيه فأتبعه خارج المنزل فرآه
ماشيا على البحر فقال له ماهذا وذاك فالتفت اليه وقال لا ينبغى لنا أن
تخدمنا الجارية ونرحل عنها بغير مكافأة على خدمتها بدون العتق وقال
سيدى على المصرى اذا رأيتم احدا من العلماء فى سعة من الدنيا
وملابسها ومراكبها فاياكم أن تعترضوا عليه فان العلماء كالملوك فكما
ينفق الملك على جنده كذلك العالم ينفق على طلبته وكما أن الجند
يحفظون دين الاسلام من العدو الظاهر فكذلك طلبة العلم يحفظونه
من العدو الباطن فكمال الدين لا يتم الا بالملوك والعلماء وحكى عن
أشهب صاحب الامام مالك أنه كان فى سعة من الدنيا وكانت
معيشته معيشة الملوك وكانت بلاد جيزة مصر اقطاعا للامام الليث ابن
سعد وكان خراجها فى كل سنة مائة ألف دينار ولم تجب عليه زكاة

قط وقد كان الفخر الرازى له ألف مملوك خلاف الجوارى والخدم
فالعلماء والاولياء على أقدام الانبياء عليهم الصلاة والسلام فبعض
الانبياء كان له مال كالسيد ابراهيم والسيد يوسف والسيد سليمان
والسيد أيوب عليهم الصلاة والسلام وبعضهم لامال له كالسيد نوح
والسيد عيسى والسيد يحيى ووالده على نبينا وعليهم أفضل الصلاة
والسلام وقال اذا رأيتم أحدا يرفع صوته بذكر الله تعالى فاحملوه على
أنه يفعل ذلك محبة فى الله وطلبا لاحد يذكر الله بذكره وتنهيض الهمم
الاخوان لا لعلة أخرى من حظوظ النفوس فان ذلك لايجوز وقال اذا
سمعتم أحدا من الاولياء يقول ان الله أطلعنى على مالم يطلع عليه
عزرائيل فلا تعترضوا عليه فقد وقع ان عزرائيل نزل لقبض روح ولد
الشيخ محمد الشربينى فقال له الشيخ ارجع الى ربك فان الامر قد نسخ
بقى من أجل ولدى ثلاثون عاما فكان الامر كما قال الشيخ وعوفى ولده
من تلك الضعفة وعاش ثلاثين عاما وقال اذا رأيتم أحدا من المشايخ
تغير على من زاره من تلامذته أحدا من أقرانه فاحملوه على أنه ما تغير
عليه الا لمصلحة كأن اطلع عليه من طريق كشفه على أن فتحه لا يكون
على يد غيره فأظهر له التكدر ليلازمه الى وقت الفتح مصلحة له لا لعلة
أخرى من حظوظ النفوس ومن كلام الشيخ محيى الدين بن عربى
ماسامح شيخ مريده فى الاجتماع بغيره الا حصل له تردد فى أى الشيخين
أعلى من الآخر حتى يتلمذ له واذا حصل له ذلك رفضه قلب الاثنين
فلم ينتفع بأحد منهما الا ان شرط الانتفاع بشيخ جزم التلميذ بأنه لايخرج
من دائرة شيخه حتى يحصل له الكمال وقال اذا رأيتم أحدا من العلماء
والصالحين كثيرا يتردد الى الملوك والامراء والقضاة والاغنياء ويسألهم
الدنيا ويطلب منهم الوظائف من تدريس وخطابة وامامة ونحو ذلك

فاياك أن تعترض عليه كما يقع فيه القاصر فى الفهم والادراك فيقول
لو كان هذا وليا أو عالما أو عاملا بعلمه ما تردد الى هؤلاء الامراء بل
يجلس فى بيته أو زاويته ويشتغل بعبادة ربه ورحم الله العلماء والاولياء
الذين سلفوا ونحو ذلك من ألفاظ الجور ولو استبرأ هذا القائل لدينه
لوقف وتبصر فى أمور هؤلاء الاولياء والعلماء قبل أن يقدم عليهم فربما
كان ترددهم لكشف ضر أو خلاص مظلوم من سجن أو قضاء حاجة
لاحد من عباد الله الذين لا يستطيعون توصيل حوائجهم الى تلك الامراء
فيسألون فى ذلك من يعتقدونه من الاولياء والعلماء فيجب عليهم
الدخول على هؤلاء الامراء لمصالح العباد ويحرم عليهم الامتناع وربما
كان طلب أحدهم الوظائف ليقوم فيها بالعدل ويتصرف فى ذلك
بالمعروف وكذلك لا نعترض عليه اذا رأيناه يأكل من أموال الظلمة
لاحتمال انه ما أكله الا عند الضرورة الشرعية بخلاف ما اذا رأيناه
يجمع مال الظلمة ولا يعطى أحدا من المحتاجين شيأ ويتوسع هو به
فى مأكله وملبسه فمثل هذا ننكر عليه قياما بواجب الشرع وشفقة
على دينه من النقص وعن لحمه من النار ثم بعد انكارنا عليه نتوجه الى
الله وندعو له بالمغفرة والعفو وارضاء الخصوم الذين جمع ذلك الظالم
المال منهم ثم نشكر الله تعالى الذى عافانا من مثل ذلك قاله فى تحفة
الاكياس قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ليس يخلو المرء من ضد وان * حاول العزلة فى رأس جبل

أى ليس يخلو الانسان من ضد أى شخص مضاد ومخالف له وان حاول
العزلة أى الاعتزال عن الناس فى رأس جبل بل وان كان نبيا مرسلا كما
وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم مما هو مبسوط فى الكتاب
العزيز خصوصا نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام فان قريشا خالفوه

وعادوه حتى خرج من بلدته مكة وهاجر الى المدينة المنورة ولابد لكل مخلوق من ضد ينازعه والاولى لنا واحد منا الصبر والتسلي بالماضيين كما قال صلى الله عليه وسلم في قصة مشهورة يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر ولله در البوصيري حيث قال

فتسلوا بمن مضى اذ ظلمتم * فالتسلي للنفس فيه عزاء

ولو لم يكن للانسان عدو أصلا غير ابليس لعنه الله لكان كافيا لان من المعلوم انه أعدى الاعداء لبني آدم قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(مل عن النمام واهجره فما * بلغ المكروه الامن نقل)

أي اترك النمام ودعه فقوله واهجره تفسير لما قبله وعلل ذلك بقوله فما بلغ أي وصل المكروه أي الشيء الذي تكرهه النفس الا الذي نقله لك وأخبرك به والنمام كثير النم وهو السعي بالحديث ليوقع فتنة أو وحشة في القلوب وهو حرام اجماعا مالم تدع الحاجة اليه كما اذا أخبرك شخص أن انسانا يريد البطش بك أو بمالك أو بأهلك فهذا ونحوه ليس بحرام كما صرح به النووي رحمه الله تعالى والمذاهب متفقة على انه كبيرة لحديث الصحيحين لا يدخل الجنة نمام أي مع السابقين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من أشراركم قالوا الله ورسوله أعلم قال ذو الوجهين الذي يأتي بوجه وهذا بوجه وعن الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال شر الناس ذو الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين في الدنيا يجعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وروي عن حماد بن سلمة أنه قال باع رجل من رجل غلاما فقال للمشتري ليس فيه عيب الا أنه نمام فاستخف المشتري بهذا العيب

واشتراه على ذلك العيب فمكث الغلام عنده أياما ثم قال لزوجة مولاه
ان زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرى عليك يعني يريد أن يشتري
جارية أفتريدين أن يعطف عليك زوجك قالت نعم قال لها خذي هذا
الموسى واحلقي شعرات من باطن لحيته اذا نام ثم جاء الغلام الى الزوج
فقال ان امرأتك تخادنت أي اتخذت خليلا وهي قاتلتك أتريد أن يتبين
لك ذلك قال نعم قال فتناوم لها ففعل الرجل فجاءت المرأة بالموسى لتحلق
الشعر فظن الزوج أنها تريد قتله فأخذ منها الموسى فقتلها به فجاء
أولياؤها فقتلوه وجاء أولياء الرجل ووقع القتال بين الفريقين وقال
يحيى بن أكثم النمام شر من الساحر لان النمام يعمل في ساعة مالا يعمله
الساحر في شهر وقال الحسن البصري من نقل اليك حديثا فاعلم أنه
ينقل الى غيرك حديثك وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه
رجل فذكر عنده رجلا فقال له عمر ان شئت نظرنا في أمرك ان كنت
كاذبا فأنت من أهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وان كنت
صادقا فأنت من أهل هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك
فقال العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود الى مثل ذلك وروي عن كعب
الاحبار أنه قال أصاب بني اسرائيل قحط فخرج بهم موسى عليه السلام
ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا فقال الهي عبادك قد خرجوا ثلاث
مرات فلم تستجب دعاءهم فأوحى الله تعالى اليه اني لا أستجيب لك ومن
معك وفيكم رجل نمام قد أصر على النميمة فقال موسى عليه السلام
يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال الله تبارك وتعالى ياموسى
أنهاكم عن النميمة وأكون نماما قال فوعظهم موسى عليه السلام
وقال توبوا عن النميمة جميعا فتابوا بأجمعهم وسقوا انتهى ولقبح النميمة
عند الله سبحانه وتعالى وصف الله الوليد بن المغيرة بعشرة أوصاف

مذمومة وذكر منها النميمة فقال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية قال ابن قتيبة لا نعلم أن الله عز وجل وصف أحدا بالذم مثل ما وصف الوليد بن المغيرة ومراد الناظم رحمه الله تعالى بالنمام ما يشمل المغتاب أيضا وذلك لان الغيبة والنميمة كالفقير والمسكين عند الفقهاء وكالظرف والجار والمجرور عند النحاة فتى اجتمعا افترقا ومتى افترقا اجتمعا والغيبة ذكر الانسان بما فيه مما يكرهه سواء ذكرت ما فيه بلفظك أو بكتابتك أو باشارة اليه بعينك أو يدك ورأسك وضابطه كلما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة والغيبة بالقلب محرمة كهي باللسان وكما تحرم الغيبة على المغتاب يحرم استماعها واقرارها وهي تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اليابس قال في تنبيه الغافلين ما نصه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال اذا ذكرت أخاك بما يكره قيل أرأيت ان كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته أي قلت بهتانا وعن بعضهم أنه قال لو قلت ان فلانا ثوبه طويل أو ثوبه قصير يكون غيبة فاذا كان ذلك في ثيابه ففي نفسه بالاولى وعن أبي يحيى قال بلغني أن امرأة قصيرة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرجت قالت عائشة رضي الله عنها ما أقصرها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتيها قالت عائشة ما قلت الا ما فيها فقال ذكرت أقبح ما فيها وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة أسري بي مررت في السماء الدنيا بقوم يقطع اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه فيقال لهم كلوا ما كنتم تأكلون من لحم اخوانكم قلت يا جبريل من هؤلاء قال الهمازون من أمتك اللمازون يعني المغتابين

وعن

وعن جابر بن عبد الله قال هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قد اغتابوا أناسا من المؤمنين فلذلك هاجت الريح قال بعض الحكماء ان ريح الغيبة كان يظهر منتنا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ينتن في يومنا هذا الان الغيبة قد كثرت في يومنا هذا وامتلأت الانوف منها فلم تؤثر الرائحة ويكون مثال هذا مثال رجل دخل دار الدباغين لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة وأهل تلك الديار يأكلون فيها الطعام والشراب ولا تتبين لهم الرائحة لانه قد امتلأت أنوفهم منها فكذلك رائحة الغيبة في يومنا هذا وروى عن الحسن البصري أن رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من رطب وقال له اني قد بلغني أنك قد أهديت الى حسناتك فاردت أن أكافئك بها فاعذرني فاني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام وذكر أن أبا أمامة الباهلي قال ان العبد ليعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها فيقال يارب من أين لي هذا فيقول له هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر قال كعب الاحبار قرأت في بعض الكتب أن من مات تائبا عن الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار وروى عن حاتم الزاهد أنه قال ثلاثة اذا كن في مجلس فالرحمة عنهم مصروفة ذكر الدنيا والضحك والوقيعة في الناس وذكر عن ابراهيم بن أدهم انه دعى الى طعام فلما جلس قالوا ان فلانا لم يجيء فقال رجل منهم انه رجل ثقيل فقال ابراهيم انما فعل في هذا بطني حيث شهدت طعاما اغتيب فيه المؤمن فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام وذكر عن أبي وهيب المكي أنه قال لان أدع الغيبة أحب الي من أن تكون لي الدنيا بأسرها وما فيها منذ خلقت الى أن تفنى

فاجعلها في سبيل الله ثم تلا ولا يغتب بعضكم بعضا وقال بعضهم ثلاثة
لا تكون غيبتهم غيبة سلطان جائر وفاسق معلن وصاحب بدعة يعني
اذا ذكر فعلهم وأما اذا ذكر شيء من أبدانهم بعيب فذلك غيبة
كغيرهم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذكروا الفاجر
بما فيه كي يحذر الناس منه انتهى وقد ذكر العلماء انها تباح في ستة
مواضع نظمها العلامة الجوهري في قوله

لست غيبة جوز وخذها * منظمة كأمثال الجواهر
تظلم واستعن واستفت حذر * وعرف واذكرن فسق المجاهر

وسنذكرها مبينة على ترتيب النظم فنقول الاول التظلم أي فيجوز
للمظلوم أن يتظلم للسلطان أو القاضي أو نحوهما من له قدرة على انصافه
ممن ظلمه فيقول ظلمني فلان بكذا او كذا ولا يزيد على الحاجة والثاني
الاستعانة على تغيير المنكر فيقول لمن ترجو قدرته على ازالة المنكر
فلان يفعل المنكر كالزنا وشرب الخمر وتقصد بذلك أن يعينك على ازالة
ذلك المنكر فان لم تقصد ذلك كان حراما والثالث الاستفتا فيقول للمفتي
ظلمني أبي أو أخي أو نحوهما فهل له ذلك أم لا والرابع التحذير رأى تحذير
المسلمين من الشر ونصيحتهم من وجوه منها جرح المجروحين من الرواة
والشهود وذلك جائز بالاجماع بل هو واجب للحاجة ومنها المشاورة
في مصاهرة انسان أو في مشاركته أو في ايداعه أو في معاملته أو نحو
ذلك ويجب على المستشار أن لا يخفي شيأ من العيوب التي فيه بل يذكرها
بنية النصيحة ومنها أن يكون الشخص في ولاية لا يقوم بها لعدم صلاحه
لها أو لفسقه أو لتغفله فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولي من
يصلح لها أو ليحثه على الاستقامة والخامس التعريف فاذا كان الانسان
معروفا بلقب كالاعمش والاعرج والاعمى والاحول والاصم ونحوهم

جاز

جاز تعريفهم بذلك ويحرم ذكره على جهة التنقيص والسادس أن يكون متجاهرا بالفسق كالمتجاهر بشرب الخمر وأخذ المكوس وأخذ أموال الناس ظلما فهذه ستة مواضع تجوز فيها الغيبة قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(دار جار الدار ان جار وان ✱ لم تجد صبرا فما أحلى النقل)

أى لاطف جار الدار ولين كلامك معه ان جار عليك وظلمك وبالاولى ما لو أحسن اليك أو لم يؤذك وان لم تجد صبرا منك على ظلمه وجوره عليك فما أحلى النقل أى الانتقال والتحول من هذه الدار الى محل بعيد فان أرض الله واسعة قال العلماء المداراة الملاطفة ولين الكلام وهى من الخصال الحميدة لانها تدل على التواضع وحسن الخلق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أمرنى ربى عز وجل بمداراة الناس كما أمرنى باقامة الفرائض وقال بعض الحكماء فى المداراة سلامة الدين والدنيا وتخصيص الناظم رحمه الله تعالى الجار بالمداراة وان كانت مطلوبة لكل أحد لزيادة الوصية والاعتناء بالجار لما ورد فيه من الآيات والاحاديث قال الله تعالى وبالوالدين احسانا وبذى القربى الى قوله والجار الجنب قال ابن عباس الجار القريب الذى بينك وبينه قرابة والجار الجنب الذى لاقرابة بينك وبينه وقيل القريب المسلم والجنب الذمى وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول لهم ادخلوا النار مع الداخلين الاول الفاعل والمفعول به يعنى اللائط والملوط به الثانى الناكح يده الثالث ناكح البهيمة الرابع ناكح لمرأة فى دبرها الخامس جامع المرأة وبنتها السادس الزانى بحليلة جاره السابع المؤذى جاره وعن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لايسلم عبد حتى يسلم الناس من يده ولسانه ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه فقلنا يارسول الله وما بوائقه قال غشه وظلمه وعن سعيد ابن المسيب أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمة الجار على الجار كحرمة أمه عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أوليصمت ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاليكرم ضيفه وعن الحسن البصرى أنه قال قيل يارسول الله ماحق الجار على الجار قال تسعة أشياء ان استقرضك أقرضه وان دعاك أجبه وان مرض عده وان استعان بك أعنه وان أصابته مصيبة عزه وان أصابه خير هنه وان مات اشهده وان غاب احفظ منزله وعياله ولاتؤذه وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وعن جابر الانصارى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الجيران ثلاثة فمنهم من له ثلاث حقوق ومنهم من له حقان ومنهم من له حق واحد فأما الذى له ثلاث حقوق فجارك القريب المسلم وأما الذى له حقان فجارك المسلم أيضا وأما الذى له حق واحد فهو جارك الذمى فينبغى أن يعرف الجار حق الجار وان كان ذميا ويقال من مات وله جيران ثلاث وهم راضون عنه غفرله وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل يشكو اليه جاره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كف أذاك عنه واصبر على أذاه وكفى بالموت مفرقا وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ولكن حسن الجوار الصبر على أذى الجار وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال ثلاث خصال مستحسنة كانت فى الجاهلية والمسلمون أولى بها أولها لونزل بهم ضيف

اجتهدوا في بره الثاني لو كانت لاحدهم امرأة كبيرة عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع الثالث اذا لحق بجارهم دين أو أصابته شدة اجتهدوا حتى يقضوا عنه دينه وأخرجوه من تلك الشدة وروى أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الجار ليتعلق بجاره يوم القيامة ويقول يارب وسعت على أخي هذا وقترت على أمسي جائعا وهو يمسي شبعانا فاسأله يارب لم أغلق بابه دوني وحرمني مما قد وسعت به عليه وعن سفيان الثوري أنه قال من الجفاء أن يشبع الرجل وجاره جيعانا لا يطعمه شيأ من طعامه وقال بعضهم تمام حسن الجوار في أربعة أشياء الاول أن يواسيه بما عنده الثاني أن لا يطامع فيما عند جاره الثالث أن يمنع أذاه عنه الرابع أن يصبر على اذاه والله أعلم قال في تنبيه الغافلين وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يحب الرجل له الجار السوء يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله أو يموت رواه ابن عساكر عن أبي هريرة وقد كان لمالك بن دينار جار يهودي فحول اليهودي مستحمه الى جدار البيت الذي فيه مالك وكان الجدار متهدما فكانت تدخل منه النجاسة ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيأ وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له يا مالك آذيتك كثيرا وأنت صابر ولم تخبرني فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه فندم اليهودي وأسلم وحسن اسلامه وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كم جار يتعلق بجاره يوم القيامة يقول يارب أغلق بابه دوني فمنعني معروفه وعن أبي شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن

قالوا لقد خاب وخسر من هو يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه أى غوائله وشروره ثم الجار يقع على الساكن مع غيره وعلى الملاصق وهو المراد من كلام الناظم وعلى أربعين دارا من كل جانب فقد سئل الحسن البصرى عن الجار فقال أربعون دارا أمامه وأربعون خلفه وأربعون عن يمينه وأربعون عن يساره (تتمة) فى قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره معنى لطيف وهو انه اذا أمر باكرام الجار مع الحائل بين الانسان وبينه فينبغى أن يراعى حق الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حائل فلا يؤذيهما بايقاع المخالفات فقد ورد أنهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات فينبغى اكرامهما ورعاية حقهما بالاكثار من الطاعات وبتجنب المحرمات فهما أولى بالاكرام من جميع الجيران انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(جانب السلطان واحذر بطشه * لا تخاصم من اذا قال فعل)

أى اترك السلطان وتباعد عنه ولا تذهب اليه الا بقدر الحاجة والضرورة ما لم يترتب على ذهابك اليه خير من شفاعة أو وعظ له أو نحو ذلك وقوله واحذر بطشه أى أخذه بقوة وعنف ولا تخاصم من أى الذى اذا قال قولا فعل فعلا على طبقه ولا يرده عنه راد أى لا تظهر له المخاصمة والعناد لان ذلك يؤدى الى البطش بك أو بعيالك والمراد بالسلطان من له سلاطة وقوة وشوكة فيشمل غير ولاة الامور ممن له شوكة ففى هذا البيت تصريح باجتناب السلطان وعدم الاجتماع عليه وتصريح أيضا بعدم مخاصمته ومعاندته وعصيانه واذا قدر للانسان الاجتماع به فيجب عليه أن يكون معه على أحسن الاحوال وأكملها فى نهيه وأمره ومعاشرته وحفظ سره وعدم اذاعة ما يراه منه

في جميع الاحوال والاقوال قال بعض الحكماء لولده يابني من كثر
كلامه كثر ندمه واياك والركون الى السلطان فان الركون اليه هلاك
وحبن وضيق ليس منه فكاك واذا استدعاك لنفسه فكن منه على
حذر ولا تأمن مكره وغدره فبئس الغادر اذا غدر وكله من حيث
يريد ولا تكلمه من حيث لا يريد وارفق به كما ترفق بالطفل الصغير ولا
تدخل بينه وبين احد من أولاده وعشيرته وأهل بيته وان حدثته
حديثا فاسنده الى غيرك من الانام وهذه وصيتي فاحفظها واعمل بها
وقال آخر لولده اذا خدمت السلطان أو غيره ممن له ولاية أو قوة أو شوكة
فلا تنم اليه فانه لا يزيده ذلك الا نفورا منك مخافة أن تنم به كما نممت اليه
وكن أقرب الناس منه عند فرحه وأبعدهم منه عند غضبه ولا
تعارضه فيما يريد أن يفعله ولا تهن أصحابه ولا من يلوذ به من طائفته
وذريته وصحبه وعاملهم بأحسن الاخلاق الكريمة وأكملها كما تعامله
بذلك انتهى وقال في تنبيه الغافلين في الباب الثامن والستين ما نصه
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان وما لم يدخلوا في الدنيا
فاذا خالطوا ودخلوا فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم واحذروهم وعن
الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل من السلطان
قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت اتباعه الا كثرت شياطينه ولا
كثر ماله الا اشتد حسابه وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل
وما مواقف الفتن قال أبواب الامراء وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قال ان الرجل ليدخل على ذي سلطان ومعه دينه فيخرج من عنده
وما معه دينه قيل وكيف ذلك قال يرضيه بما يسخط الله وقال بعض
المتقدمين اذا رأيت عالما يختلف الى الاغنياء فاعلم انه مراء واذا

رأيت عالما يختلف الى الامراء فاعلم أنه لص وعن مكحول رضى الله عنه قال من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم أتى باب السلطان تملقا اليه وطمعا لما فى يده خاض فى نار جهنم بعدد خطاه وعن ميمون بن مهران قال ان فى صحبة السلطان خطرين ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك والسلامة أن لا يعرفك وعن الفضيل بن عياض قال لو أن رجلا لا يخالط هؤلاء يعنى السلاطين ولا يزيد على الفرائض هو أفضل من رجل يخالط السلطان ويصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويجاهد ويقال ما أقبح العالم أن يقال أين فيقال عند الامير وعن الضحاك بن مزاحم قال انى لا تقلب الليل كله على فراشى ألتمس كلمة أرضى بها سلطانى ولا أسخط بها خالقى فلا أقدر عليها وقال ابن عباس اجتنبوا أبواب الملوك فانكم لا تصيبون من دنياهم شيأ الا أصابوا من آخرتكم ماهو أفضل منه انتهى وما تقدم عن هؤلاء الاكابر بالنسبة الى ملوك زمانهم فكيف بنا وبزماننا وبملوكه فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يختم لنا بالسعادة آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(لا تلى الحكم وان هم سألوا * رغبة فيك وخالف من عذل)

هذا البيت والستة أبيات التى بعده متعلقة بالحكم والولاية على الرعية والقضاء بين الناس أى لا تكن واليا وان سألك الناس ذلك لرغبتهم فيك وارادتهم لك بل اترك الولاية وخالف من عذلك ولامك على تركها ففى كلام الناظم رحمه الله تعالى النهى عن تولية الاحكام لانه يحتمل أن لا يعدل فى أحكامه فيصير الى النار كما روى عن شقيق بن سلمة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل بشر بن عاصم الثقفى على صدقات هوازن فتخلف فلقيه عمر فقال له ما خلفك أما ترى لنا عليك

سمعا وطاعه قال بلى ولكننى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولى أحدا من الناس أتى به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم فان كان محسنا به نجا وان كان مسيئا انخرق به الجسر فيهوى فيها سبعين خريفا فخرج عمر باكيا كئيبا حزينا فلقيه أبوذر فقال مالى أراك حزينا قال وما يمنعنى من البكاء وقد سمعت بشر بن عاصم يقول قال صلى الله عليه وسلم من ولى أحدا من الناس أتى به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم فان كان محسنا نجا وان كان مسيئا انخرق به الجسر فيهوى فيها سبعين خريفا وهى سوداء مظلمة قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ان نصف الناس أعداء لمن * ولى الاحكام هذا ان عدل)

هذا البيت تعليل لما قبله أى لا تلى الاحكام لان نصف الناس أعداء لمن ولى الاحكام وعدل فيها فان لم يعدل فيها عادته الناس كلهم وعاداه خالقه فخسر الدنيا والآخرة والنصف كما فى المصباح بكسر النون وضمها والكسر أفصح ويقال فيه نصيف كرغيف وهو أحد جزأى الشئ اه انتهى (واعلم) أن العدل فى الاحكام قوام الدنيا والدين وسبب اصلاح المخلوقين وهو مأخوذ من الاعتدال وهو الاستواء وحقيقة العدل وضع الامور فى موضعها فلا توضع الشدة فى مكان اللين ولا اللين فى مكان الشدة ولا السيف مكان السوط ولا السوط مكان السيف وأما الانصاف فهو استيفاء الحقوق بالايدى العادلة وهو والعدل توأمان نتيجتهما علو الهمة وقد قيل من عدل فى سلطانه استغنى عن أعوانه ويقال عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان ويقال الملك يبقى على الكفر والعدل ولا يبقى على الجور والايمان وقد أشار بعض الشعراء الى ذلك بقوله

عليك بالعدل ان وليت مملكة * واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على عدل الكفور ولا * يبقى مع الجور في بدو ولا حضر

وقال عمرو بن العاص ملك عادل خير من مطر وابل ويقال اذا عدل السلطان في رعيته ثم جار على واحد لم يف عدله بجوره وكان كسرى اذا جلس للحكم بين الناس أمر رجلين من رؤساء دولته فوقف واحد عن يمينه وواحد عن شماله فكان اذا زاغ حركاه بقضيب معهما وقالا له والرعية يسمعون أيها الملك أنت مخلوق لا خالق وعبد لا مولى وليس بينك وبين الله قرابة أنصف الخلق وانظر لنفسك وكتب جعفر بن يحيى الى بعض عماله أنصف من وليت أمره والا أنصفه منك من ولي أمرك أي وهو الله تعالى وكتب أخوه الفضل بئس الزاد الى المعاد التعدي على العباد ولقد صدق القائل

* يا أيها الملك * الذي بصلاحه صلح الجميع
أنت الزمان فان عدلـت فكله أبدا ربيع

وقال آخر

لكل ولاية لابد عزل * وصرف الدهر عقد ثم حل
وأحسن سيرة تبقى لوال * على الايام احسان وعدل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(فهو كالمحبوس عن لذاته * وكلا كفيه في الحشر تغل)

أي فالحاكم كالشخص المحبوس عن لذاته كما هو مشاهد من كونه لا يمشي الا بمركوب يركبه وبجماعة تمشي خلفه وغير ذلك فان لم يجد ذلك لم تسمح نفسه بخروجه الى المحل الذي يريده فصار محبوسا عن شهوته وهذا الامر حادث والا فكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ملكا في زي مسكين واشترى علي كرم الله وجهه تمرا بدرهم فحمله في رداء

فسأله بعض أصحابه أن يحمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله ولما ولي
علي بن عيسى الوزارة وذلك سنة ثلثمائة رأى الناس يمشون حوله
كما كانوا يمشون حول الوزراء قبله فالتفت اليهم وقال أنا لا أرضى لعبيدنا
أن يفعلوا معنا هذا فكيف نكلفه قوما أحرارا لا احسان لنا عليهم
ومنعهم من المشي في ركابه ويقال ان أول من مشت معه الرجال وهو
راكب الاشعث بن قيس كان يركب في واحد ويرجع في ألف انتهى
وقوله وكلا كيفه في الحشر تغل بالغين المعجمة أي تجمع الى عنقه بطوق
من حديد قال في المصباح كلا بالكسر والقصر اسم لفظه مفرد ومعناه
مثنى وتلزم اضافته الى مثنى فيقال قام كلا الرجلين ورأيت كليهما واذا
عاد عليه ضمير فالافصح افراده نحو كلاهما قام قال تعالى كلتا الجنتين
آتت أكلها والمعنى كل واحدة منهما آتت أكلها ويجوز التثنية فيقال
قاما انتهى وكلام الناظم رحمه الله تعالى محمول على غير العادل ففي الجامع
الصغير أنه صلى الله عليه وسلم قال غير الدجال أخوف على أمتي من
الدجال الائمة المضلون وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم في جهنم واد
وفي الوادي بئر يقال لها هبهب حق على الله تعالى أن يسكنها كل جبار
وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم الفلق سجن في جهنم يحبس فيه
الجبارون والمتكبرون وان جهنم لتتعوذ منه وفيه أيضا قال صلى الله عليه
وسلم ان أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا
امام عادل وأبغض الناس الى الله تعالى يوم القيامة وأبعدهم منه امام
جائر وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم ان شئتم أنبئكم عن الامارة وما
هي * أولها ملامة * وثانيها ندامة * وثالثها عذاب يوم القيامة *
الا من عدل وفيه أيضا قال صلى الله عليه وسلم أيما راع استرعى رعية
فلم يحطها بالامانة والنصيحة الا ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل

شيء . وقال في غرر الخصائص ما نصه ينبغي للملك أن يعمل بخصال ثلاثة تأخير عقوبة المسيء وتعجيل ثواب المحسن والعمل بالاناءة فيما يحدثه لان في تأخير العقوبة امكان العفو وفي تعجيل ثواب المحسن المسارعة بالطاعة وفي الاناءة اتضاح الرأي والصواب وقال أنوشروان الناس ثلاث طبقات فسوسوهم بثلاث سياسات طبقة هم الابرار فسوسوهم باللين والعطف وطبقة هم الاشرار فسوسوهم بالغلظة والعنف وطبقة هم العامة فسوسوهم بالشدة واللين كي لا تخرجهم الشدة ولا يبطرهم اللين ولله در القائل

اذا كنتم للناس أهل سياسة

فسوسوا كرام الناس بالرفق والبذل

وسوسوا لئام الناس بالذل يصلحوا

على الذل ان الذل أوفق للنذل

وقال بعضهم لا سلطان الا برجال ولا رجال الا بمال ولا مال الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله لو أن بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت قيل له وكيف ذلك قال ان جذبوها رخيتها وان رخوها جذبتها وقال بعضهم اذا كان عند الملك للمحسن من الحق ما ينفعه وللمسيء من أليم العذاب ما يقمعه بذل المحسن النصح رغبة وانقاد المسيء الى الحق رهبة وقال بعض الملوك اعلم أن الملك والدين اخوان توءمان لا قوام لاحدهما الا بالآخر لان الدين هو أس والملك عماده والملك قائم سيف الدين وعماده ولا بد للملك من أس ولا بد للدين من حارس فان من لا حارس له ضائع ومن لا أس له مهدوم ويقال شيآن ان صلح أحدهما صلح الآخر السلطان والرعية كان الرشيد في بعض غزواته فألح عليه الثلج ليلة فقال بعض أصحابه يا أمير المؤمنين

أما ترى ما نحن فيه من الجهد والتعب والرعية قارة نائمة فقال اسكت فالرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعى من حراسة الرعية وتحمل الاذية انتهى وقال الشاعر فى ذم بعض ولاة بنى مروان

اذا ما قضيتم ليلكم عناءكم * وأفنيتموا أيامكم بمدام
فمن ذا الذى يغشاكم فى ملمة * ومن ذا الذى يلقاكم بسلام
رضيتم من الدنيا بأيسر بلغة * بلثم غلام أو بشرب مدام
ألم تعلموا أن الاسان موكل * بمدح كرام أو بذم لئام

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ان النقص والاستثقال فى * لفظة القاضى لوعظا ومثل)

هذا البيت متعلق بالقاضى الذى هو احد الحكام اى ان فى النقص بالصاد المهملة وفى الاستثقال المتضمن له ما لفظ القاضى لوعظا كافيا ومثلا شافيا يزجران ويمنعان من له عقل عن الدخول فى ولاية القضاء ووقف الناظم رحمه الله تعالى بالسكون على مثل مع انه منصوب تبعا لربيعة الذين يقفون على المنصوب بالسكون وبيان النقص فى لفظ القاضى انه من الاسماء المنقوصة كالثانى والوالى ونحوهما فيقدر فى اعرابه الرفع والخفض ويظهر فيه النصب فتقدر الضمة فى الرفع والكسرة فى الخفض والمانع من ظهور الضمة فى الاول والكسرة فى الثانى الثقل قال ابن مالك رحمه الله تعالى

والثان منقوص ونصبه ظهر * ورفعه ينوى كذا أيضا يجر

ولله در الملاح حيث قال فى تخميسه

واذا فزت بقاض منصف * عادل فى الحكم حبر منصف
فتأمل حكمة السر الخفى * ان للنقص والاستثقال فى
لفظة القاضى لوعظا ومثل

فنى كلام الناظم النهى عن تولية القضاء وهو محمول على من ليس فيه أهلية له لعجزه عن ذلك أو لجهله وعدم معرفته والا فالقضاء فى حق الصالحين له فرض كفاية فى كل ناحية تحتاج الى قاض كالجهاد والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد يكون فرض عين كما اذا لم يوجد فى الناحية صالح له الا شخص واحد فيتعين عليه وقد ورد فى فضله من الكتاب والسنة ما يرغب فيه كقوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله وقوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى مع القاضى مالم يجر فاذا جار تبرأ الله منه وألزمه الشيطان رواه الحاكم والبيهقى ولله در القائل

نعم الوظيفة القضا لاهله * وظيفة الاشراف والافاضل

فاحفظ لها حقوقها واعمل بها * ولا تكن عن حفظها ابدا اهل

وقال بعضهم

مرتبة الرسول طه المصطفى * أكرم بها بين الانام مرتبه

وأما ماورد من النهى عن ولايته فهو محمول على من ليس فيه أهلية للقضاء كقوله صلى الله عليه وسلم من جعل على القضاء فكأنما ذبح بغير سكين وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة العذاب مايود أن لم يكن قضى بين اثنين قط ولهذا الحديث امتنع منه أكابر العلماء كالامام الاعظم فانه أدخل على أبى جعفر الدوانقى فقال يا أبا حنيفة أعنا على أمرنا فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين أنا لا أصلح لهذا الامر فقال له جعفر سبحان الله أعنا على أمرنا فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صادقا عندك فقد أخبرتك أنى لا أصلح لهذا الامر وان كنت كاذبا فلا يحل لك

توليني هذا الامر قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(لا تساوى لذة الحكم بما ✽ ذاقه الشخص اذا الشخص انعزل)

اى لا تقوم لذة الحكم مقام الذى يحصل للشخص وقت انعزاله حين يقول له صاحب أمره أنت معزول فجميع ما يحصل للحاكم فى مدة ولايته من لذة الامر والنهى والاعطاء والمنع وغير ذلك لا يساوى قول ولى أمره أنت معزول لما يلحقه بسبب ذلك من الشدة والمشقة والاضطراب واختلال الامر وغير ذلك وقد حكى أنه كان ببغداد رجل قاض وكان من أهل العلم وكانت عنده جارية جميلة فكان يطأها حتى اذا قارب الانزال عزل عنها فتقول له يا سيدى أذاقك الله مرارة العزل فاتفق أن الامام عزله من منصبه فصار مدة يراه ليلا لا يلتذ بأكل ولا بشرب ولا نوم ولا غير ذلك مما كان يجده قبل العزل فى زمن الولاية فالتمس دعاءها وتاب الى الله سبحانه وتعالى عن العزل عنها فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءها وأعيد اليه منصبه انتهى وقال بعضهم لا تشاور المعزول فان رأيه مفلول بالفاء ولله در الملاح حيث قال فى تخميسه

صح فى الجنة قاض علما ✽ وللظى اثنان بقول العلما

انصف الخصمين يامن حكما ✽ لا توازى لذة الحكم بما

ذاقه المرء اذا المرء انعزل

وهذا مصداق قوله عليه الصلاة والسلام القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار فالاول رجل عرف الحق فاتبعه وحكم به فهو فى الجنة والثانى رجل عرف الحق ولم يحكم به فهو فى النار والثالث رجل لم يعرف الحق وحكم على جهل فهو فى النار ولله در القائل

ان القضاة ثلاثة بصعيدنا ✽ قد حققوا ما جاء فى الاخبار

قاض بأسنى قد ثوى فى جنة ✽ والقاضيان كلاهما فى النار

وقال بعضهم فى هجو القضاة الجائرين

قضاة زماننا أضحوا لصوصا * عموما فى البرية لا خصوصا

فحسبك أنهم لو سافرونا * لسلوا من خواتمنا الفصوصا

وقال آخر

ولما ان تولت القضايا * وفاض الجور من كفيك فيضا

ذبحت بغير سكين وانى * لارجو الذبح بالسكين أيضا

ويحكى أن بعض الجهال من القضاة تقدم اليه رجل بخصم فقال هذا باعنى ثوبا فوجدت فيه عيبا وسألته أن يقيلنى فأبى فالتفت اليه القاضى وقال أقله عافاك الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قيلوا فان الشياطين لا تقيل فانظر الى جهله وقيل لقاضى حمص كيف تحكم على اللوطى قال بنصف حكومة الزانى قيل له ولم قال لان الحمار لا يحمل الا نصف ما يحمل البغل وهذا حكم لا معنى له وادعت امرأة على زوجها مهرا عند بعض القضاة فأنكره فأمر القاضى أن يجلد حدين قيل له ولم حكمت بهذا قال لانهما زنيا ان لم يكن بينهما مهر قيل أفلا تحد المرأة قال بلى لان أفعله اذا لم تحمل رأسه أحرق أصابها وهذا كلام لا معنى له وتقدم جماعة لقراقوش وكان عاملا لصلاح الدين على مصر ومعهم قتيل ونور ورجل مكتوف فقالوا أيها الامير ان هذا الثور مال على هذا الرجل فقتله وهذا مالكه وهو العاقلة ففكر ساعة ثم أمر بالثور أن يشنق ويطلق صاحبه فقيل له ما هذا حكم الله فقال لو جرى هذا فى زمن فرعون ما فعل غير هذا لانه القاتل ولا يحل لى أن أقتل غير القاتل وهذه حكاية ذكرها القاضى الاسعد فى كتابه الذى سماه الفاشوش فى أحكام قراقوش ذكر فيه من هذه الاحكام شيأ كثيرا والعهدة عليه فى ذلك والله أعلم ان كل ما فيه مختلق لان صلاح

الدين

الدين بن أيوب مع تيقظه ودينه لايولى اقليم مصر من يكون بهذا العقل وحكي أن عامل المنصور بن النعمان كتب اليه من البصرة انى أصبت سارقا سرق نصابا من حرزه فما أصنع فيه فكتب اليه المنصور أن اقطع رجله ودعه يكد بيده على عياله فاجابه العامل ان الناس ينكرون هذا القول ويقولون قال الله تعالى فى القرآن والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما الآية فكتب اليه القرآن نزل من السماء ونحن فى الارض والشاهد يرى مالا يرى الغائب فانظر الى جهله كيف أداه وكان نصر بن مقبل عاملا للرشيد على الرقة فأتى برجل ينكح شاة فقال أيها الامير انها والله ملك يمينى وقد قال الله تعالى وما ملكت أيمانكم فأطلقه وأمر أن تضرب الشاة الحد فان ماتت تصاب فقيل له أيها الامير انها بهيمة فقال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل ولو عطلتها فبئس الوالى أنا فانتهى خبره الى الرشيد ولم يكن رآه قبل ذلك فدعى به فلما مثل بين يديه قال كيف بصرك بالحكم قال ياأمير المؤمنين الناس والبهائم عندى فيه سواء ولو وجب حد على بهيمة وكانت أمى أو أختى لجلدتها ولم تأخذنى فى الله لومة لائم فعزله الرشيد وأمر أن لا يستعان به فى عمل فلم يزل معطلا الى أن مات وكان الربيع بن عبد الله العامرى واليا على اليمامة فبلغه ان كلبا قتل كلبا فأمر أن يقتل به فقال فيه بعض الشعراء

شهدت بأن الله حق لقاؤه * وان ربيع العامرى رقيع

أقادلنا كلبا بكلب ولم يدع * دماء كلاب المسلمين تضيع

ويحكى أن بعض القضاة العقلاء قدم قوم اليه غريما لهم فادعوا عليه بمال فأقر فأمره القاضي أن يدفع لكل ذى حق حقه فقال ان لى ربعا وقد حان استغلاله فان رأوا أن يؤجلونى أياما حتى أستغله وأؤدى

اليهم حقوقهم فسألهم القاضى فقالوا والله لا نعلم له شيأ أصلا فقال القاضى اذهب فقد فلسك غرماؤك وحكى أن رجلا أراد أن يحج فأودع عند رجل مالا فلما رجع طلبه منه فجحده فأتى اياسا القاضى فأخبره فقال له لا تعلم أحدا انك أتيتنى وارجع الى بعد يومين ثم دعا القاضى اياس المودع عنده وقال له قد اجتمع عندنا مال لأيتام وأريد أن أودعه عندك ليكون فى حرزك فحصن بيتك وانتخب أقواما ثقاة يحملونه معك فخرج الرجل وأصلح منزله ثم دعى القاضى اياس المودع وقال له انطلق الى صاحبك واطلب منه مالك وقل له ان أنت لم ترد على مالى شكوتك للقاضى فذهب اليه وطلب ماله فرده عليه فأخبر الرجل القاضى اياسا بذلك فتعجب من ذلك وقال ربما كانت الحيلة الى درك المطلوب وسيلة وترك القاضى اياس وعد الرجل قاله فى غرر الخصائص قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(فالولايات وان طابت لمن ✽ ذاقها فالسم فى ذاك العسل)

هذا البيت تفريع على البيت الذى قبله أى فالاحكام وان كانت حلوة كالعسل لما ينشأ عنها من حلاوة الامر والنهى والسطوة والعلو والعظمة وغير ذلك مما تتمناه النفس فذلك العسل فيه سم قاتل لوقته لما ينشأ عن المذكورات من الكبر والعجب والخيلاء واحتقار المسلمين ولأن الغالب فى متولى الاحكام أن تكون آخرته تفريق شمله وتشتيت جمعه وموته غريبا كما هو مشاهد معلوم فقد ثبت أن بنى أمية تفرق أمرهم غاية التفريق وكذلك غيرهم ولما تفرق الامر عن مروان بن محمد آخر ملوك بنى أمية وأيقن بزوال ملكه وغلبة بنى العباس عليه قال لكاتبه عبد الحميد بن يحيى انى قد احتجت لن تكون مع عدوى فتظهر لهم الغدر بى فان استطعت أن تنفعنى فى حياتى والا فلا تعجز

فى حفظ حرمتى بعد وفاتى فقال عبد الحميد ان الذى أمرتنى به أنفع الامرين لك وأخرجهما بى وما عندى الا الوفاء لك حتى يفتح الله أو أقتل معك فأمسك عنه ساعة وأعاد عليه القول ثانية فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس فلم يزل معه حتى قتل وذلك فى آخر اثنين وثلاثين ومائة وله تسع وخمسون سنة وقتل ببوصير قرية من صعيد مصر وهو آخر ملوك بنى أمية وكانت مدة دولتهم ثلاثا وتسعين سنة واحد عشر شهرا وأياما وهرب عبد الحميد الى قرية تعرف بالاشمونين فاختفى فيها فدل عليه وحمل الى أبى العباس السفاح بامان فلم يحظ عنده وذكر بعضهم أن جماعة من بنى أمية دخلوا على أبى العباس السفاح وفيهم الغمر بن هشام بن عبد الملك فألح عليه أبو العباس بالنظر فلما رأى الغمر ذلك منه أنشد وقال

عبد شمس أبوك وهو أبونا * لا نناديك من مكان سحيق
والقرابات بيننا واشجات * محكمات العرى بعقد وثيق

فأعجبه ذلك منه وأجلسه معه على السرير وأقعد أصحابه حوله يمينا وشمالا وتحدث معهم فشكروه على ذلك فبينما هم يتحدثون اذ دخل عليهم سديف بن ميمون فأنشد السفاح القصيدة التى أولها عمر الدين فاستنار مليا حتى أتمها فقال السفاح يا ابن هشام كيف ترى شاعرنا فقال للسفاح ان شاعرنا الاشعر من شاعركم وأكثر بيانا وأفصح لسانا فقال السفاح وما قال شاعركم فقال

لو تحمل البخت والافيال مثقلة * احلامهم تركت عقر المباعير
لا يعبثون اذا جلت محافلهم * زين المجالس فرسان المنابير

فاحمرت عينا السفاح وهاجت به حمية كانت قد سكنت ثم ضرب على فخذ الغمر وقال

طمعت أمية أن تجاوز هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد ومليكه * حتى يباد كفورها وخؤونها

ثم قال لهم قوموا الى مقصورتكم ثم دعى بثلاثة وسبعين رجلا من أهل خراسان فأعطاهم الخشب وقال أشدخوهم فشدخوهم عن آخرهم قال سديف والله ماخرجت من الانبار حتى رأيتهم معلقين بعراقيبهم قد نهشت الكلاب رؤسهم ودخل اسماعيل الملقب بسديف المذكور على السفاح وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى سديف ذلك أقبل على السفاح فقال

يا ابن عم النبي أنت ضياء * استبنى بك اليقين الجليا
يا وصي الشهيد أكرمك الله فقد كنت للشهيد وصيا
لا يغرنك ماترى من خضوع * ان تحت الضلوع داء دويا
بطن البغض في القديم فاضحى * ثابتا في قلوبهم مطويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لاترى فوق ظهرها أمويا

فقام أبو العباس ودخل واذا المنديل قد ألقى في عنق سليمان ثم جر فذبح ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس بعدما ولى الخلافة ووليها وهو ابن أربع وعشرين سنة في ربيع الآخر سنة اثنين وثلاثين ومائة وعنده ماثنا رجل من بني أمية وهم جلوس معه على المائدة فقام اليه وأنشد يقول شعرا

أصبح الملك ثابت الاساس * بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان و يأس
يا كريم المطهرين من الرجس ويارأس كل طود وراس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وأواس
ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كجز المواسي

ولقد غاظني وغاظ سواي ✱ قربهم من نمارق وكراسي
انزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد ✱ وقتيلا بجانب المهراس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا وبسطت البسط عليهم وجلس عليها ودعا بالطعام وانه يسمع أنينهم وعويلهم فلما فرغ من طعامه قال ما أكلت أكلة هي أهنى ولا أمرى ولا أطيب في نفسي من هذه ثم خرج في طلب بني أمية في أقطار الارض ان وجد حيا قتله وان وجد قبرا نبشه وأحرق من فيه ثم أتى دمشق فدخلها وقتل في جامعها يوم جمعة في شهر رمضان خمسين ألفا من بني أمية ومواليهم كانوا قد استجاروا بالجامع فلم يجرهم ولما وصل الى الرصافة أخرج هشاما من قبره فضربه مائة سوط وعشرين سوطا حتى تناثر لحمه وقال انه ضرب أبي ستين سوطا ظلما وقوله واذكروا مصرع الحسين أي الحسين بن علي رضي الله عنهما حين قتله اليزيد بن معاوية وقصته مشهورة وقوله وزيد حاصل قصته ان الامام زيد رضي الله عنه ظهر في سنة اثنتين وعشرين ومائة بالكوفة فأرسل هشام ابن عبد الملك الى محاربته يوسف بن عمر الثقفي فلما قامت الحرب بينهم على ساقها انهزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتل أشد القتال ولم يزل يقاتل حتى أصابه سهم في جبهته فمات منه ليلا فدفنه أصحابه ثم دل يوسف على قبره فأخرجه وقطع رأسه وأرسله الى دمشق فعلق وصلبت جثته عارية فتدلت سرته حتى سترت سوأته وقيل ان العنكبوت نسجت عليه حتى سترت عورته وذلك في السنة التي ظهر فيها ولم يزل كذلك الى أيام الوليد بن عبد الملك فأمر بها فأحرقت ومات هشام سنة خمس وعشرين ومائة في ربيع الاول وله من العمر ست وخمسون سنة وكانت مدة خلافته تسعة عشر سنة وعشرة اشهر وأياما

وقوله وقتيلا بجانب المهراس المراد به حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء رضي الله عنه وانما نسب قتله لبني أمية لان أبا سفيان رضي الله عنه قاد الجيوش يوم أحد لقتال المسلمين والمهراس ماء بأحد قاله في غرر الخصائص قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(نصب المنصب أوهى جسدي * وعناءى من مداراة السفل)

النصب بفتح النون والصاد المهملة التعب والاعياء والمنصب بفتح الميم وكسر الصاد وزان مسجد العلو والرفعة وقوله أوهى جسدي أي اضعفه فهو يتعدى بالهمزة كما هنا وقوله وعناءى بفتح العين والمد أي تعبي وارتكابي ما يشق علي وقوله من مداراة أي ملاطفة وملاينة السفل أي الاراذل وهذا التقرير كله مستفاد من المصباح فقوله نصب مبتدا وجملة أوهى جسدي خبره وقوله وعناءى مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده او خبره محذوف لدلالة ما قبله عليه أي أوهى جسدي أيضا وفي بعض النسخ جلدي أي تجلدي وتصبري (تتمة) سئل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما عن السفلة فقال هم الذين ليس لهم فعل موصوف ولا نسب معروف ولذلك قال بعضهم شهادات الافعال أصدق من شهادات الرجال وقال الاصمعي السفل هم الذين لا يبالون مما قالوا أو قيل فيهم وقال يحيي بن أكتم هم الذين لا يعيبهم ما صنعوا وسمع الاحنف رجلا يقول لا أبالي مدحت أو ذممت فقال يا هذا استرحت من حيث تعب الكرام وقال بعضهم هم الذين يكافؤن على الفعل الحسن بالقبيح كما حكي ان رجلا يقال له همام بن مرة أخذ شخصا يقال له ناشرة من أمه لما مات أبوه وضاقت بتربيته ذرعا فرباه همام وأحسن اليه فلما بلغ ناشرة الحلم اتى شيأ قبيحا فنهاه عنه فتركه حتى نام واغتاله أي قتله فصار مثلا في العرب تقول أغدر من ناشرة (وحكي)

انه أغار مالك بن خيثمة الجعفى على بنى القين فاستاق منهم ابلا فاطلقوا خلفه الاعنة ليطلقوها منه فلم يقدروا عليه ولا وصلوا اليه ثم انه فكر يدا كانت لبعضهم عنده فخلى ما كان فى يده وولى منصرفا فنادوه وقالوا ان امامك مفازة ولا ماء معك وقد فعلت جميلا فانزل ولك الزمام والحباء فنزل فلما اطمأن وسكن أخذته سنة فنام فوثبوا عليه وقتلوه غدرا فهذا شأن الاسافل (وقد ورد) فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الاولين والآخرين رفع لكل غادر لواء وقيل هذه غدرة فلان وقيل ان عيسى عليه السلام مر بانسان يطارد حية وهى تقول له والله لئن لم تذهب عنى لانفخن عليك نفخة أقطعك بها قطعا فمضى عيسى وعاد فوجد الحية فى يد الرجل محبوسة فقال لها ويحك أين ما كنت تقولين قالت يا روح الله انه حلف لى وغدر وان سم غدره أقتل له من سمى وقال على كرم الله وجهه الوفاء بأهل الغدر غدر والغدر بأهل الغدر وفاء وقالوا الغدر يصلح فى كثير من المواطن ولا غدر لغادر ولا خائن قاله فى غرر الخصائص قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(قصر الآمال فى الدنيا تفز ✻ فدليل العقل تقصير الامل)

أى قصر آمالك فى طلب الدنيا فانك ان فعلت ذلك فزت أى ظفرت بكل خير واستدلينا على كمال عقلك لان تقصير الامل دليل على كمال العقل فسبيل العاقل تقصير آماله فى الدنيا والتقرب الى الله سبحانه وتعالى بصالح الاعمال ولهذا قال بعضهم قصر الامل سبب للزهد لان من قصر أمله زهد ويتولد من طول الامل الكسل عن الطاعة والتسويف بالتوبة والرغبة فى الدنيا والنسيان للآخرة والقسوة فى القلب وقيل من قصر أمله قل همه وتنور قلبه لانه اذا استحضر الموت اجتهد فى الطاعة

ورضى بالقليل وقال ابن الجوزى الامل مذموم الا للعلماء فلولا أملهم
لما ألفوا ولا صنفوا وفى الامل سر لطيف لانه لولا الامل لما تهنى أحد
بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع فى عمل من أعمال الدنيا قال صلى
الله عليه وسلم نما الامل رحمة من الله لامتى ولولا الامل ما أرضعت
أم ولدها ولا غرس غارس شجرا رواه الخطيب عن أنس رضى الله عنه
والمذموم من الامل الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لامر الآخرة
فمن سلم من ذلك لم يكلف بازالته وورد فى ذم الاسترسال فى الامل
حديث أنس رفعه أربعة من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وطول
الامل والحرص على الدنيا رواه البزار قاله فى فتح البارى وقال فى تنبيه
الغافلين روى عن قتادة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال يهرم من ابن آدم كل شىء الا اثنتان الحرص والامل وروى عن
على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال أخوف ما أخاف عليكم اثنتان
طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع
الهوى يصد عن الحق وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال
صلاح أول هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالبخل وطول
الامل انتهى واعلم أن السبب فى تقصير الامل وعدم الاسترسال فيه
هو تذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة قال صلى الله
عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكر فى قليل الا كثره
ولا فى كثير الا قلله أى ما ذكر فى قليل من العمل الصالح الا كثر ثوابه ولا
فى كثير من الامل الا قلله وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال أتيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار يا رسول الله
من أكيس الناس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا
أولئك الاكياس ويروى ان امرأة شكت الى عائشة رضى الله عنها

قساوة في قلبها فقالت لها أكثري من ذكر الموت ففعلت ذلك فرق قلبها وقال عبد الله بن عقبة عدت رجلا مريضا فلما قعدت عنده قلت كيف تجدك فأنشد يقول

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي * غداة أقل الحاملون جنازتي
وعجل أهلي حفر قبري وسيروا * خروجي وتعجيلي اليه كرامتي
كأنهم لم يعرفوا قط صورتي * غداة أتى يومي علي وساعتي

وقال ثابت البناني رحمه الله دخلت المقابر لازور القبور وأعتبر بالموتى وأتفكر في البعث والنشور وأعظ نفسي لعلها ترجع عن الغي والغرور فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون وفرادى لا يتزاورون فأيست من مقالهم واعتبرت بأحوالهم فلما أردت الخروج اذا بصوت من يقول لي يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم فيها من نفس معذبة أو منعمة وروى ان بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه فوقف عند رأسه وأنشد يقول

مالي مررت على القبور مسلما * قبر الحبيب فلم يرد جوابي
أحبيب مالك لا تجيب مناديا * أمللت بعدي خلة الاصحاب

قال فهتف بي هاتف من جانب القبر يقول

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم * وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسني فنسيتكم * وحجبت عن أهلي وعن أصحابي
وتمزقت تلك الجلود صفائحا * يا طال ما لبست رفيع ثيابي
وتساقطت تلك الانامل من يدي * ما كان أحسنهم لخط كتابي
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا * ما كان أحسنهم لرد جوابي

وقيل مر داود الطائي بامرأة تبكي عند قبر وهي تنشد وتقول

عدمت الحياة فلا نلتها * اذا أنت في القبر قد أوسدوكا

وكيف ألذ بطعم الكرا * وها أنت فى القبر قد أفردوكا

ثم قالت يا ابناه بأى خديك بدأ الدود أولا فخر داود مغشيا عليه من كلامها

وقال مالك بن دينار أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار والتفكر فى الموت والاعتبار فتمنيت من يخبرنى عنهم خبرا ويقص لى من آثارهم أثرا فقلت شعرا

أتيت القبور فناديتها * فأين المعظم والمحتقر

وأين المذل بسلطانه * وأين العزيز اذا ما افتخر

قال فنوديت من بين القبور

تفانوا جميعا فلا مخبر * وماتوا جميعا وأضحوا عبر

وساروا الى ملك عادل * عزيز مطاع اذا ما أمر

فيا سائلى عن أناس مضوا * أما لك فيما مضى معتبر

قال مالك فرجعت ابكى بالدموع الغزار واعتبرت بذلك أى اعتبار

وقال الاصمعى كنت كثير التفكر فى القبور وأتسلى بقراءة الكتابة التى عليها فرأيت قبورا على صف وعليهم لوح مكتوب عليه هذين البيتين

الا قل لماش على قبرنا * غفولا بأشياء حلت بنا

سيندم يوما لتفريطه * كما قد ندمنا لتفريطنا

وما أحسن ما قاله بعضهم

الموت لابد منه فاستعد له * ان اللبيب بذكر الموت مشغول

فكيف يلهو بعيش أو يلذ به * من التراب على خديه مجعول

وفى هذا اقرب من قول الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ان من يطلبه الموت على * غرة منه جدير بالوجل)

الغرة بكسر الغين المعجمة الغفلة وبضمها تطلق على أول الشهر وغيره

وتطلق

وتطلق على الواجب فى الجناية على الجنين وتطلق على البياض الذى
فى الجبهة اذا كان فوق الدرهم ومنه الغرة فى الوضوء أفاده فى المصباح
وفيه أيضا وهو جدير بكذا بمعنى خليق وحقيق انتهى وفيه أيضا وجل
وجلا فهو وجل والانثى وجلة من باب تعب اذا خاف انتهى وهذا البيت
كالتعليل للبيت الذى قبله أى انما أمرتك بتقصير الامل فى الدنيا لانك
منقول من هذه الدار قطعا ولا تدرى أين يكون الانتقال فالالائق بك
الاستعداد للرحيل وعدم الركون الى الدنيا قال بعضهم من علم أن
الموت نازل به وتيقن انه فى عسكر الموت استعد له من الاعمال الصالحة
مايدفع عنه بعض شدته فانه لايدرى متى هو نازل به وقد بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم شدة الموت لامته لكى يستعدوا اليه
ويصبروا على شدائد الدنيا التى هى أيسر وأخف من معالجة الموت
جعلنا الله واياكم ممن خافه وعمل له امين وروى عن جابر بن عبد الله
الانصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحدثوا عن بنى
اسرائيل ولا حرج فانه قد كانت فيهم الاعاجيب ثم أنشأ يحدث فقال
خرجت طائفة من بنى اسرائيل حتى أتوا مقبرة فقالوا لو صلينا ثم دعونا
حتى يخرج لنا بعض الموتى فيخبرنا عن الموت فصلوا ثم دعوا ربهم
فبينما هم كذلك واذا برجل يخرج عليهم من قبره برأسه فقال يا هؤلاء
ما أردتم فوالله لقد مت منذ سبعين سنة وان مرارة الموت ماذهبت
منى الى الآن وكان بين عينيه أثر السجود وعن الحسن أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال شدة الموت وكربه على المؤمن أشد من
ثلاثمائة ضربة بالسيف وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للاسلام فقال اذا دخل النور فى القلب انفتح وانشرح قيل وهل لذلك

من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكعب الاحبار حدثنى عن الموت فقال كأنه غصن شوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم جذبها رجل شديد الجذب جذبة شديدة فقطع منها ماقطع وأبقى ما أبقى وقال النبى صلى الله عليه وسلم لو علمت البهائم ماتعلمون من الموت ماأكلتم منها لحما سمينا أبدا وذكر أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى باذن الله فقال له بعض الكفرة انك تحيى جديد العهد بالموت ولعلهم لم يكن ميتا فأحى لنا من مات فى الزمن الاول فقال لهم اختاروا من شئتم فقالوا أحى لنا سام بن نوح فجاء الى قبره وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيى الله تعالى سام ابن نوح فاذا برأسه ولحيته قد ابيضا فقال له ماهذا الشيب ان الشيب لم يكن فى زمانك فقال سمعت النداء فظننت أنها القيامة فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة فقال له منذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة فماذهبت عنى سكرات الموت وروى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال مامن نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها فان كان برا فقد قال الله تبارك وتعالى وماعند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال الله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وروى عن عبدالله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى المؤمن أفضل قال أحسنهم خلقا قيل أى المؤمن أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا وقال النبى صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله عز وجل الامانى يعنى المغفرة قاله فى تنبيه الغافلين ولله در الملاح حيث قال فى تخميسه

اتق الله وقصر أملا * وأرض من رزق بهما حصلا
ليس فى الدنيا خلود للالا * ان من يطلبه الموت على
غرة منه جدير بالوجل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(غب وزر غبا تزد حبا فمن * أكثر الترداد أضناه الملل)

أمر الناظم رحمه الله تعالى بالغيبة عن الناس فقوله غب بكسر الغين المعجمة أى اعتزل الناس ولا تخالطهم ثم أمر بالزيارة لهم بقوله وزر غبا بكسر الغين المعجمة أى يوما بعد يوم هذا هو المراد بزيارة الغب ولكن المراد هنا أن لا تغيب زمنا طويلا بين الزيارتين ثم علل الامر بزيارة الغب بقوله فمن يكثر الترداد على الناس أضناه الملل أى أمرضه مرضا ملازما والملل السآمة والضجر وهذا البيت مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزد حبا وهذا يختلف باختلاف الناس فبعضهم تسن زيارته كل يوم بأن علمت انك اذا غبت عنه يوما يشق عليه ذلك وبعضهم يوما بعد يوم وبعضهم بعد أسبوع الى غير ذلك فتستحب زيارة الاخوان والعلماء والصلحاء على حسب ما يقتضيه الحال لان ذلك مما يورث المحبة فى القلوب مع حصول الثواب الجزيل ففى الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم أى عبد زار أخا فى الله تعالى الا نودى أن طبت وطابت لك الجنة انتهى وقال فى غرر الخصائص ما نصه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زار أخا نادى مناد أن طبت وطاب ممشاك تبوأت من الجنة منزلا ولقد أحسن من قال امش ميلا وعد مريضا وامش ميلين وأصلح بين اثنين وامش ثلاثة أميال وزر أخا فى الله وقال بعضهم الافراط فى الزيارة ممل والتفريط فيها مخل وقالوا ربما كان التقالى أى التباغض فى كثرة التلاقى وقالوا اقلة الزيارة امان

وخذ بحد السيف واترك غمده * فالنصر مقرون الرجاء بحده

وهذا محمول على ما اذا كان العدو صائلا على نفسك أو بضعك أو مالك فترده بالاخف فالاخف فاذا لم يمكن رده الا بالسيف خذه بحده دون غمده ولا اثم عليك لا في الدنيا ولا في الآخرة ويحتمل أن يراد به الكافر الحربي فيكون في كلامه ترغيب في الجهاد والغزو الذي هو فرض كفاية على المسلمين فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فقال عبد الله أصلي الجمعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ألحق بأصحابي وقد غدا أصحابه فلما صلى رآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن رواحة مالك لم تغد مع أصحابك فقال أحببت أن أصلي معك الجمعة ثم ألحق بأصحابي فقال له لو أنفقت ما في الارض جميعا ما أدركت فضل غزوتهم وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لغدوة وروحة في سبيل الله أفضل من الأرض وما عليها ولموقف الرجل في الصف الاول أفضل من عبادة ستين سنة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل عين باكية يوم القيامة الا ثلاثة عين بكت من خشية الله وعين غضت عن محارم الله وعين حرست في سبيل الله وروي عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال السيوف مفاتيح الجنة قال واذا التقى الصفان في سبيل الله تزينت الحور العين فاطلعت فاذا أقبل الرجل قلن اللهم انصره اللهم ثبته اللهم أعنه فاذا أدبر احتجبن عنه وقلن اللهم اغفر له فاذا قتل غفر الله له بكل قطرة تخرج من دمه كل ذنب هو عليه وتنزل عليه اثنتان من الحور العين تمسحان الغبار عنه

(وحكى) أن رجلا حبشيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كما ترانى ذميم الوجه منتن الريح غير زكى الحسب فاين أنا ان قاتلت حتى أقتل قال أنت فى الجنة فأسلم ثم اقتحم القتال فاقتتلوا فلما تحاجز القوم قال النبى صلى الله عليه وسلم تفقدوا اخوانكم ففعلوا فقالوا يا رسول الله ذاك الحبشى قتل فى وادى كذا فقام النبى صلى الله عليه وسلم معهم فلما أشرف عليه قال اليوم حسن الله وجهك وطيب ريحك وزكى حسبك وأعرض عنه فقالوا رأيناك أعرضت عنه فقال والذى نفسى بيده لقد رأيت أزواجه من الحور العين ابتدرنه حتى بدت خلاخيلهن وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فقال أرواحهم فى حواصل طير خضر تسرح فى أشجار الجنة تأكل من أيها شاءت ثم تأوى الى قناديل معلقة تحت العرش وعن عوف بن مالك الاشجعى من أراد أن يكون غازيا حقا مجاهدا فى سبيل الله بالسنة فليحافظ على خصال عشرة أولها أن لا يخرج الا برضى الوالدين وثانيها أن يؤدى أمانة الله التى فى عنقه من الصلاة والزكاة والحج والكفارات ثم يؤدى أمانات الناس التى فى عنقه من المظالم والغيبة وقول الزور وثالثها أن يدفع الى أهله ما يكفيهم قدر اقامته ورابعها أن تكون نفقته من كسب حلال فان الله تعالى لا يقبل الا طيبا وخامسها أن يسمع ويطيع أميره ولو كان عبدا حبشيا بعد ما كان أميرا عليه وسادسها أن يؤدى حق رفيقه ويتبسم فى وجهه كلما لقيه ويمرضه اذا مرض ويقوم فى حوائجه وسابعها أن لا يؤذى فى طريقه مسلما ولا معاهدا وثامنها أن لا يفر من الزحف وتاسعها أن لا يغل من الغنيمة شيأ قبل القسمة فانه تعالى قال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة وعاشرها أن يريد بالغزو نصرة

المؤمنين قاله فى تنبيه الغافلين وقوله واعتبر فضل الفتى دون الحلل أى
خذ العلم عن من يؤخذ عنه من أهله كائنا ما كان سواء كان فقيرا
أو غنيا أو مالكا أو مملوكا ولا تحتقر الفاضل اذا كان فقيرا لان شأن
العلماء العاملين قلة الدنيا فى أيديهم وكذلك اذا قام به فقر أخروى
كتقصيره فى الاعمال الصالحات وارتكابه بعض المنهيات لان ضرر
ذلك عليه لا على غيره كما قال تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء
فعليها وقوله دون الحلل بضم الحاء المهملة جمع حلة قال فى المصباح والحلة
بالضم لا تكون الا من ثوبين من جنس واحد والجمع حلل مثل غرفة
وغرف انتهى أى لا تنظر الى الحلل أى الملابس الفاخرة على شخص
جاهل لان هذا افتخار دنيوى لا طائل تحته قال فى غرر الخصائص
نظر معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما الى ابن أوس العذرى
الخطيب وازدراه فتبين لابن أوس ذلك فى وجهه فقال يا أمير المؤمنين
ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها وكمال الرجل أدبه لا ثيابه
ثم أنشد

انى وان كنت أثوابى ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان فى المجد هماتى وفى لغتى * فصاحة ولسانى غير لحان

وأراد بعض الاعراب مخاطبة انسان فازدراه الرجل لخسة حاله وأبى
ان يكلمه فقال ما لكم يا عبيد الثياب وأشباه الكلاب حقرتم فى
لاطمارى ولم تسألوا عن مكنون أخبارى ثم أنشد وقال

المرء يعجبنى وما كلمته * ويقال لى هذا اللبيب الالمعى
فاذا قدحت زناده ووريته * بالنقد زاف كما يزيف الدرهم

ودخل كثير بن عبد الرحمن على عبد الملك بن مروان فى أول خلافته
فاقتحمته عينه فقال كثير يا أمير المؤمنين كل عند نفسه واسع الفنا

شامخ

شامخ البناء عالى الثناء ثم أنشد وقال

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه * فيخلف ظنك الرجل الطرير
فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم كرم وخير

فتعجب منه عبد الملك وأمر له بصلة حسنة وكان كثير هذا قصيرا جدا لا يبلغ طوله ضروع الابل لقصره وكان اذا دخل باب عبد الملك يقول له حين يراه طأطئ راسك لئلا يصيبه السقف تهكما به قال عبد الملك ابن عمير قدم علينا الاحنف بن قيس الكوفة أصلع الرأس متراكب الاسنان مائل الذقن ناتئ الجبهة جاحظ العينين خفيف العارضين ولكنه كان اذا تكلم جلى عن نفسه سائر العيوب ونظر عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتف بعباءة فترك عمر القوم واستنطقه فتكلم بكلامه البليغ المصيب فلم يزل عنده فى عليا الى أن قلده من الرياسة ما كان له ثابتا الى أن فارق الدنيا انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(لا يضر الفضل اقلال كما * لا يضر الشمس اطباق الطفل)

هذا البيت فى قوة التعليل لقوله واعتبر فضل الفتى دون الحلل أى لا يضر أهل الفضل والعلم الاقلال والفقر كما أن اطباق الطفل وكثرته لا يضر الشمس فقوله كما لا يضر الشمس اطباق الطفل تنظير وتوضيح لما ذكره من ان الفقر والاقلال لا يضر أهل العلم والفضل فانه ما دامت الشمس موجودة فالنهار موجود والطفل بالطاء المهملة آخر النهار وقد سمت العرب ساعات النهار بأسماء فأولها البكور من طلوع الفجر الى الشمس ثم الشروق ثم الراد ثم الضحى ثم الظهر ثم الزوال ثم الاصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب قاله فى شرح لامية الطغرائى عند قوله

مجدى أخيرا * ومجدى أولا شرع
والشمس راد الضحى كالشمس فى الطفل وما أحسن الملاح فى تخميسه
انما المرء بعلم علما * ليس بالاموال يحوى عظما
وكذا الفضل كرزق قسما * لا يضر الفضل اقلال كما
لا يضر الشمس اطباق الطفل

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(حبك الاوطان عجز ظاهر * فاغترب تلق عن الاهل بدل)

أى تعلقك بالاوطان جمع وطن وهو مكان الانسان ومقره عجز ظاهر لكل أحد فاغترب أى سافر عن وطنك ودارك تلق أى تجد بدلا عن أهلك لان الله سبحانه وتعالى لا يزال فى عون عبده سواء كان مقيما أو مسافرا ووقف الناظم على لفظ بدل بالسكون على لغة ربيعة والا فهو مفعول تلق وفى هذا البيت اشارة الى انه تجب الرحلة أو تستحب فى طلب العلوم والفوائد فمن لم يجد معلما يعلمه فى بلده ما يحتاج اليه من امور دينه ومعاشه فليرحل وجوبا فى الواجب وندبا فى المندوب فقد رحل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام للاستفادة من الخضر عليه السلام ورحل جابر بن عبد الله الانصارى مسيرة شهر الى عبد الله ابن أنس فى حديث واحد ورحل عقبة بن الحارث من مكة الى المدينة فى مسألة واحدة واعلم أنه يحصل للانسان فى غربته فوائد عظيمة كما قيل

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا * وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة * وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل ان حروف الغربة مجموعة من أسماء دالة على الهلاك أو ما يؤل اليه فالغين من غرور وغم وغلبة وغرة والراء من روع وردى أى هلاك

والباء من بلوى و بؤس و بوار وهو الهلاك والهاء من هوان وهول وهم وهلاك أجيب بأن محل ذلك اذا كانت الغربة فى غير طلب المعالى والفوائد وأما اذا كانت لذلك فهى أفضل من الاقامة فى بلده وعلى هذا يحمل كلام الناظم رحمه الله تعالى ولله در القائل

كثرة المكث فى المنازل ذل * فالسعيد الشهيد من يتغرب
فاز عبد رقى العلا وكفاه * بالتقى والجميل صب تغرب

وفى كلام الناظم رحمه الله تعالى حث على طلب الرفعة وتصريح بأنها لا تحصل الا بالجد والاجتهاد ومفارقة مواطن الذل والهوان فان الذل فى الاقامة والعز فى الارتحال ولبعضهم

ولا يقيم بدار الذل يألفها * الا الأذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

وقوله عير بفتح العين المهملة الحمار والوتد بكسر التاء واحد الاوتاد والخسف بخاء معجمة وسين مهملة القهر والرمة بضم الراء الحبل البالى ويرثى بكسر المثلثة أى يرق انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(فمكث الماء يبقى آسنا * وسرى البدر به البدر اكتمل)

أشار الناظم رحمه الله تعالى الى ذكر مثالين فى غاية الحسن يوضح بهما ما ذكره من الامر بالغربة ومفارقة الاوطان أحدهما ان الماء الصافى من الاكدار اذا استقر فى محل واحد من غير ورود ماء آخر عليه يصير آسنا أى متغيرا منتنا قال فى المصباح أسن الماء أسونا من باب قعد تغير فلم يشرب فهو آسن على وزن فاعل وأسن أسنا فهو أسن مثل تعب تعبا فهو تعب لغة انتهى ثانيهما انه لولا غربة القمر وانتقاله من منزلته لم يحصل له ذلك الكمال والشرف والنور والبدر القمر ليلة كماله ولكن

مراد الناظم الهلال ولله در الحسين بن على الطغرائى حيث قال

ان العلا حدثتنى وهى صادقة * فيما تحدث ان العز فى النقل
لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

والمعنى أن التجارب أفادتنى علما صادقا ان العز فى النقل ثم أقام دليلا على ذلك بقوله لو أن فى شرف المأوى البيت أى لو أن فى الاقامة فى المكان ولو كان شريفا بلوغ ما يتمناه الانسان لم تزل الشمس مقيمة فى أشرف بروجها ولبعضهم

قالوا نراك كثير السير مجتهدا * فى الارض تنزلها طورا وترتحل
فقلت لو لم يكن فى السير فائدة * ما كانت السبع فى الابراج تنتقل

ولآخر

أقول لجارتى والدمع جارى * ولى عزم الرحيل الى الديار
ذرينى أن أسير ولا تنوحى * فان الشهب أشرفها السوارى

وللصفدى رحمه الله تعالى

سافر تجد رتب المفاخر والعلا * كالدر سار فصار فى التيجان
وكذا هلال الافق لو ترك السرى * ما فارقته معرة النقصان

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أيها العائب قولى عابثا * ان طيب الورد مؤذ بالجعل)

أشار الناظم رحمه الله تعالى فى هذا البيت والابيات السبعة الذين بعده الى دفع الاشخاص المعرضين عن نظمه العائبين له حسدا او بغضا وعنادا أى أيها العائب قولى لا تعبه لانه لا طريق لك الى عيبه وانما عبته أنت لان رائحته طيبة جدا بمعنى أنها نافعة فى الدين لمن سمعها سماع قبول واتعاظ فهى أزكى من رائحة الورد وأنت أيها العائب بمنزلة الجعل فى كونك اذا سمعت بالمواعظ أعرضت عنها وتأذيت من

سماعها

ممالمها كان الجعل اذا شم رائحة الورد تأذى كثيرا ورمما هلك لوقته والجعل بضم الجيم وفتح العين المهملة الحرباء وجمعه جعلان مثل صرد وصردان انتهى والحرباء بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين بعدهما موحدة قال فى المصباح أيضا الحرباء ممدود ويقال هى ذكر ام حبين انتهى وأم حبين بالحاء المهملة بعدها باء موحدة بالتصغير قال فى المصباح ايضا أم حبين بلفظ التصغير ضرب من العظاء منتنة الريح قيل سميت أم حبين لعظم بطنها أخذا من الاحبن وهو الذى به استسقاء قال الازهرى أم حبين من حشرات الارض تشبه الضب انتهى وقوله ضرب من العظاء بكسر العين المهملة وبالظاء المشالة ممدودا قال فى المصباح أيضا لعظاءة بالمد لغة أهل العالية على خلقة سام أبرص وهو كالوزغ والعظاية لغة تميم وجمع الاولى عظاء والثانية عظايات انتهى وقال شيخنا فى حاشيته على الهمزية والحرباء بالمد حيوان على قدر القطاة أو قريب منها ومن شأنها أنها تستقبل الشمس وتدور معها كيف دارت فهى تطلب الشمس أبدا فحين تبدو تصرف بوجهها اليها حتى اذا استوت الشمس ارتفعت على أعلى الشجرة ونحوها فاذا صار قرص الشمس فوق رأسها بحيث لا تراها أصابها مثل الجنون الى أن تميل الى جهة الغرب فترجع بوجهها اليها مستقبلة لها ولا تصرف عنها الى أن تغيب فاذا غابت الشمس طلبت معاشها فى الليل كله الى الصباح وهذا الحيوان يشبه رأس العجل له أربعة أرجل كسام أبرص وسنام كسنام البعير وتتلون بالالوان العجيبة المختلفة قال بعضهم وهذا الطائر الذى هو الحرباء موجود فى بلاد الشام كثيرا وذكر من رآها أنها اذا وقع عليها ثوب ابيض صار لونها أبيض أو أصفر صار لونها اصفر ومثله وانها اذا رأت ذبابة على الارض وهى على الشجرة التقطها بلسانها

لطول لسانها انتهى قال الامام القزوينى فى عجائب المخلوقات لما كان الحرباء خلقا بطىء النهضة وكان لا بد له من القوت خلقه الله على صورة عجيبة فخلق عينيه تدور الى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى بدنه ويبقى كأنه جامد ليس من الحيوانات ثم أعطى مع السكون خاصية أخرى وهو انه يتشكل بلون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها ثم اذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه ويخطفه بسرعة كلحوق البرق ثم يعود الى حالته كأنه جزء من الشجرة وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق به ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها واذا رأى ما يخاف منه تشكل بشكل يخاف منه كل ما يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك التلون ويتلون الى حمرة وخضرة وصفرة وما شاءت وهو ذكر وتجمع الحرابى والانثى حربانة انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(عد عن أسهم لفظى واستتر * لا يصيبنك سهم من ثعل)

عد بضم العين وسكون الدال أمر من العود أى الرجوع وحرك بالفتح لاجل النظم أى ارجع عن أسهم لفظى واستتر منها لانها سهام مصيبة لا تخطىء أبدا كسهام بنى ثعل بضم المثلثة وفتح العين المهملة بطن من طيىء مشهورون بجودة الرمى وقد أكثر الشعراء من نسبة الرمى الى بنى ثعل قال الطغرائى فى لاميته

انى أريد طروق الحى من اضم * وقد حماه رماة من بنى ثعل

ولبعضهم

وحى من كنانة قدرمونى * بما حوت الكنانة من سهامى

اذا انتضلوا وما نعل أبوهم * رموك بكل رامية ورامى

كنانة الاولى القبيلة المشهورة والثانية وعاء السهام وانتضلوا بالضاد

المعجمة تراء واولابن الساعاتى رحمه الله تعالى

وأصبح الظبى اذا الظبى رنا * مخجل البدر اذا البدر كمل
فارسى فاذا خاف سطا * نظره لاذ بطرف من ثعل

وهذا البيت كالتأكيد للبيت الذى قبله لانه لما قال أيها العائب قولى عابثا ان الخ أمره فى هذا البيت بالعود والرجوع عن التعييب بنظمه لانه من قبيل الغيبة المحرمة وهى سهام معنوية مهلكة لصاحبها اهلاكا أكثر من اهلاك سهام بنى ثعل الحسية وقد تقدم الكلام على التحذير عن الغيبة والنميمة عند قول الناظم مل عن النمام واهجره البيت قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(لا يغرنك لين من فتى * ان للحيات لينا يعتزل)

أى لا يخدعنك لين أى سهولة من فتى أى شاب قوى والمراد به هنا أى شخص كان فشمل الناظم رحمه الله تعالى وشمل غيره ثم علل ذلك بقوله ان للحيات جمع حية لينا يعتزل أى يتنحى عنه ويتباعد منه فقد شبه الناظم رحمه الله تعالى فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده نفسه بأشياء لينة فى نفسها قاتلة بطبعها فالناظم رحمه الله تعالى وان كان لينا فى ذاته هينا فله سطوة تخشى وحركة تدل على قوة بأسه وحذر رحمه الله تعالى من تلك السطوة فقال لا تغتر بلينى فتجترى على بسبب ذلك فان لينى اذا أغضبتنى يصير كلين الحية ومن المعلوم أنها وان كانت لينة فى نفسها فلها سم قاتل فى وقته وساعته انتهى قال فى غرر الخصائص ما نصه قال بعضهم ان كان فى مخالطة الناس خير فان تركهم أسلم وقال بعض الرهبان لرجل ان استطعت أن يكون بينك وبين الناس سور من حديد فافعل وان كان فى الجماعة الانس فان فى العزلة السلامة وقيل لبعضهم ما تجد فى الخلوة قال الراحة من

مدارة الناس والسلامة من شرهم ويقال العزلة عن الناس تبقى الجلالة تستر الفاقة وتدفع مؤنة المكافأة في الحقوق وقال بعض الزهاد لوأن الدنيا ملئت سباعا وحيات ماخفتها ولو بقي واحد من الناس لخفته وقالوا استعذ من شرار الناس وكن من خيارهم على حذر وقال أبو الدرداء كان الناس ورقا لاشوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال سليمان الناس أربعة أقسام أسود وذئاب وثعالب وضأن فالاسود الملوك والذئاب التجار والثعالب القراء المخادعون والضأن المؤمن ينهشه كل من يراه وقال جعفر الصادق لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر انتهى ولله در القائل

اياك ان تصطفي ممن ترى احدا * ولا تثق بامرء في حالة أبدا

ولابن الرومي رحمه الله تعالى

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

وقال بعضهم

وزهدني في الناس معرفتي بهم * وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا تسرني * مباديه الا ساءني في العواقب
وما كنت أرجوه لدفع ملمة * ولكنه قد كان احدى النوائب

وقال آخر

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن اين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على أجسادهن ثياب

قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أنا مثل الماء سهل سائغ * ومتى سخن آذى وقتل)

أى أنا مثل الماء الكثير فى كونى لا أتغير بقول الحاسدين والاعداء العائبين لنذمى كما أن الماء الطهور لا يتغير بالجيف الواقعة فيه بل هو يستمر على الطهورية كما هو منصوص فى الفروع وفى كونى سهل الاخلاق سائغ المذاق لكن اذا آذانى شخص وتغيرت عليه وتوسلت الى الله فى أخذ حقى منه أخذه الله عاجلا من حسن ظنى فى ربى سبحانه وتعالى كما أن الماء وان كان عذبا فراتا وشرابه سائغ لكنه اذا سخن بالنار وخرج عن الحد والاعتدال آذى وقتل فى الحال كما هو محسوس وفى هذا البيت الاشارة الى أن الناظم رحمه الله تعالى كان من أولياء الله تعالى الذين يغار عليهم كما فى الحديث الصحيح أن الله تعالى قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب أى من عاداه من أجل كونه وليا لله تعالى والا فقد جرى بين الصديق والفاروق وبين العباس وعلى وكثير من الصحابة ما جرى والكل أولياء الله عليهم الرضوان وقوله فقد آذنته بالحرب بمد الهمزة أى أعلمته بأنى محارب له أى أعمل به معاملة المحارب من التجلى عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام والا فالعبد لا يتصور منه محاربة لربه لانه فى أسر خالقه انتهى فاذا توجه الولى الى ربه فى شئ أجابه ونصره كما قال فى آخر الحديث ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه فان قلت ان جماعة من العباد والصلحاء دعوا بالغوافل لم يجابوا فالجواب أن الاجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يتأخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب اذا كان أصلح انتهى ثم قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(أنا كالخيزور صعب كسره * وهو لين كيف ما شئت انفتل)

أى أنا كخشب الخيزران فى كونى لينا ومع ذلك صعب الكسر فلا يقدر

أحمد على أذيتي لتوكلي على ربي سبحانه وتعالى وقوتي وشدتي به تعالى كما ان الخيزران وان كان لينا في نفسه صعب في كسره فلابد من الاستعانة عليه بالقدوم ونحوه كما هو محسوس قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولاشك ان الشيخ عمر بن الوردي صاحب المنظومة كان من المتوكلين على الله تعالى ومن العلماء العاملين كما تقدم الكلام عليه في أول الشرح مبسوطا فنفعنا الله تعالى به وجعلنا من أتباعه آمين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(غير اني في زمان من يكن * فيه ذا مال هو المولى الاجل)

(واجب عند الورى اكرامه * وقليل المال فيهم يستقل)

لما ذكر رحمه الله تعالى ان كلامه له رائحة زكية كرائحة الورد بل أعلى لما اشتمل عليه من المواعظ الجليلة والتحقيق والتدقيق وأراد رحمه الله تعالى نشره بين الخلائق لاجل أن يزداد ثوابه بكثرة اتباعه الآخذين عنه استثنى واخبر أنه في زمان لم يكن قابلا لما يريده من نشر العلم واظهار الفضائل بل هو في زمان أقبلت أهله على الدنيا واعرضت عن الآخرة وتقدمت فيه أصحاب الاموال ولو كانوا جهلة على أهل العلم والفضل فصاحب المال عندهم عزيز مكرم مقبول القول وأما قليل المال فهو الحقير المستقل الذليل المهان الذي لا تسمع له كلمة ولله در القائل

ان الغني اذا تكلم بالخطا * قالوا أصبت وصدقوا ما قالا

واذا الفقير أصاب قالوا كلهم * أخطأت يا هذا وقلت ضلالا

ان الدراهم في الاماكن كلها * تكسوا الرجال مهابة وجلالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة * وهي السلاح لمن أراد قتالا

وقالوا

وقالوا اذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأمنه وساء به الظن من كان يحسنه واذا أذنب غيره ينسب اليه ومن كان له صار عليه ولله در القائل

يغدو الفقير وكل شيء ضده * والارض تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتا وليس بمذنب * ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * أصغت اليه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا عاريا * نبحت عليه وكشرت أنيابها

وقال عبد الملك بن صالح رب حسب دفنه الفقر ولله در القائل

الفقر يزري بأقوام ذوي حسب * وقد يسود غير السيد المال

وقالوا الفقر يخرس لسان الفطن عن حجته ويجعله غريبا في بلدته وما أحسن ما قاله بعضهم

ولا رفع النفس الدنية كالغنى * ولا وضع النفس الشريفة كالفقر

قاله في غرر الخصائص وكلام الناظم رحمه الله تعالى بالنسبة لما كان في زمانه وهو آخر القرن السابع وأول الثامن وكان في الحقيقة زمان الخير والفضل والسيادة فضلا وكان فيه محدثون وفقهاء وأصوليون ومتكلمون ونحوهم من علماء الاسلام فما بالك بزماننا هذا الذي تقدمت فيه الجهلاء على الفضلاء والاشرار على الاخيار وانقرضت فيه العلماء واشتبه فيه الامر وصار القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وحظي فيه القواد والمتمسخرون كما قال الشاعر

قد رمينا من الزمان بسهم * قدم النذل والكريم تأخر
مات من عاش بالفضيلة جوعا * وحظي من يقود أو يتمسخر

فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون وفي الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم انكم في زمان من ترك منكم

عشر ما أمر به هلك ثم يأتى زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا رواه الترمذى عن أبى هريرة قال المناوى انكم أيها الصحب فى زمان بالامن وعز الاسلام من ترك منكم فيه عشر ما أمر به من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هلك أى وقع فى الهلاك لان الدين عزيز وفى انصاره كثرة فالترك تقصير بلا عذر ثم يأتى زمان يضعف فيه الاسلام ويكثر فيه الظلم ويعم فيه الفسق وتقل انصار الدين وحينئذ من عمل منهم أى من أهل ذلك الزمن بعشر ما أمر به نجا لانه المقدور ولا يكلف الله نفسا الا وسعها انتهى قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(كل أهل العصر غمر وأنا * منهم فاترك تفاصيل الجمل)

أى جميع أهل العصر أى الدهر المعهود وهو عصره رضى الله عنه فما بالك بعصرنا غمر بضم الغين المعجمة أى لم يجرب الامور وأصله الصبى الذى لا عقل له ثم أطلق على كل من لا خير فيه ولا عقل له ولا رأى ولا عمل صالح ثم انه رحمه الله نص على نفسه بأنه غمر بقوله وأنا منهم بعد دخوله فى القضية الكلية وهى قوله كل أهل العصر غمر تواضعا لربه عز وجل ومن المعلوم أن من تواضع لله رفعه ثم أمر بترك البحث والنظر فى أحوال الخلق بقوله فاترك تفاصيل الجمل أى اترك تفصيل الاشياء المجملة المجموعة وعليك بنفسك فاجتهد فى خلاصها بالاعمال الصالحة ولا تنظر الى عيوب غيرك لانه تضييع للزمان فى مالا يعنيك ومن حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ولله در القائل

صن العرض وابذل كل مال ملكته * فان ابتذال المال للعرض أصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوءة * فعندك عورات وللناس ألسن
وعينيك ان أبدت اليك معائبا * بقوم فقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى * وفارق ولكن بالتى هى أحسن

قال

قال بعضهم اذا وجدت قساوة فى قلبك وضعفا فى بدنك وحرمانا
فى رزقك فاعلم أنك تكلمت بمالا يعنيك فكلام الشخص فيما لا يعنيه
يقسى القلب ويضعف البدن ويعسر أسباب الرزق وروى أبو عبيدة
عن الحسن أنه قال من علامة اعراض الله عن العبد أن يجعل شغله
فيما لا يعنيه ومر حسان بن أبى سفيان بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم
أقبل على نفسه وقال تسألين عن مالا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة
فصامها (تتمة) فى ضابط ما يعنى وما لا يعنى فالذى يعنى الانسان ما يتعلق
بضرورة حياته فى معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه من عطش
ويستر عورته ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه
تلذذ وتنعم وما يتعلق بمعاده مما فيه ثواب والذى لا يعنى هو ما لا تدعو
الضرورة من اللعب والهزل وكل ما يخل بالمروءة والتوسع فى الدنيا
وطلب المناصب والرياسة وحب المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه
منه نفع أخروى فانه ضياع للوقت النفيس الذى لا يمكن أن يعوض
فائته وقال بعضهم ما لا يعنيه هو ما يخاف فيه فوات الاجر والذى يعنيه
هو ما لا يخاف فيه ذلك وقال بعضهم ما يعنيه هو ما يعود عليه منه منفعة
لدينه أو دنياه الموصلة لآخرته وما لا يعنيه عكسه وهو ما لا يعود عليه
منفعة لدينه ولا دنياه الموصلة لآخرته بخلاف دنيا تقطعه وتفسد عليه
آخرته انتهى وهذا آخر كلام الناظم رحمه الله تعالى والحمد لله أولا
وآخرا ولنتكلم على ثلاثة أبيات ليست من كلام الناظم لكنها
من القافية والوزن تضمنت الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وصحبه والسادة المتقدمين فاخترنا الكلام عليها
تتميما للفائدة بل هى الفائدة العظمى لانه صلى الله عليه وسلم باب الله
الاعظم قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآية

وهي هذه

وصلاة وسلام أبدا * للنبي المصطفى خير الدول

أي ودعاء بخير وأمان من جميع الآفات ثابت كل منهما أبدا أي دهرا طويلا ليس بمحدود للنبي أي كائنان للنبي المصطفى أي المختار خير أي أفضل الدول جمع دولة من لدن آدم إلى يوم القيامة انتهى فالصلاة في اللغة الدعاء بخير وهو المراد هنا وفي الشرع أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة والصحيح أن الله تعالى يزيد نبيه رفعة بصلاتنا عليه ويثيبنا على الصلاة لكن لا ينبغي للمصلي أن يقصد نفع النبي صلى الله عليه وسلم بل غاية قصد نفع نفسه والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا ولا يدخلها رياء بالنسبة للقدر الذي للمصطفى وأما القدر الذي للمصلي فيدخله الرياء ويؤثر فيه وبالجملة فالمصلي ينتفع بها ولو كان مرائيا لأن الثواب الحاصل للمصطفى عليه الصلاة والسلام كاف في ذلك وجمع الناظم بين الصلاة والسلام خروجا من كراهة افراد أحدهما عن الآخر وقوله للنبي بتشديد الياء مأخوذ من نبا ينبو اذا علا وارتفع لأنه مرفوع الرتبة على غيره أو بالهمز مأخوذ من النبأ وهو الخبر لأنه مخبر بفتح الباء أي أخبره جبريل عن الله أو مخبر بكسر الباء أي الخلق فإن قلت قد ورد النهي عن المهموز وهو قوله عليه الصلاة والسلام لا تقولوا نبيء الله وانما قولوا يا نبي الله أي بالتشديد فجوابه أن المهموز يطلق ويراد به الطريد ويطلق ويراد به الخبر فلما كان يتوهم منه معنى الطريد نهاهم عنه أولا ولكن لما كثر الاسلام وشاع وصار لا يتوهم هذا المعنى وهو انسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه فكل رسول نبي ولا عكس والكلام عليهما شهير فلا نطيل بذكره قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(وعلى الآل الكرام السعدا * وعلى الاصحاب والقوم الاول)

أى وصلاة وسلام على الآل أى آله صلى الله عليه وسلم فال عوض عن الضمير وآله صلى الله عليه وسلم فى مقام تحريم الزكاة مؤمنو بنى هاشم وبنى المطلب وفى مقام المدح كل تقى وفى مقام الدعاء كل مؤمن ولو عاصيا كما هنا وقوله الكرام نعت للآل أى الاخيار جمع كريم السعداء نعت ثان جمع سعيد وهو خلاف الشقى وعلى الاصحاب أى وصلاة وسلام عليهم جمع صاحب ويجمع على صحب وصحابة أيضا فالصاحب ثلاثة جموع وهو من اجتمع مؤمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك والكلام عليه مشهور وصلاة وسلام أيضا على القوم الاول أى الجماعة السالفين من التابعين وتابعيهم باحسان كالائمة الاربعة وتلامذتهم وكالشيخ الجنيد وأتباعه رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم آمين والقوم كما فى المصباح جماعة الرجال ليس فيهم امرأة الواحد رجل وامرء من غير لفظه والجمع أقوام سموا بذلك لقيامهم بالعظائم والمهمات قال الصغانى وربما دخل النساء تبعا لان قوم كل نبى رجال ونساء ويذكر القوم ويؤنث فيقال قام القوم وقامت القوم وكذلك كل اسم جمع لا واحد له من لفظه نحو رهط ونفر انتهى فعلم من النظم أن الصلاة والسلام يجوزان على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام تبعا لهم وهو كذلك وأما استقلالا فلا يجوز فيقال اللهم صل على النبى وعلى سيدى عبد الرحيم القناوى فقط ولا يرد قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على بنى أوفى لان من استحق شيأ له أن يخص به غيره واعلم أن مقام الانبياء عليهم الصلاة والسلام الصلاة والتسليم ومقام الصحابة الترضى ومقام من بعدهم الترحم كما نص عليه الائمة المحققين قال الناظم رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين

(ما نوى الركب بعشاق الى * أيمن الحى وما غنى رمل)

ما مصدرية ظرفية والصلاة والسلام على من ذكر ونوى بالواو من النية وهو العزم أى ما عزم وصار الركب جمع راكب مثل صاحب وصحب ويجمع أيضا على ركبان كما فى المصباح وقوله بعشاق متعلق بنوى جمع عاشق وهو المفرط فى المحبة ويطلق على الذكر والانثى فيقال رجل عاشق وامرأة عاشقة أيضا كما فى المصباح وقوله الى أيمن الحى متعلق بنوى وأيمن بفتح الميم أى جهة اليمين كما فى قوله صلى الله عليه وسلم الايمن فالايمن وأما بضم الميم فهو اليمين والحى هو القبيلة من العرب والجمع أحياء وسميت القبيلة حيا لحياتها بالساكنين فيها وقوله وما غنى بتشديد النون أى ترنم بالغناء أى الصوت قال فى المصباح والغناء مثل كتاب الصوت وغنى بالتشديد اذا ترنم بالغناء وقوله رمل بفتح الراء المهملة وفتح الميم وهو نوع من أنواع النغم كالرهاوى والحسينى والحجاز والعربى والرصد والسيكاة وما أشبه ذلك من أنواع الاهوية وفى قوله غنى رمل اشارة الى بحر هذه القصيدة فهى من بحر الرمل كما تقدم فى صدر الكتاب (خاتمة) روى أبو طلحة رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يبرق فقلت يا رسول الله ما رأيتك كاليوم أطيب نفسا منك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالى لا تطيب نفسى وقد جاءنى جبريل عليه السلام الساعة فقال لى من صلى عليك من امتك صلاة كتب له بها عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت أخيط شيأ فى السحر فسقطت الابرة وانطفأ المصباح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأضاء البيت من ضياء وجهه فوجدت الابرة فقلت ما أضوء وجهك يا رسول الله فقال يا عائشة

الويل لمن لم يرني يوم القيامة قالت فقلت ومن الذي لم يرك يوم القيامة قال البخيل فقلت ومن البخيل يارسول الله قال الذي اذا ذكرت عنده لم يصل علي وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة ليلة الجمعة أو يوم الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وبعث الي ملكا يدخل على قبري فيخبرني باسمه ونسبه فاكتبه عندي في صحيفة بيضاء وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة تحت ظل العرش يوم لا ظل الا ظله قيل من هم يارسول الله قال من فرج عن مكروب من أمتي ومن أحيي سنتي ومن أكثر الصلاة علي وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمي في ذلك الكتاب وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي تعظيما لحقي خلق الله عز وجل ملكا من ذلك القول أحد جناحيه بالمشرق والآخر بالمغرب ورجلاه مغروزتان في الارض السابعة وعنقه تحت العرش فيقول الله تعالى له صل على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه الى يوم القيامة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بقبري ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال الملكان مجيبان له غفر الله لك فتقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين آمين ولا أذكر عند أحد فلا يصلي علي الا قال الملكان لا غفر الله لك وتقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين آمين وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال أكثركم علي صلاة أكثركم في الجنة أزواجا وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي مائة مرة تزحزحت النار عنه وروي انه اذا كان يوم القيامة وضعت حسنات

المؤمن وسيئاته فتنزل صحائف من عند الله بيض على حسناته فترجح حسناته على سيئاته فيقول الله تعالى هذه صلاتك على محمد ثقلت بها ميزانك وجعلتها لك ذخيرة ولله در القائل

لاحمد فضل لا يحد ولا يحصى * وليس له في الدهر حد فيستقصى
فمن كان مثلي مذنب ومقصر * فجاه رسول الله قد جبر النقصا
فيا فوز من صلى عليه من الورى * فذاك بتثقيل لميزانه خصا

وروى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وأمسى وقال اللهم يا رب محمد وآل محمد صل على محمد وعلى آل محمد واجز محمدا صلى الله عليه وسلم عنا ما هو أهله أتعب سبعين كاتبا ألف صباح ولم يكن لنبيه حق الأداء وغفر له ولوالديه ويحشر مع محمد وآل محمد وعن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه روحه ففتح عينيه ونظر الى باب الجنة فرأى مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فقال أي رب هل تخلق خلقا هو أعز عليك مني فقال نعم نبيا من ذريتك فلما خلق الله حواء وركب فيه الشهوة قال يا رب زوجني بها فقال الله تعالى ادفع مهرها فقال يا رب وما مهرها قال أن تصلي على صاحب هذا الاسم مائة مرة قال ان فعلت تزوجنيها قال نعم فصلى آدم على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة فكان ذلك مهرها فزوجه الله تعالى بها ولله در القائل

وأبوك آدم اذ رأى حوا وقد * زفت بأنواع الحلى والجوهر
صلى عليك فكان ذاك مهرها * والحور بين مهلل ومكبر

وروى أن أصحاب الحديث يأتون يوم القيامة بمحابرهم فيقول الله تعالى لجبريل عليه السلام اقض حوائجهم فانهم كانوا يصلون كثيرا على النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا فيأخذ بأيديهم ويدخلهم الجنة وقال بعض

الصوفية كان لي جار مسرف على نفسه لا يعرف من سكره يومه من أمسه وكنت أعظه فلا يقبل وآمره بالتوبة فلا يفعل فلما مات رأيته في المنام وعليه من حلل الجنة لباس الاعزاز والاكرام فقلت له بم نلت هذه المنزلة وهذا المقام فقال حضرت يوما مجلس العلم فسمعت المحدث يقول من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت صوتي معه ورفع القوم أصواتهم فغفر لنا جميعا في ذلك اليوم فكان نصيبي من هذه الصلاة ان جاد علي بهذه النعمة ولله در القائل

يا فوز من صلى عليه فانه * يحوي الاماني بالنعيم السرمد

ان شئت من بعد الضلالة تهتدي * صلى على الهادي البشير محمد

يا قوم من صلوا عليه فتظفروا * بالبشر والعيش الهني الارغد

صلوا عليه وارفعوا أصواتكم * يغفر لكم في يومكم قبل الغد

ويخصكم رب الانام بفضله * بأفاضل الجنات يوم الموعد

صلى عليه الله جل جلاله * ما لاح في الآفاق نجم الفرقد

ومن فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان امرأة كان لها ولد مسرف على نفسه وكانت تأمره بالخير وتنهاه عن الفحشاء والمنكر والقضاء والقدر غالب عليه فمات وهو مصر على ما كان عليه فحزنت عليه أمه حزنا شديدا فظنت أنه مات على غير الملة فتمنت انها تراه في النوم فرأته يعذب فازدادت عليه حزنا فلما كان بعد مدة رأته وهو على هيئة حسنة وهو فرح مسرور فسألته عن حاله وقالت يا ولدي اني رأيتك تعذب فبم نلت هذا الخير فقال يا أماه اجتاز رجل مسرف على نفسه بالتربة التي أنا فيها فنظر الى القبور وتفكر في البعث والنشور واعتبر بالموتى فبكى على زلاته وندم على خطيئته وتاب الى الله

تعالى وعقد التوبة معه أن لا يعود فقد فرحت لتوبته ملائكة السماء ثم انه لما تاب وعلم الله صدق نيته تاب عليه فقرأ شيأ من القرآن وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات وأهدى ثوابها لاهل التربة التي أنا فيها فقسم ثوابها علينا فنابني من ذلك جزء فغفر الله لي وحصل لي من الخير ما ترين فاعلمي يا أماه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نور في القلوب وتكفير للذنوب ورحمة للاحياء والاموات وقد قيل في بعض الروايات ان للمصلين على سيد المرسلين عشر كرامات احداهن صلاة الملك الغفار * الثانية شفاعة النبي المختار * الثالثة الاقتداء بالملائكة الابرار * الرابعة مخالفة المنافقين والكفار الخامسة محو الخطايا والاوزار * السادسة قضاء الحوائج والاوطار السابعة تنوير الظواهر والاسرار * الثامنة النجاة من النار * التاسعة دخول دار القرار * العاشرة سلام الملك الغفار وروى انسان بعد موته وعليه حلة وعلى رأسه تاج مكلل بالجواهر فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وأكرمني وتوجني وأدخلني الجنة فقيل له بماذا فقال بكثرة صلاتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان مسرفا من بني اسرائيل لما مات رموه فأوحى الله لموسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أن غسله وصل عليه فاني قد غفرت له قال يارب وبم ذلك قال انه فتح التوراة يوما فوجد فيها اسم محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه فغفرله بذلك ورأى بعض الصالحين صورة قبيحة في النوم فقال لها من أنت قالت أنا عملك القبيح قال لها فبم النجاة منك قالت بكثرة الصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم وجعل بعض الصالحين كل ليلة على نفسه عددا معلوما يصليه على النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم فأخذت عيناه ليلة فرأى النبي صلى الله عليه وسلم داخلا عليه فامتلأ بيته

نورا فقال له هات هذا الفم الذى يكثر الصلاة على أقبله قال فاستحييت فادرت له خدى فقبله فانتبهت فاذا البيت يفوح مسكا من رائحته صلى الله عليه وسلم وبقيت رائحة المسك فى خدى نحو ثمانية أيام وحكى ان شخصا كان يكثر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فذكر انه خرج ومعه أبوه فبينما هو نائم فى بعض المنازل واذا قائل يقول له قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه فاستيقظ فرآه كذلك فدخله منه رعب شديد ثم نام فرأى أربعة سودان محدقين بأبيه ومعهم أعمدة من حديد فأقبل رجل حسن الوجه فنحاهم عنه ورفع الثوب عن وجهه ومسحه بيده ثم أتانى فقال قم قد بيض الله وجه أبيك فقلت من أنت بأبى أنت وأمى قال محمد صلى الله عليه وسلم فكشفت الثوب عن وجه أبى فاذا وجه أبى أبيض فدفنته ثم ما تركت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اللهم صل على سيدنا محمد الذى شرفته على سائر الانام ورفعته الى أشرف محفل ومقام وجعلته دليلا الى دار السلام اللهم فكما أمرتنا بالصلاة عليه بلغ اللهم صلاتنا عليه يارب العالمين اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا ممن فاز بمتابعته وأتم بشريعته واقتدى بصحابته واهتدى بسنته اللهم أوردنا حوضه وأرنا وجهه ولا تحرمنا شفاعته واجمع بيننا وبينه فى مستقر الرحمة والرضوان برحمتك ياذا الجلال والاكرام والله سبحانه وتعالى أعلم قال مؤلفه الشيخ مسعود وكان الفراغ من كتابته يوم الجمعة المبارك سلخ جمادى الثانية سنة ١٣٠٥ من هجرة نبى خص بالفضل والشرف على يد كاتبه وجامعه الفقير مسعود بن حسن ابن أبى بكر بن حسن بن بساط الحسنى القناوى الشافعى غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم وله بالمغفرة آمين

لما انتهى طبع هذا الشرح * المبين لدقائق نصيحة الاخوان المسمى
بالفتح * وبزغت شموس بهجته فى الاكوان * فظهرت العلو همة
مؤلفه على كيوان * رصعه بالقريض من هو لائمة البلاغة امام *
ووشحه بتاريخ يفوق بنظامه نظم اللآلى فى الانتظام * الكوكب
المنير السارى * والعلم الشهير المحفوف بعناية البارى * الاستاذ
السيد عبد الهادى نجا الابيارى * فقال بلغه الله الامانى * وكفاه
شر كل حاسد وشانى * آمين

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى بيده الفتح الرحمانى * وبذكره تطمئن القلوب وان
كان أطربها اذكار الاغانى * حمدا تشرق فى بروج المعارف شموسه
* وتشرف على غدران رياض الفواضل والفضائل عروشه وغروسه
* والصلاة والسلام على من اغرت أماله فصاحته فأعجز الالسن
الفصيحة * وأينعت رياض نصاحته فقال الدين النصيحة * وخيمت
سرادقات دعوته * واشرقت أضواء بلاغه وبلاغته * وعلى آله
وأصحابه أهل المدن والقرى * ومناهل الكرم والقرى * ما طرب
ناد بغوان وأغانى * وفاز محب بوصال حبيب فى أوقات تهانى *
(وبعد) فان الادب جسد هذا الشرح النفيس روحه * ومهمه هو
فيضنه بل سماه هو بوحه * أخرج من اكمام الشعر الوردى وردا تفتح
ونشر من نوافح النظام العمرى نشرا تضوع وتنفح * ما بين لطائف غزل
اغزل من لواحظ الحور * وطرائف نسيب أزهر من يوانع الزهور *
ونوابغ حكم محكمة الآيات * ومحاسن أدب متشابهات غير مشتبهات
* وفكاهات يتفكه بها كل لبيب * ويتروح بريحانها كل أديب
اريب * فياه والاجنة أنس قطوفها دانيه * ومنية نفس

تريدان تبيت من الهموم خاليه * واذا عزت نسخه الحسنة فى هذه الاقطار والحسن عزيز * وتشوفت اليه نفوس الادباء حتى سمع لها من الشوق ليه أزيز * انتدب لطبعه ذو الهمة التى تزاحم الفرقدين بمنكبها * وتنافس النيرين فى شرفهما بشرف منصبها * صدر الصدور * وغرة جبين بنى الدهور * المتوكل على ربه المعين * حضرة محمد أفندى الصغير شاهين * ونسج برود تصحيحه على أحسن منوال * حتى أصبح فى حلل تهذيب التحرير يختال * زهرة الافاضل وزهرة الاماثل * نتيجة قياس الزمان * وقرة عين الاخدان والاخوان * الراجى من ربه محو المآثم * حضرة مولانا الشيخ أحمد قاسم * وبانتهاء طبعه وتصحيحه * وتهذيبه وتنقيحه * قلت حسب الالتماس * مبينا آيات محاسنه للناس

لله در مؤلف نظم الغرر * فى سمطه نظم الدرارى والدرر
وبدا جمال بيانه متبرجا * متبلجا كالبدر لما أن بدر
أبدى من الآداب كل رقيقة * تزهو محاسنها فتهزأ بالزهر
وأبان من سر البيان وسحره * نكتا أرق من النسائم فى السحر
وادار من طرف البديع وطرفه * كاسا بها للكيس من جلا السكر
شرح يسر أولى النهى ويقر أعين من يسرح فى قصر الحسه النظر
شرح مطالعه يخيل انه * بين الاغانى والغوانى فى حبر
كم من فرائد من فوائد أو طرا * ئف من لطايف فى معانيه الغرر
فأدم مطالعة له وانظر الى * مافيه من حكم تسر ذوى النظر
واقطف ثمارا منه طابت مجتنى * وحلت مذاقا عند أرباب الفكر

وغدت تقول لطالبيه ارخوا ❁ فتح الرحيم جماله طبعا سفر

٣٤٠ ٨٣ ٧٩ ٢٨٩ ٤٥٨

وكان تمام طبعه بمطبعة الشيخ محمد شاهين
بمحروسة مصر العامره فى احدى عشر
خلت من شهر ربيع الاول سنة
١٢٨١ ألف ومائتين واحد
وثمانين من الهجرة النبوية
على صاحبها أفضل
الصلاة وأزكى
التحية
تم

على يد رئيس تشغيله المتوكل على ربه المعين ❁ مصطفى شاهين